

وِزَارَةُ الثَّقَافَةِ
الْمُخْتَارُ مِنَ الثَّرَاثِ الْعَرَبِيِّ

٧٢

مِنْ

تَشْرِيعِ الدِّينِ

لِلْوَزِيرِ الْكَاتِبِ أَبِي سَعْدٍ مَنْصُورِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ الْحُسَيْنِ الْأَبِيِّ

الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ٤٩١ هـ

السُّفْرَةُ الثَّانِي

اخْتَارَ لِنَصْرِصٍ وَقَدَّمَ لَهَا وَعَلَّقَ عَلَيْهَا

مَنْظُومَاتُ الرَّاجِزِيِّ



منشورات وزارة الثقافة

في الجمهورية العربية السورية

دمشق ١٩٩٧

الدكتوران لؤي : زهير الحمو

من نشر الدر - السفر الثاني

من نثر الدر / أبو سعد منصور بن الحسين الأبي، اختار النصوص وقدم لها وعلق
عليها مظهر الحجبي. - دمشق: وزارة الثقافة، ١٩٩٧. - ٤ ج؛ ٢٠ سم. -
(المختار من التراث العربي؛ ٧١ - ٧٤).

١ - ٨١٨,٠٢٢ من ع د م ٢ - العنوان ٣ - أبو سعد الأبي
٤ - المحي ٥ - السلسلة

مكتبة الأسد

الايداع القانوني: ع - ٤٤١ / ٣ / ١٩٩٧

الباب الأول

كلام معاوية بن أبي سفيان وولده

قال الهيثم (١) : خرج معاوية يريد مكة ،
حتى إذا كان بالأبواء (٢) اطلع في بئر عادية (٣) ،
فأصابته اللقوة (٤) . فأتى مكة ، فلما قضى نسكه ،
وصار إلى منزله ، دعا بثوب ، فلفه على رأسه ، وعلى
جانبيه وجهه الذي أصابه فيه ما أصابه ، ثم أذن للناس
فدخلوا عليه . وعنده مروان ، فقال :

إن أكن قد ابتليت فقد ابتلي الصالحون قبلي ،

(١) هو الهيثم بن عدي أبو عبد الرحمن الطائي الأخباري المؤرخ ،
توفي سنة ٢٠٧ هـ .

(٢) الأبواء . قرية بينها وبين المدينة ثلاثة وعشرون ميلا ، بها
قبر والده الرسول عليه السلام .

(٣) بئر عادية : قديمة نسة إلى عاد

(٤) اللقوة . داء يصيب الوجه فيعوج الفم أو جانب منه .

وأرجو أن أكونَ منهم وإنْ عُوْقِبْتُ فقدْ عُوْقِبَ الظالمونَ
 قبلي، وما آمَنُ أنْ أكونَ منهم . وقد ابْتُئِلْتُ في أحسنِّي (١)
 وما يَبْدُو مِنِّي . وما أَحْصِي صحيجي . وما كان لي
 على ربِّي إلَّا ما أعطاني . واللهِ إِنْ كانَ عَتَبَ بعضُ
 خاصَّتِكُم لقد كنتُ حادِباً على عامَّتِكُم ؛ فرحمَ اللهُ
 امرءاً دعا لي بالعافية .

دخل المسوّر على معاويةَ ، فقال له : كيف تركتَ
 قريشاً ؟ قال : أفتَ سيدُها يا أميرَ المؤمنين ، أعلاها
 كعباً ، وأسودُها (٢) أباً ، وأرفعُها ذِكْراً وأجلُّها
 قدراً . قال : كيف تركتَ سعيداً (٣) ؟ قال : عليلاً .
 قال : للّيتينِ ولِلْفَمِ (٤) :

(١) المعنى : في أحسن عضو . والظاهر لكل إنسان وهو وجهه .

(٢) أسودها . من اليادة .

(٣) يريد سعيد بن العاص كما سيبين من الكلام بعد

(٤) هذا من أقوال العرب في الدعاء على الإنسان : أي : أسقطه الله

لليدين واللمم

بِهِ لَا بِظَلِّي بِالصَّرِيمَةِ (١) أَعْفَرًا (٢)

قال : وعمر بن سعيد صبيٌ يسمعُ قوله من وراءه .
فقال : إِذَا وَاللَّهِ لَا يَسُدُّ جُفْرَتَكَ (٣) ، وَلَا بَزِيدٌ فِي
رِزْقِكَ ، وَلَا يَدْفَعُ حَتْفًا عَنْكَ ، بَلْ يَفْتُ فِي عَضْدِكَ ،
وَيُضْ ظَهْرُكَ ، وَيَنْشُرُ أَمْرَكَ ، فَتَدْعُو فَلَا تُجَابُ ،
وَتَتَوَعَّدُ فَلَا تُهَابُ .

فقال معاوية : أَبَا أُمِيَّةَ ؛ أَرَأَيْكَ هَاهُنَا . إِنَّ أَبَاكَ
جَارَانَا إِلَى غَايَةِ الشَّرَفِ ، فَلَمْ تَعْلُقْ بَأَثَارِهِ ، وَلَمْ نَقْسِمْ
لِمَحْفَارِهِ (٤) ، وَلَمْ نَلْحَقْ بِمَضَارِهِ ، وَلَمْ نَدْنُ مِنْ
غُبَارِهِ ، هَذَا مَعَ قُوَّةِ مَكَانٍ ، وَعِزَّةِ سُلْطَانٍ . وَإِنَّ

(١) الصريمة : القطعة المنفردة من الرمل

(٢) عجز بيت صدره

أقول له لما أتاني نعيه

والبيت للفرزدق .

(٣) الحفرة : مجمع البطن والصدر .

(٤) المحقار . القرمس الشديد العلو .

أثقل قومينا علينا من سبقنا إلى غاية شرفٍ ؛ فأخذ أبوك
علينا القَصبة (١) . وملك دوننا الغلبة .

رُوي أن عمرَ بن الخطَّاب - رضي الله عنه - قدم
السَّام . ومعه عبدُ الرحمن بن عوف أو أبو عبيدة ، وهما
على حمارين قرييين من الأَرْضِ ، فتلقَّاهما ، معاويةُ
في كوكبةٍ (٢) نحشَّنا ؛ فشئى وركَّه ، فنزَلَ ،
وسلَّم بالخلافة : فلم يردَّ عليه ، فقال له عبد الرحمن أو
أبو عبيدة : يا أمير المؤمنين أحضرتَ الفتى (٣) فلو كآمتَه .
فقال : إنَّكَ لصاحبُ الجيش الذي أرى ؟ قال : نعم .
قال : مع شِدَّةِ احتجابِكَ ، ووقوفِ ذوي الخوائجِ
ببابِكَ ؟ قال : أجل . قال : لم ؟ وملك ! قال : لأنَّا
ببلادٍ يكثُرُ بيها جواسيسُ العدوِّ ، فإنَّ نحنُ لم نَسَّخِذْ
العدَّةَ والعددَ استخفَّ بنا . وهجم على عورتنا . وأنا

(١) المراد : سبق إلى المعالي . يقال للمراهن في السباق : أحرز
القصة ، لأنهم كانوا يركزون فصبا عند غاية المضممار .

(٢) الكوكبة : الجماعة ، والحشَّاء : الخيرة السلاح .

(٣) معنى حش به أو دعونه .

— بعدُ — عامُلك ؛ فإن وقفتني وقفتُ ، وإن استزددتني زدتُ ، وإن استنقصتني نقصتُ .

قال : والله لئن كنتَ كاذباً لَإنه لرأيُّ أريبٍ .
ولئن كنتَ صادقاً لَإنه لتدبيرٌ أديبٍ . ما سألتُك قطُّ عن شيءٍ إلا تركتني فيه أضيقَ من رواجبِ الضُّرسِ (١) .
لا آمرك ولا أنهاك .

فلما انصرف قال له صاحبه : لقد أحسنَ الفَي في إصدارِ ما أوردتَ عليه . قال : بحسن إصدارِه وإبرادِه جشمناه (٢) ما جشمناه .

قال معاويةُ : معروفُ زماننا هذا منكرُ زمانٍ قد مضى ، ومنكرُ زماننا هذا معروفُ زمانٍ لم يأتِ .
ومن كلامه : الفرصةُ خُلَّةٌ ، والحياةُ يمنعُ الرزقَ ،
والهَيبةُ خيبةٌ ، والحِكْمةُ ضلالةٌ المؤمن .

(١) الرواجب . أصول الأصابع ، والضرس : الرجل الداجبه والمراد تركتني في أمر يصعب علي الخروج منه .
(١) جشمه : كلفه أمرا فيه مشقة .

وقال ذات يوم لابنه يزيد : يا بُنَيَّ ، لا تستفسدِ
الحر فساداً لا تصلحهُ أبداً . قال : بماذا ؟ قال : لا
تشتُمَنَّ لهُ عِرضاً ، ولا تصرِبنَّ له ظَهراً ، فإن الحرَّ
لا يرى الدُّنْيَا عِوضاً مِن هذين ، ولكن خُذْ ماله ،
ومضى شئت أن تُصلِّحهُ فمالٌ بِمالٍ .

وقال له عمرو بن العاص : قد أعْياني أن أعلمَ
شُجاعٌ أنت أم جَبَانٌ ؟ فقال :

شجاعٌ إِذَا مَا أَمَكَنْتَنِيْ فِرْصَةً
فإن لم تكن لي فِرْصَةً فَجَبَانٌ

وقال لعاملٍ له : كُلْ قَلِيلاً تَعْمَلْ طَوِيلاً ، الزمِ
العفاف يلزمك العملُ ، وإِيَّاكَ والرُّشَا يشتد ظهرك عند
الخصام .

ورفع يوماً ثُنْدوتيه (١) بيديه ، ثم قال : لقد علمَ
الناسُ أن الخليلَ لا تجري بمثلي ، فكيف قال النجاشي : (٢)

(١) الثندوة : عند الرجل تقابل الثمن عند المرأة . أراد معاوية
أن يدل على بدائته وثقل وزنه .

(٢) النجاشي هو قيس بن عمر بن مالك شاعر إسلامي .

وتجى ابن حربٍ سابحٌ* (١) ذو علالةٍ (٢)
أجشٌ* (٣) هزيمٌ* والرماسحُ دَوَانِ
وقال : إني لأكره النكارة (٤) في السبد ، وأحبُّ
أن يكونَ غافلاً* أو متغافلاً (٥) .

وقال لأبي الجهم العدوي : أنا أكبرُ أم أنت يا أبا
الجهم ؟ فقال : لقد أكلتُ من عرسِ أمك . فقال :
عند أيِّ أزواجِها ؟ قال : في عرسِ حفص بن مغيرة
فقال : يا أبا الجهم ؛ إيتاك والسلطان ، فإنه يغضبُ
غضبَ الصبيِّ ، ويعاقب عقوبةَ الأسد ، فإن قلباه
يغلبُ كثيرَ الناس .

وقال يوماً : أنا أعرفُ أرخصَ ما في السوق وأغلاهُ .

(١) السابح : الفرس . وتسمى الخيل السابح ؛ لأنها تسبح في
سيرها .

(٢) العلالة : بقية يجري الفرس .

(٣) الأجش . الغلظ الصوت ، أو الذي جهد صهيله ، والمزيم
من الخيل : الشديد الصوت .

(٤) النكارة : الفطنة والدهاء .

(٥) المتغافل : الذي يظهر الغفلة ولبس فيه .

فقيل : وكيف ذاك ؟ فقال : أعلم أن الجيّد رخيصٌ
والرديء غاليٌ .

ولما مات زياد وفد عليه عبيدُ الله ابنُه . فقال له :
من استخلفَ أخِي على عمليهِ بالكوفة ؟ قال : عبدُ الله
ابنُ خالدٍ أسيّد (١) قال : فعلى البصرة ؟ قال : سمرةُ
ابنُ جندبٍ (٢) . فقال له معاوية : لو استعملك أبوك
استعملتُك ! . فقال له عبيدُ الله : أُنشُدك الله أن يقولها
لي أحدٌ بعدك : لو ولّاك أبوك ، وعمّك وليتُك .
فولاه خراسانَ .

وأوصاهُ فقال : اتَّقِ اللهَ ولا تُؤثِرَنَّ على تقواه
شيئاً ، وقِ عرضك (٣) من أن تُدَنِّسَهُ وإذا أعطيتَ

(١) عبد الله بن خالد بن أسيد اخلف في كونه محزومياً أو أموياً .
ولي فارس من قبل معاوية واستخلفه زياد على البصرة .
(٢) سمرة بن جندب بن هلال كان على شرطة زياد ، وكان من
الحفاظ الكثيرين . مات سنة ٥٨ هـ .

(٣) قِ عرضك : احفظه وصنه ، فعل أمر من وقى . ف : فعل أمر
من وفى .

عهداً ففب به ، ولا تسيي عن كثير أ بقليل ، وخذ لنفسيك
 من نفسيك ، ولا يخرجن منك أمر حتى تبرمه ،
 فإذا خرج فلا يردن عليك . وإذا لقيت عدوك فغداك
 على ظهر الأرض فلا يغلبك على بطنها ، وإن احتاج
 أصحابك أن تواسيهم بنفسيك فواسيهم ، ولا تطمع
 أحداً في غير حقه ولا تؤيسن أحداً من حق هو له .

وخطب مرة فقال : أيها الناس ، إنا قد أصبَحْنَا
 في دهر عَنُود ، وزمن شديد ، يصبح فيه المحسن مُسْتَأً ،
 ويزداد الظالم عُنُوءاً ، لا ننتفع بما عَلِمْنَا ، ولا نسأل
 عما جهلْنَا ، ولا نَتَخَوَّفُ قارعةً حتى تتحل بنا ،
 فالناس على أربعة أصناف : منهم من لا يمنعه من الفساد
 إلا مهانة نفسه ، وكلال حدة ، وتضيض (١) وهـره
 ومنهم المصلت (٢) لسيئته ، المجلب برجله .
 المعلن بشره ، قد أشرط نفسه (٣) ، وأوبق دينه (٤)

(١) النفس القليل وهو في الأصل الماء القليل ، والوفر المال

المدخر .

(٢) أصاب سيمه : جرده من غمده . وأحلب برجله : جاء برحاله

(٣) أشرط نفسه : أعلمها وأعدّها .

(٤) أوبق دينه : أهلكه .

لُحْطَامٍ يَنْتَهِزُهُ ، وَمِيقَنْتَبٍ (١) يَقُودُهُ أَوْ مُنْبِرٍ يَفْرَعُهُ (٢) ،
وَلِبْسٍ - الْمُتَجَرُّ أَنْ تَرَاهُمَا لَتَصْلُكَ ثَمْنَا ، وَمَمَالِكٍ عِنْدَ اللَّهِ
عَوَضاً . وَمِنْهُمْ مَنْ يَطْلُبُ الدُّنْيَا بِعَمَلِ الْآخِرَةِ ، وَلَا
يَطْلُبُ الْآخِرَةَ بِعَمَلِ الدُّنْيَا ، قَدْ طَامَنَ مِنْ شَتَاخِصِهِ ،
وَقَارَبَ مِنْ خَطَرِهِ ، وَشَمَّرَ مِنْ ثَوْبِهِ ، وَزَخَرَفَ نَفْسَهُ
لِلْأَمَانَةِ ، وَاتَّخَذَ سِتْرَ اللَّهِ ذَرِيعَةً إِلَى الْمَعْصِيَةِ .
وَمِنْهُمْ مَنْ أَقْعَدَهُ عَنِ طَلَبِ الْمَالِ نَفْسُهُ ، وَانْقَطَعَ سَبَبُهُ ،
فَقَصَّرَ بِهِ الْحَالُ عَلَى حَالِهِ ، فَتَحَلَّى بِاسْمِ الْقِسَاةِ ،
وَتَزَيَّنَ بِاسْمِ الزَّهَادِ ، وَلَيْسَ مِنْ ذَلِكَ فِي مَرَاخٍ وَلَا مَفْدَى .

وَبَقِيَ رِجَالٌ غَضُّ أَبْصَارِهِمْ ذِكْرُ الْمَرْجِعِ ،
وَأَرَاقُ دُمُوعِهِمْ خَوْفُ الْمَحْشَرِ ، فَهَمُّ بَيْنِ شَرِيدٍ نَادٍ (٣)
وِخَائِفٍ مُنْقَمِعٍ (٤) وَسَاكِتٍ مَكْنُومٍ (٥) ، وَدَاعٍ

(١) المِقْنَب : جَمَاعَةُ الْحَيْلِ وَالْفَرَسَانِ بَيْنَ الْأَرْبَعِينَ وَالْخَمْسِينَ .

(٢) فَرَعُ الْمُنْبِرِ : عِلَاقُهُ .

(٣) النَّادِ : الشَّرِيدُ النَّافِرُ .

(٤) الْمُنْقَمِعُ : الذَّلِيلُ ، وَانْقَمَعَ الرَّجُلُ : ذَلَّ .

(٥) مَكْنُومٌ مِنْ كَعَمَهُ : سَدَّ فَمَهُ .

مُخْلِصٌ وَمُؤَجِّعٌ ثُكْلَانِ ، قَدْ أَخْمَلَتْهُمُ التَّقِيَّةُ ، وَشَمَلَتْهُمُ
 الدَّلَّةُ ؛ فَهَمٌ فِي بَحْرِ أَجَاجٍ ، أَفْوَاهُهُمْ ضَامِرَةٌ ،
 وَقُلُوبُهُمْ قَرِيحَةٌ . وَعَظُّوا حَتَّى مَلُّوا ، وَقَهَرُوا حَتَّى
 ذَلُّوا ، وَقَتَلُوا حَتَّى قَالُوا ؛ فَلَتَكُنِ الدُّنْيَا أَقْلًا فِي
 أَعْيُنِكُمْ مِنْ حُثَالَةِ الْقَرَطِ (١) وَقَرَاظَةِ (٢) الْجَلَمِ
 وَاتَّعِظُوا بِمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ ، قَبْلَ أَنْ يَتَّعِظَ . بِكُمْ مِنْ
 بَعْدِكُمْ .

قدم رجل " من مصر عليه ، فإنه ليحدثه إذ حَبَّقَ (٣) ؛
 فَانْقَبَضَ وَتَرَكَ الْكَلَامَ ، فَقَالَ مَعَاوِيَةُ : خَذْ فِيمَا كُنْتَ
 فِيهِ . فَمَا سَمِعْتُهَا مِنْ أَحَدٍ أَكْثَرَ مِمَّا سَمِعْتُهَا مِنْ نَفْسِي .
 ودخل عليه رجل " مرتفعُ العطاء فرأى في عينيه
 رَمَصًا (٤) ؛ فَحَطَّ عَطَاءَهُ وَقَالَ : بَعِجْ أَحَدُكُمْ إِذَا
 أَصْبَحَ أَنْ يَتَعَهَّدَ أَدِيمَ وَجْهِهِ .

-
- (١) حُثَالَةُ الْقَرَطِ : نَفَايَتُهُ ، وَالْقَرَطُ : وَرْدُ شَجَرِ السَّلْمِ .
 (٢) الْقَرَاظَةُ : مَا يَتَصَافَتُ مِنَ الثَّوْبِ عِنْدَ قَمِهِ . وَالْجَلَمُ : الْمَقْصَرُ .
 (٣) حَبَّقَ : ضَرَطَ .
 (٤) الرَّمَصُ : قَذَى الْبَيْنِ .

وقال لقريش في خلافته : إني أقعُ إذا طرتم ، وأطير إذا وقعتُم ، ولو وافق طيرائي طيرانكم لاختلفنا .

وقال : العيال أرَصَّةُ (١) المال .

وقيل له : ما بَلَغَ من عقلِكَ ؟ قال : لم أثقُ بأحدٍ .
ونظر إلى يزيدَ وهو يضربُ غُلاماً له ؛ فقال له :
لا تُفسِدْ أدَبَكَ بتأديبه ، ولكن و كَلِّ به من يؤدبه .

رُوي عن بعضهم أنه قال : قدم معاوية المدينة ،
فدنوتُ من المنبر لأحفظَ عنه ؛ فحمد الله وأثنى عليه ،
ثم قال :

أما بعد ، فإنا قدمنا على صديق مستبشر ، وعلى عدو
مُسْتَبْشِر ، وناسٍ بين ذلك ينظرون وينتظرون ؛
فإن أعطوا منها رضوا ، وإن لم يعطوا منها سخطوا .
ولسنا نَسعُ الناسَ كلَّهم ، فإن تكن شمعةٌ فلا بدَّ من
لأئمة ، ليكونَ لوماً هوناً ، إذا ذكر غفَر ، وإياكم

(١) الأرضة : دوية قارضة ، والمراد : تفني المال كما تفني
الأرضة ما تقرضه .

والعُظْمَى التي إن ظهرت أُوبِقَتْ ، وإن خَفِيَتْ
أُوتِغَتْ (١) .

وبلغه أن ابنته امتنعت على ابن عامر في الافتضاص ،
فمَشَى إليها يَتَوَذَّفُ (٢) في مِشْيَتِهِ ، وفي يده مَخْصَرَةٌ ،
فجلس ، وجعل يَمَكْتُ في الأَرْضِ ويقول :

مِنْ الخِيفَرَاتِ البَيْضِ ، أُمَّةً أَحْرَامُهَا
فَصَعْبٌ ، وَأَمَّا حُلُّهَا فَذَلِكَ

وخرج ، ودخل ابن عامر فلم تمنع عليه .
وسئل : ما النُّبْلُ ؟ . فقال : الحِلْمُ عند الغضبِ ،
والعَفْوُ عند المقدرة .

وقال : الدُّنْيَا بِحَذَائِرِهَا (٣) الْخَفْضُ والدَّعَةُ .
وقال له رجل : والله لقد بَايَعْتُكَ وَأَنَا كَارِهِ .
فقال : قد جعل الله في الكره خيرا كثيرا .

(١) أوتفت : أهلك . وأوبقت : أهلك .

(٢) يتوذف : يسرع الخطا ويقاربها .

(٣) حذائرها : جمع حذور وهو الجانب والمراد : كل ما تشتمل

عليه .

وكان يَأْذَنُ لِلْأَحْنَفِ فِي أَوَّلِ مَنْ يَأْذَنُ لَهُ ،
 فَأَذِنَ لَهُ يَوْمًا ، ثُمَّ أَذِنَ لِمُحَمَّدِ بْنِ الْأَشْعَثِ ، فَجَاءَ
 مُحَمَّدٌ فَجَلَسَ بَيْنَ مُعَاوِيَةَ وَبَيْنَ الْأَحْنَفِ ؛ فَقَالَ لَهُ مُعَاوِيَةُ :
 لَقَدْ أَحْسَسْتَ فِي نَفْسِكَ ذُلًّا ، إِنْ لَمْ أَذِنْ لَهُ قَبْلَكَ لِيَكُونَ
 فِي الْمَجْلِسِ دُونَكَ ، وَإِنَّا كَمَا نَمْلِكُ أُمُورَكُمْ نَمْلِكُ
 تَسَاوِيَكُمْ ، فَأَرِيدُوا مَا يَرَادُ بِكُمْ ؛ فَإِنَّهُ أَبْقَى لِنِعْمَتِكُمْ ،
 وَأَحْسَنُ لَأَدَبِكُمْ .

وقال معاويةُ في النساءِ : إِنْهُنَّ يَغْلِبْنَ الْكِرَامَ
 وَيَغْلِبُهُنَّ اللَّشَّامُ .

وفخر عنده سُلَيْمٌ مَوْلَى زِيَادٍ ، فَقَالَ مُعَاوِيَةُ :
 اسْكُتْ ، فَوَاللَّهِ مَا أَدْرَكَ صَاحِبُكَ شَيْئًا بِسَيْفِهِ إِلَّا وَقَدْ
 أَدْرَكَتْ أَكْثَرُ مِنْهُ بِلِسَانِي .

* * *

يَزِيدُ بْنُ مُعَاوِيَةَ وَوَلَدُهُ

كتب إلى أهل المدينة : أما بعدُ ، فـ « إِنْ اللَّهَ لَا
 يُغَيِّرُ مَا يَقُومُ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بَأْنَفُسِهِمْ وَإِذَا

أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ ، وَمَا لَهُمْ مِنْ
دُونِهِ مِنْ وَآلٍ » (١) وَإِنِّي وَاللَّهِ لَيُبَسِّتُكُمْ
فَأَخْلَقْتُكُمْ (٢) . وَرَفَقْتُ بِكُمْ فَأَخْرَقْتُكُمْ (٣) . ثُمَّ
وَضَعْتُكُمْ عَلَى رَأْسِي ، ثُمَّ عَلَى عَيْنِي ، ثُمَّ عَلَى فَمِي ،
ثُمَّ عَلَى بَطْنِي ، وَابْتِغَايْتُ اللَّهَ اثْنًا وَضَعْتُكُمْ تَحْتَ قَدَمِي
لَأَطَأَنَّكُمْ وَطَأَةً أُقِيلُ بِهَا عَذَابَكُمْ ، وَأَذِلُّ غَابِرَكُمْ ،
وَأَتْرِكُكُمْ أَحَادِيثَ تُنْسَخُ فِيهَا أَخْبَارُكُمْ مَعَ أَخْبَارِ عَادٍ
وَنُوحٍ .

لَعَلَّ الْحَلِيمَ دَلَّ (٤) عَلَيَّ قَوْمِي
وَقَدْ يُسْتَجْهَلُ الرَّجُلُ الْحَلِيمُ (٥)

تَكَلَّمْتُ يَوْمًا عِنْدَ مَعَاوِيَةَ الْخَطِيبَاءُ فَأَحْسَنُوا وَأَكْثَرُوا ؛
فَقَالَ : وَاللَّهِ لَا رَمِيْنَهُمْ بِالْخَطِيبِ الْأَشْدَقِ (٦) ، قُمْ
يَا يَزِيدُ فَتَكَلَّمْ .

(١) سورة الرعد : ١١ .

(٢) أَخْلَقْتُكُمْ : أَلْبَسْتُكُمْ .

(٣) أَخْرَقْتُكُمْ : سَبَّيْتُ لَكُمْ الْحَرَّ وَهُوَ الْحَقُّ .

(٤) دَلَّ : جَرَأَ ، مِنْ الدَّلَالِ .

(٥) الْبَيْتُ لِقَيْسِ بْنِ زَهْرٍ الْعَبْدِيِّ .

(٦) الْأَشْدَقُ : الْوَاسِعُ الشَّدَقِينَ .

ذكر أن الحجاج لما أكره عبداً لله بن جعفر على أن يزوجه ابنته (١) استأجله في ثمنها سنة ، ففكر عبداً لله في الانفكاك منه ، فألقى في روعه خالد بن يزيد ابن معاوية ، فكتب إليه يعلمه ذلك . وكان الحجاج تزوجها بإذن عبد الملك ، فورد على خالد كتابته ليلاً ، فاستأذن من ساعته على عبد الملك ، فقيل : أفي هذا الوقت ؟ فقال : إنه أمر لا يؤخر ، فأعلم عبد الملك بذلك . فأذن له ، فلما دخل إليه قال عبد الملك : فيم السرى (٢) يا أباهاشم ؟ قال : أمر جليل ، لم آمن أن أؤخره ، فتحدث عليّ حادثة ، فلا أكون قضيت حق بيعتك . قال : ما هو ؟ قال : تعلم أنه كان بين حيين من العداوة والبغضاء ، ما كان بين آل الزبير وبيننا ؟ قال : لا . قال : فإن تزوجني إلى آل (٣) الزبير حللت لهم ما كان

(١) هي أم كلثوم بنت عبد الله بن جعفر ، وأما زيب بنت علي ابن أبي طالب .

(٢) السرى : السر ليل .

(٣) تزوج خالد بن يزيد رة بنت الزبير بن العوام وله فيها شعر .

في قلبي ، فما أهل بيت أحب إليّ منهم . قال : إن ذلك ليكون ؟ قال : فكيف أذنت للحجاج أن يتزوج من بني هاشم ، وأنت تعلم ما يقولون ويقال فيهم ، والحجاج من ملطانيك بحيث عاصت . قال : فجراه خيراً . وكتب إلى الحجاج يعزم عليه أن يطلقها . فطلقها . فغدا الناس يُعزّرونه عنها .

وكان فيمن أتاه عمرو بن عتبة بن أبي سفيان (١) ، فأوقع الحجاج بخالد . فقال : كان الأمر لآبائه فعجز عنه حتى انتزع منه . فقال له عمرو : لا تقل ذلك أيها الأمير ؛ فإن لخالد قديماً سبق إليه ، وحديثاً لن يغلب عليه ، فلو طأست الأمر اطلبه بجدة وجدّ ، ولكن عالم علماً فسلم العلم إلى أهله . فقال الحجاج ؛ يا آل أبي سفيان ؛ أنتم تحبّون أن تحاسنوا ، ولا يكون الحلم إلا عن غضب ، ونحن نغضبكم في العاجل ابتغاء مرضاتكم في الآجل .

(١) عمرو بن عتبة بن أبي سفيان ابن عم خالد بن يزيد ، قتل مع ابن الأشعث .

ثم قال الحمّاج : والله لأتزوجنّ من هو أمس
به رحماً ، ثم لا يمكنه فيه شيء : فتزوج أمّ الحلاس
بنت عبد الله بن خالد بن أسيد .

تهذّب عبد الملك بن خالد بالجرّمان : فقال خالد :
أتهذّبني ، ويعدّ الله فوقك مانعة ، وعطاء الله دونك
مبدول ؟ .

قال رجل لخالد بن يزيد بن معاوية : ما أقرب شيء ؟
قال : الأجل . قيل : فما أبعد شيء ؟ قال : الأمل .
قيل : فدا أنس شيء ؟ قال : الصاحب المذوّبي (١) .
قيل : فدا أوحش شيء ؟ قال : المسيت .

دخل عبد الملك بن مروان على يزيد بن معاوية .
فقال : يا أمير المؤمنين ، إن لك أرضاً بوادي القرى (٢)
ليست لها غلّة ، فإن رأيت أن تأمر لي بها فقال له يزيد :
إن لا نأخذ عن الصغير ، ولا نأخذ بالكبير ، وهي لك .

(١) الصاحب المواقف . الموافق .

(٢) وادي القرى : وهو واد بين المدينة والشام ، من أعمال المدينة
سمي كذلك لكثرة القرى فيه .

فلما ولى قال يزيد: إن أهل الكتب يدعون أن هذا يرث ما نحن فيه ، فإن كان كما قالوا فقد صانعناه ، وإن لم يكن فقد وصانناه .

قال معاوية ليزيد : إن كنت بعدي - وكنته فابدأ بالخير ، فإنه يُعَفِّي (١) على الشر . وما صنعت من شيءٍ فاجعل بينك وبين الله ستراً ترجوه له ، وتأمله به . وإياك والقتل فإن الله قاتل القاتلين .

وصف معاوية الوليد بن عتبة (٢) فقال : إنه لبعيد الغور ، ساكن الفُور (٣) ، نبتة أصل لا يخلف ، وسليل فحل لا يُقْرِف (٤) .

ودخل خالد بن يزيد دار عبد الملك ، وكان يسحب

(١) يعني على الشر : يزيله ويفنيه .

(٢) الوليد بن عتبة بن أبي سفيان ، ابن أخي معاوية ، اشتهر بالفصاحة والحلم والكرم .

(٣) الفور : مصدر فار والمراد قليل الغضب .

(٤) أقرف الفرس : صار هجيناً وأقرف الرجل إذا كان أحد

أبويه غير عربي

ثيابه ، فقام إليه عبد الرحمن بن الضحاك (١) يتلقاه
معظماً له ؛ فقال له : بأبي أنت وأمي ، لم تُطعم الأرض
فضول ثيابك ؟ فقال : إني أكره أن أكون كما قال
الشاعر :

قصير الثياب فاحش عند بيته

وشر قريش في قريش مركباً (١)

وهذا البيت هُجي به الضحاك . قال الجاحظ : لو
لم يتكلف مالا يعنيه لم يسمع هذا الجواب .

قال بعضهم : كنتُ عند معاويةَ إذ دخل عبدُ الملك ،
فتمحدث ونمض ، فقال معاوية : إنَّ لهذا الغلام همةً ،
وخلقُ أن تبلغَ به هِمَّتُهُ ، وإنه مع ما ذكرتُ تاركُ
لثلاثِ آخذٍ بثلاثٍ : تاركُ مساءةِ الجليسِ جيداً وهزلاً ،
تاركُ لما يعتذرُ منه ، تاركُ لما لا يعنيه ؛ آخذُ بأحسنِ
الحديثِ إذا حَدَّثَ ، وبأحسنِ الاستماعِ إذا حَدَّثَ ،
وبأهونِ الأمرينِ عليه إذا خولفَ .

(٥) عبد الرحمن بن الضحاك بن قيس ، قتل أبوه في موقعة مروج راعط ،
واستعمله يزيد بن عبد الملك والياً على المدينة .

(١) المركب . الطبع .

وقال لعُبَيْدِ اللَّهِ بن زياد : يا بن أخي ؛ احفظ غني ،
لا يَكُونَنَّ في عسكرِكَ أميرٌ غيرُكَ . ولا تقولَنَّ على
منبرٍ قولاً يخالفُهُ فِعْلُكَ . ومهما غابت فلا تُغَابِنَنَّ على
مِيتَةٍ كريمة .

وقال معاوية : آفةُ المروءةِ الكبرُ وإخوانُ السوء .
وآفةُ العلمِ النسيانُ ، وآفةُ الحلمِ الدلُ ، وآفةُ الجودِ
السَّرَفُ ، وآفةُ القصدِ البخلُ ، وآفةُ المنطقِ الفحشُ .
وآفةُ الجلدِ الكسلُ ، وآفةُ الرراةِ الكِبَرُ . وآفةُ
الصَّمْتِ العِيُّ ، وآفةُ اللبِّ العُجْبُ ، وآفةُ الظُّرْفِ
الصلَفُ ، وآفةُ الحياءِ الضَّعْفُ .

وقال : لا جَدَّ إلا ما أقْعَصَ عَنْكَ ما تَكْرَهُ (١) .

وقال : لا تَعِدَنَّ شيئاً ، وحسبكُ جوداً أن تُعْطِيَ
إذا سُئِلْتَ .

وقال لابنه يزيد : ما المروءة ؟ فقال : إذا ابتليتَ
صبرت ، وإذا أعطيتَ شكرت ، وإذا وعدتَ أنجزت .

(١) الجَدُ : الحفظ . أقْعَصَ الرجلُ : قتله قتلاً سريعاً .

قال : أنتَ مني ، وأنا منك يا يزيد .

وقال معاويةُ : المروءة مؤاخاةُ الأَكفَاءِ
ومُداجاةُ (١) الأعداء .

وقال : ما وجدتُ لَذَّةَ شيءٍ أَلَذَّ عِنْدِي غَيْبًا (٣)
من غِيظٍ أُنْجِرَعُهُ ، ومن سَفَهٍ بِالْجُلْمِ أَقْبَمَعُهُ .

وأَغْلَظَ لَهُ رَجُلٌ فَاحْتَمَلَهُ ، وَأَفْرَطَ عَلَيْهِ فَحَلَمَ
عَنهُ ، فَقِيلَ لَهُ فِي ذَلِكَ . فَقَالَ : لَا نَحُولُ بَيْنَ النَّاسِ
وَأَلْسِنَتِهِمْ مَا لَمْ يَحْوُوا بَيْنَنَا وَبَيْنَ مَا كُنَّا .

وقال لابنه : يَا بَنِي ، اتَّخَذِ الْمَعْرُوفُ عِنْدَ ذَوِي
الْأَحْسَابِ تَسْتَمِيلُ بِهِ قُلُوبَهُمْ ، وَتَعْظُمُ بِهِ فِي أَعْيُنِهِمْ .
وَتَكْفُ بِهِ عَنْكَ عَادِيَتُهُمْ .

• • •

(١) المداجاة : المداراة ، وعدم إظهار العداوة

(٢) الب : العاقبة .

الباب الثاني

كلام مروان بن الحكم^(١) عنه في الخلفاء

كتب مروان إلى النعمان (١) بن بشير بخطب إليه
ابتته أم أبان لابنه عبد الملك :

بسم الله الرحمن الرحيم .

من مروان بن الحكم إلى النعمان بن بشير .
سلام عليك ، فإني أحمّد إليك الله الذي لا إله
إلا هو .

أما بعد ؛ فإن الله ذّا المنّ والبرهان ، والعظّمة
والسلطان ؛ قد خصّكم — معاشر الأنصار — بنصرة

(١) مروان بن الحكم ولد سنة ٢ هـ استكبه عثمان بن عفان وولاه
معاوية المدينة ومكة والطائف ، تولّى الخلافة واستمر بها أشهراً ، ومات
سنة ٦٥ هـ .

(٢) النعمان بن بشير بن سعد الأنصاري ، ولد قبل وفاة الرسول
بثمان سنين .

دينه ، وإِعْزَازِ نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وقد جعلك منهم في البيتِ العميمِ ، والفرعِ القديمِ وقد دعاني إلى إحيابِ مُصَاهِرَتِكَ والإِثَارِ لك على الأَكْفَاءِ من ولدِ أَبِي . وقد أَحْبَبْتُ أَنْ تُزَوِّجَ ابني عبدَ الملكِ بنَ مروانِ ابنتَكَ أمَّ أَبَانٍ بنتَ النعمانِ ، وقد جعلتِ صِدَاقَهَا ما نَطَقَ به لسانُكَ وتَرَنَّمَتْ به شَفَتَاكَ ، وبلغه مُنَاكَ . وَحَكَمْتُ بِهِ فِي بَيْتِ الْمَالِ قِبَلَكَ .

وقال مروانُ لابنه : آثِرِ الْحَقَّ ، وَحَصِّنْ مَمْلَكَتَكَ بِالْعَدْلِ ، فَإِنَّهُ سَوْرُهَا الْمَنْعُ الَّذِي لَا يَغْرُقُهُ مَاءٌ ، وَلَا تَحْرِقُهُ نَارٌ . وَلَا يَهْدِمُهُ سَنْجَنِيْقٌ (١) .

وذكر أبو هريرة معاويةَ في مجلس فيه مروانُ فاغتابه ، ثم خاف أن يبلغَ معاويةَ ذلك ؛ فقال : إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ قَالَ : « الْمَجَالِسُ بِالْأَمَانَةِ » ، وسأل مروانَ أن يَكْتُمَ عليه .

(١) المنجنيق : آلة ترمى بها الحجارة .

فقال مروانُ : واللهِ . لَمَّا رَكِبْتَ مِنِّي فِي ظَنِّكَ
بِي أَنِّي أَنَقُلُ حَدِيثَكَ أَعْظَمُ مِثْمًا رَكِبْتَ مِنْ مُعَاوِيَةَ .

عَبْدُ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ

خطب فقال : أَيُّهَا النَّاسُ ، اْعْمَلُوا لِلَّهِ رَغْبَةً أَوْ
رَهْبَةً ، فَإِنَّكُمْ بَنَاتُ نِعْمَتِهِ ، وَحَصِيدُ نِقْمَتِهِ ، وَلَا
تَغْرَسُوا لَكُمْ الْآمَالَ مَا تَمَجَّتَنِيهِ الْآجَالُ . وَأَقِلُّوا
الرَّغْبَةَ فِيمَا يورِثُ الْعُطْبَ ، فَكُلُّ مَا تَزْرَعُهُ الْعَاجِلَةُ
تَقْلَعُهُ الْآجِلَةُ . واحذَرُوا الْحَدِيدَيْنِ ؛ فهُمَا يَكْرَهُانِ
عَلَيْكُمْ بِاقتِسَامِ النُّفُوسِ ، وَهَدْمِ الْمَأْسُوسِ . كَفَانَا
اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ سَطْوَةَ الْقَدَرِ ، وَأَعَانَنَا بِطَاعَتِهِ عَنِ الْحَذَرِ
مِنْ شَرِّ الزَّمَنِ ، وَمُعْضِلَاتِ الْفِتَنِ .

استأذن رجلٌ عليه ، فَأَذِنَ لَهُ ، فوقفَ بَيْنَ يَدَيْهِ
وَوَعَّظَهُ ؛ فقال عَبْدُ الْمَلِكِ لِرَجُلٍ : قُلْ لِلْحَاجِبِ ،
إِذَا جَاءَ هَذَا فَلَا تَمْنَعْنَاهُ ، وَإِنَّمَا أَرَادَ أَنْ يَعْرِفَهُ الْحَاجِبُ
فَلَا يَأْذَنَ لَهُ .

وقال : إِنِّي لَا أَعْرِفُ عِزَّةَ الرَّجُلِ مِنْ ذُلِّهِ بِجِلْسَتِهِ .

وقال له ابنه الوليد : ما السياسة ؟ قال : هيبةُ
الخاصةِ مع صدقِ مودتها ، واقتيادُ قلوب العامةِ
بالإنصاف لها ، واحتمالُ هفوات الصنائع .

ودخل الشعبيُّ عليه ، فخطبَاه في مجلس واحد في
ثلاثٍ ، سَمِعَ الشعبيُّ منه حديثاً ؛ فقال : أكتبنيهِ .
فقال : نحن معاشرَ الخلفاء لا نُكْتَبُ أحداً شيئاً . وذكر
رجلاً فكَتَمْنَاهُ فقال : نحن معاشرَ الخلفاء لا يُكْتَنَى الرجالُ
في مجالسنا ، ودخل إليه الأخطل ، فدعا له بكرسي .
فقال : مَنْ هذا يا أمير المؤمنين ؟ فقال : الخلفاء لا تُسأل ،
فأخرجله في أول مقام .

وقال لأخيه عبد العزيز (١) حين وجهه إلى مصر :
تَفَقَّدَ كَاتِبُكَ وَحَاجِبُكَ وَجَلِيسُكَ ؛ فَإِنَّ الْغَائِبَ يَخْبِرُهُ
عَنْكَ كَاتِبُكَ ، وَالْمَتَوَسِّمَ (٢) يَعْرِفُكَ بِحَاجِبِكَ وَالْخَارِجَ
مِنْ عِنْدِكَ يَعْرِفُكَ بِجَلِيسِكَ .

(١) عبد العزيز بن مروان بن الحكم ، والد عمر بن عبد العزيز ،
ولد في المدينة ، وولاه مروان مصر ، فكانت إقامته بجلوان . توفي
سنة ٨٥ هـ .

(٢) المتوسم : المتفرس المتخيل .

وقال : أفضلُ الرجالِ مَنْ تواضعَ عن رفعة ،
وزهد عن قُدرةٍ ، وأنصف عن قوة .

وقال : الهديةُ السحرُ الظاهرُ .

وقال لِمُعَلِّمٍ ولده : رَوِّ بَنِيَّ الشَّعْرَ يَعْرِفُوا
بِهِ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ ، وَلَا تَرَوْهُمْ شَعْرَ هُذَيْلٍ (١)
فَتَزِينَهُمُ الْفِرَارُ ، وَلَا شِعْرَ أَحْيَحَةَ بْنِ الْجَلَّاحِ (٢)
فَتَحْسِنَ لَهُمُ الْبُخْلُ ؛ وَأَطْعِمَهُمُ اللَّحْمَ تَشْتَدُّ قُلُوبُهُمْ ،
وَجُزُّ أَسْعَارِهِمْ تَغْلُظُ رِقَابُهُمْ .

وقال : اطلبوا معيشةً لا يقدرُ سلطانُ جائِرٍ على
غصبِها . فقيل : وما هو ؟ قال : الأدب .

دخل إليه أعرابيٌّ فبرك بين يديه ، ثم قال : يا أمير
المؤمنين ، إن الناقة إذا منعتِ الحلبَ قومتها العَصا ؛
فقال عبد الملك : إذا تكفّيت الإناء ، وتكسرُ أنفُ
الحالِبِ .

(١) هذيل الأشجبي شاعر أموي ، عني في أواخر أيامه .

(٢) أحичة بن الجلاح بن الحريش : شاعر جاهلي .

وقال لزفر بن الحارث (١) : ما ظنك بي ؟ قال :
ظني بك أنك تقتلني ، فقال : قد أكذب الله ظنك ،
وقد عفوتُ عنك .

ونازعه عبدُ الرحمن بنُ خالدِ بن الوليدِ (٢) ،
فأرَبَني عليه ، فقليل له : لو شكوتَه إلى عمِّه لا انتقم لك
منه ؛ فقال : مثلي لا شكُّو ، ولا أعدُّ — أنا — انتقام
غيري لي انتقاماً ؛ فلما استخلف قبل له في ذلك ؛ فقال :
حَقِّدُ السُّلطان عجز .

قال عمرو بن عبيد (٣) : كتب عبدُ الملك وصيةً
بيده ، وأمر الناس بتدبُّر ما فيها وهي :

(١) كان زفر بن الحارث الكلابي قد خرج على عبد الملك ، مع
الضحاك بن قيس ، ولما قتل الضحاك في مرج راهط تحمّن زفر بقرقيسها
على نهر الفرات إلى أن مات سنة ٧٥ هـ .

(٢) عبد الرحمن بن خالد بن الوليد المخزومي ، قائد شديد البأس
من التابعين ، شهد صفين مع معاوية ، كما شهد فتوح الشام ومات سنة ٤٦ هـ .
(٣) عمرو بن عبيد ، شيخ المعتزلة ، كان أنوّه شرطياً للحجاج وهو
فارسي الأصل . ولد سنة ٨٠ هـ وتوفي سنة ١٤٢ هـ .

إن الله جعل لعباده عُقُولاً عاقبهم بها على معصيته ،
 وأثابهم على طاعته ؛ فالناسُ بين مُحْسِنٍ بنعمة الله عليه ،
 ومُسِيءٍ بخذلان الله إِيَّاه ، والله النعمة على المحسن والحجةُ
 على المسيء ، فما أولى بمن تَمَسَّت عليه النعمةُ في نفسه ،
 ورأى العِبرةَ في غيره ، بأن يضع الدنيا حيث وضعها الله ،
 فيعطي ما عليه منها ولا يكثرُ بما ليس له فيها ، فإنَّ
 الدنيا دارُ فناءٍ ولا سبيل إلى بقائِها . ولا بد من لقاء الله ،
 فأحذركم الله الذي حذركم نفسه ، وأوصيكم بتعجيل
 ما أخرته العَجْزةُ قبل أن تصيروا إلى الدار التي صاروا
 إليها ، فلا تقدرون فيها على توبةٍ . وليست لكم منها
 أوبةٌ ، وأنا استخلفُ الله عليكم ، وأستخلفه منكم .

وأذن يوماً لخاصَّته ، فأخذوا بحالهم ، وأقبل
 رجلٌ منهم على عَيْبٍ مُصْعَبٍ بعد قتله ؛ فنظر إليه
 عبدُ الملك فنظر كراهية ، لِمَا قال ، ثم قال : أُمْسِكْ .
 أما عِلِمْتَ أَنَّ مَنْ صَغَرَ مقتولاً فقد أزرى بقاتله .

* * *

الوليدُ بنُ عبدِ الملكِ (١)

جاء إليه رجلٌ فقال : إن فلاناً نال منك . قال :
أتريدُ أن تقتصَّ أوتارك من الناس ب ؟ .

وهرب من الطاعون ، فقال له رجل : يا أميرَ
المؤمنين إن الله تعالى يقول : « (لن ينفعكم الفرارُ
إن فررتُم من الموتِ أو القتلِ وإذا لاءُ تمتعونَ
إلا قليلاً) » (٢) فقال الوليد : إنما نريدُ ذلك القليل .

وقال له رجلٌ : إن فلاناً شتمك ، فأكب ،
ثم قال : أراه شتمك .

وكان الوليدُ لحناناً ، فدخل عليه يوماً رجلٌ من
العرب ، فقال له الوليدُ : ما شأنك ؟ قال : أودُّ (٣)
في أنفسي وأعوجاجي . فقال له رجلٌ من أصحابه : إن
أميرَ المؤمنين يقولُ لك : ما شأنك ؟ فقال : كذا وكذا .

(١) ولد الوليد بن عبد الملك سنة ٤٨ هـ ، وتولى الخلافة بعد وفاة
أبيه ، وافتتح في عهده الهند والترك والأندلس وهو بابي الجامع الأموي
بدمشق . توفي سنة ٩٦ هـ .

(٢) سورة الأحزاب . ١٦ .

(٣) الأود : العوج .

ولما مات عبدُ الملكِ صعيدُ الوليدُ المنبر ، فحمد الله
وأثنى عليه ، ثم قال : لم أرَ مثلَها مُصيبةً ولم أرَ مثله
ثواباً : موتُ أمير المؤمنين ، والخلافةُ ؛ فإِنَّا لله وإنا إليه
راجعون على المصيبةِ ، والحمدُ لله رب العالمين على النعمةِ
انهمضوا فبايعُوا على بركة الله .

مات لعبدِ الملكِ ابنٌ ، فجاء الوليدُ فعزَّاه ؛ فقال :
يا بني ؛ مُصِيبَتِي فِلكَ أعظمُ من مُصِيبَتِي بأخيك ، متى
رأيتَ ابناً عزَّى أباه ؟ قال : يا أمير المؤمنين ؛ أُمِّي أمرتني
بذلك . قال : هو من مشورة النساء .

وروي أنَّ الوليدَ قام على المنبر بعد موت عبد الملك ؛
فقال :

يا لها مصيبةٌ ما أفجعها وأعظمها ، وأشدّها وأوجعها
وأغمها موتُ أمير المؤمنين ! ويا لها نعمةٌ ما أعظم المنّة
من الله تعالى عليّ فيها ، وأوجب للشكر له بها ، خلافتُهُ
التي سُرِبَتْها (١) .

فكان أولَ من عزَّى نفسه وهنأها بالخلافة .

(١) سُرِبَتْها : ألبستها كالسربال . وفي الكلام استعارة .

فأقبل غيلان بنُ مَسْلَمَةَ الثَّقَفِي (١) ؛ فسلم عليه بالخلافة ، ثم قال : أصبحت يا أمير المؤمنين ورثت خير الآباء ، وسُميت خيرَ الأسماء ، وأُعطيت أفضلَ الأشياء ، فعزَمَ اللهُ لك على الرِّزْيَةِ بالصبر ، وأعطاكَ في ذلك نوافلَ الأجر ، وأعانَكَ في حسن ثوابه على الشكر ، ثم قضى لعبدِ الملك بغير القَضِيَّةِ ، وأنزله المنازل الرَضِيَّةَ . فاعجبهُ كلامُهُ وقال : أنقضي أنت ؟ قال : نعم وأحدُ بني مُعْتَب . فسأله : كم هو من العطاء ؟ فقال : في مائة دينار . فألحقه بشرفِ العطاء ، فكان أول من ألحق بنمر ف العطاء .

* * *

سُلَيْمَانُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ (٢)

تكلّم وفدٌ بين يدي سليمان فأخطّوا ، وتكلّم بعدهم

(١) غيلان بن مسلمة الثقفى شاعر جاهلي أدرك الإسلام وتوفي سنة

٢٣ هـ .

(٢) سليمان بن عبد الملك ، الخليفة التالي بعد الوليد ، ولد بدمشق

سنة ٥٤ هـ ، وولي الخلافة سنة ٩٦ هـ . فتح في عهده جرجان وطبرستان ،

وتوفي سنة ٩٩ هـ .

رجلٌ فأبلغ ، فقال سليمان : كأن كلامه بعد كلامكم
سحابةٌ أبدت عجاجة (١) .

وقال : عجبتُ لهذه الأعاجم ، ملكت طول الدهر ،
فلم تحتج إلى العرب ، وملكك العرب فلم تستغن عنهم .

وتغدى سليمانُ بن عبد الملك عند يزيد بن
المُهَلَّب (٢) ، فقيل له : صيف لما أحسن ما كان في
منزله . قال : رأيتُ غلمانهُ يخدمونه بالإشارة دون القول .
وقال : قد أكلنا الطيب ، ولبسنا اللين ، وركبنا
وامتطينا الفاريه العذراء ، فلم يبق من الدثني إلا صديقٌ
أطرحُ بيني وبينه مؤونة التَّحْفُظ .

سمع سليمانُ رجلاً من الأعراب في سنة جدبة يقول :
ربُّ العبادِ مالنا ومالكنا ؟

قد كنت تسقينا فما بدا لك
أنزل علينا الغيث ، لا أبأ لك (٣)

(١) العجاجة : ما ثار من الغبار .

(٢) يزيد بن المهلب بن أبي صفرة ، قائد شجاع ولد سنة ٥٣ هـ .

(٣) إن لا أبالك تذكر عند المدح ، أي لا مثال لأبيك .

فقال سليمان : أشهد أنه لا أبأ له ، ولا ولد له ولا صاحب . قال المبرد : فأخرجه أحسن مخرج .

قال سليمان ليزيد بن المهلب : ثلاث أنكرهن منك ؛ خفك أبيض مثل ثوبك ، ولا يكون خف الرجل مثل ثوبه ؛ وطيبك ظاهر ، وطيب الرجل يُشم ، ولا يرى أثره ؛ وتكثر من مس لحيثك . قال : فغير خفته وطيبه .

وقال : ما رأيت عاقلاً يهتم بأمر إلا كان معولته على لحيته .

وخطب فقال : الحمد لله الذي ما شاء صنع ، ومن شاء رفع ، ومن شاء وضع ، ومن شاء أعطى ، ومن شاء منع . إن الدنيا دار غرور ، ومزل باطل وزينة ، تقلب بأهلها ، تضحك باكياً ، وتبكي ضاحكاً ، وتخيف آمناً ، وتؤمن خائفاً ، تفقر مشريها ، وتقرّب مقصيها ، ميالة لاعبة بأهلها . عباد الله ؛ اتخذوا كتاب الله إماماً ، وارضوا به حكماً ، واجعلوه لكم قائداً ؛ فانه ناسخ لما كان قبله ، ولن ينسخه كتاب بعده . اعلموا - عباد الله - أن هذا القرآن يملؤ

كيد الشيطان وضاغاثه^١ (١) ، كما يجلو ضوء الصبح إذا
تنفّس أدبار الليل إذا عسعس (٢) .

يَزِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ (٣)

كتب إليه عبد الرحمن بن الضحّاك بن قيس يستأذنه
في غلام يهديه إليه ، فكتب إليه يزيد : إن كنت لا بد
فاعلاً فليكن جميلاً ظريفاً لبيباً أديباً كاتباً ، فقيهاً
حلوّاً ، عاقلاً أميناً سرّياً ، يقول فيحسّن ، ويحضر
فميزّن ، ويغيب فيؤمن .

فكتب إليه : قد التمت صفة أمير المؤمنين ،
فلم أجدها إلا في القاسم بن محمد ، وقد أبى أهله بيعه .

(١) الضغائن : الأحقاد .

(٢) عسعس : يقال : عسعس الليل : إذا أقبل غلامه أو أدبر .

(٣) يزيد بن عبد الملك بن مروان ولد سنة ٧١ هـ ، وتولى الخلافة

بعد عمر بن عبد العزيز سنة ١٠٤ هـ وتوفي سنة ١٠٥ هـ .

هشامُ بنُ عبْدِ المَلِكِ (١)

ذَكَرَ خَالِدُ بْنُ صَفْوَانَ (٢) خَالِدَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ الْقَسْرِيَّ عِنْدَ هِشَامٍ ، فَقَالَ هِشَامُ : إِنَّ خَالِدًا أَدَلُّ فَاُمْلُ (٣) ، وَأَوْجَفُ فَأَعْجَفُ (٤) ، وَلَمْ يَتْرِكْ لِأُوبَةِ مَرَّجَعًا ، وَلَا لِلصَّلَحِ مَوْضِعًا ، وَإِنِّي لَكَمَا قَالَ الشَّاعِرُ (٥) :
إِذَا انْصَرَفْتَ نَفْسِي عَنِ الشَّيْءِ لَمْ تَكْدُ

إِلَيْهِ بِوَجْهِ آخِرٍ الدَّهْرِ تُقْبِلُ

نَمَضَ هِشَامُ عَنْ مَجْلِسِهِ مَرَّةً ، فَسَقَطَ رِدَاؤُهُ عَنْ مَنْكِبِهِ ، فَتَنَاولَهُ بَعْضُ جُلَسَائِهِ ؛ لِيُردَهُ إِلَى مَوْضِعِهِ ، فَجَذَبَهُ هِشَامٌ مِنْ يَدِهِ ، وَقَالَ : مَهْلًا ، إِنَّا لَا نَتَّخِذُ جُلَسَاءَنَا خَوَلَاً (٦) .

-
- (١) هشام بن عبد الملك بن مروان ولد سنة ٣١ هـ ، وقول الخلافة سنة ١٠٥ هـ ، بنى الرصافة وكان يسكنها صيفاً ، وتوفي سنة ١٢٥ هـ .
(٢) خالد بن صفوان بن عبد الله الخثعمي ، من فصحاء العرب .
(٣) أدل بالمحبة فأفطر ، وأدل فأمل مثل يضرب لذلك .
(٤) أوجف الدابة : حثها ، وأعجفها : أهزلها .
(٥) قال البيت معن بن أوس المزني .
(٦) الخول : العبيد والإماء والحاشية ونحوها . يستوى في لفظه المؤنث والمذكر والمفرد والجمع .

عُدَّتْ لهشام — مع دهائه — سقطتان إحداهما :
أن الحاديّ حدا به ؛ فقال :

إنّ عليك أيها البُخْتيُّ (١)
أكرم من تمشي به المطيُّ
فقال هشام : صدق .

والأخرى : أنه ذُكر عنده سليمانُ بن عبد الملك ؛
فقال : والله لأشكوّنّه يوم القيامة إلى أمير المؤمنين
عبد الملك .

وقال له مَسْلَمَةُ أخوه : كيف تطمعُ في الخلافةِ
وأنت بخيلٌ . وأنت جبانٌ ؟ قال لأنّي حلِيمٌ وأنّي
عفيفٌ .

* * *

الوليدُ بنُ يَزِيدَ (٢)

أتى هشام بعُودٍ ؛ فقال للوليد : ما هذا ؟ قال :
خشب يُشَقَّقُ ثم يَرَقَّقُ ، ثم يُلصَقُ ثم تعلَّقُ عليه

(١) الجمال البختي : الخراسانية ؛ والبختي صفة للجمال منها .

(٢) الوليد بن يزيد بن عبد الملك ولد سنة ٨٤ هـ وولي الخلافة

سنة ١٢٥ هـ .

أوتارٌ فينطق فتضرب الكرامُ رؤوسَها بالحيطانِ سروراً
به . وما في المجلس أحدٌ إلا وهو يعلمُ منه ما أعلمهُ ،
وأنت أولهُم يا أمير المؤمنين . .

وقد قيل : إنَّ هذا الكلامَ هو للوليد بن مسعدة
الفرزاري مع عبد الملك بن مروان .

وحكى بعضهم قال : رأيتُ هشامَ بن عبد الملك
يوم تُوفي مسلمةُ بن عبد الملك إذ طلع الوليد وهو
نشوانٌ يجرُ مطرَفَ خَزْ ، فوقف على هشام ، فقال :

يا أمير المؤمنين ؛ إنَّ عُقبَى من بقي لحوقٌ بمن
مضى ، وقد أفقرَ بعدَ مسلمةَ الصَّيْدُ (١) لمن رُمى ،
واختل الثغرُ (٢) فوهى ، وعلى إثر من سلفَ يمضي من
خلف ؛ فتزودوا ، فإن خيرَ الزَّادِ التَّقْوَى . قال :
فأعرض هشامٌ ولم يحجر جواباً ووجم الناس .

(١) أفقر الصيد : أمكن الصيد من فقاره لراميه والمعنى أن مسامة
كان يغزو العدو ويرده ، فحين مات اختل بلد الاسلام وأمكن لمن يتعرض
إليه .

(٢) الثغر : الخد مع العدو .

وقيل : كان عمرُ بنُ الخطاب — رضي الله عنه —
 يأخذ بيده اليمنى أذنه اليسرى (١) ثم يجمع جراميزه (٢)
 ويشبُ ، فكأنما خلّقَ على ظهْر فرسه ، فكان الوليدُ
 ابنُ يزيد يفعلُ مثل ذلك ، وفعلهُ مرةً وهو ولي عهده ،
 ثم أقبل على مسلمة بن هشام (٣) : فقال له : أبوك يُحسنُ
 مثل هذا ؟ فقال مسلمةُ : لأبي مائةُ عبد يحسُنون
 هذا . فقال الناس : لم ينصفه في الجواب .

* * *

يزيدُ بنُ الوليدِ بنِ عبدِ الملكِ (٤)

لما قُتل الوليدُ بنُ يزيدَ قام يزيدُ خطيباً ، فحمد
 الله ، وأثنى عليه ، ثم قال :
 أيُّها الناس ؛ والله ما خرجتُ أشراً ولا بطراً ،

(١) المراد « بأذنه اليسرى » أذن القرس .

(٢) جراميزه : مجموع يده .

(٣) مسلمة بن هشام بن عبد الملك من القواد ، مات في خلافة أبيه .

(٤) يزيد بن الوليد بن عبد الملك ، الملقب بالناقص ، ولد سنة

٨٦ هـ ، وثار على ابن عمه الوليد بن يزيد وقتله ، وتولى الخلافة سنة ١٢٦ هـ
 ولم يمكث بها غير خمسة أشهر ، وتوفي في السنة نفسها .

ولا حرصاً على الدنيا ، ولا رغبةً في الملكِ ، وما بي
 إطرأ نفسي ، وإني لظلومٌ لنفسي إن لم يرحمني ربِّي ،
 ولكني خرجتُ غضباً لله ولدينه ، وداعياً إلى الله ،
 وإلى سنة نبيه ، لما هُدمت معالم الهدى ، وأطفيت
 نورُ أهلِ التقوى ، وظهر الجبارُ العنيد ، المستحلُّ لكل
 حرمة ، والراكبُ لكل بيدة ، مع أنه والله ما كان
 يؤمنُ بيوم الحساب ، وإنه لابنُ عمي في النسب ،
 وكفشي في الحساب .

فلما رأيت ذلك استخرتُ الله في أمري ، وسألتُه
 ألا يَكِلَنِي إلى نفسي ، ودعوتُ إلى ذلك من أجابني من
 أهل ولايتي ، حتى أراحَ اللهُ منه العبادَ ، وطهرَ منه
 البلادَ بحولِ الله وقوته ، لا بحولي وقوتي .

أيها الناس ؛ إن لكم عليّ ألا أضَعَ حجراً على حجر ،
 ولا لبنةً على لبنة . ولا أَكْرِِي (١) نهراً ، ولا أَكْنِزَ
 مالا ، ولا أُعْطِيَه زوجةً ولا ولداً ، ولا أنْزِلَ مالا
 من بلد إلى بلد ، حتى أسُدَّ فقرَ ذلك البلدِ وخصاصةً

(٢) كرى النهر ، يكره ويكرهه : حفره .

أهليه (١) ، بما يُغنيهم ، فإنَّ فضلَ نقلته إلى البلدِ الذي
 يليه ممن هوَ أحوَجُ إليه منه ، ولا أجمركم (٢) في
 بعوثكم فأفتنكم ، وأفتنَ أهليكم ، ولا أغلقَ بابي
 دونكم فيأكل قوئكم ضعيفكم ، ولا أحملَ على أهل
 جزيبتكم ما أجليهم به من بلادهم ، وأقطعَ نسلهم ،
 ولكنَّ عندي أعطياتكم في كل سنة ، وأرزاقكم في
 كل شهرٍ ، حتى تستدرَّ (٣) المعيشةُ بين المسلمين ،
 فيكونَ أقصاهم كآدناهم .

فإنَّ أنا وفيتُ لكم فعليكمُ السمعُ والطاعةُ ، وحسنُ
 المؤازرةِ والمكاثفةِ (٤) ، وإنَّ أنا لم أوفِ لكم فلكم
 أن تخاعوني إلا أن تستسيبوني ، فإن تُبِتْ قبلتُم مني .
 وإن عرفتُم أحداً يقومُ مقامي مسنَّ يُعرفُ بالصلاحِ ،
 يعطيكم من نفسه مثلَ ما أعطيتكم ، فأردتُم أن تباعوه ،
 فأنا أولُ من بآيعه ، ودخل في طاعته .

• • •

(١) الخصاصة . وكذلك الخصاص ، الفقر وسوء الحال والخاصة .

(٢) جهر الجند حبسهم في الثغور عند أرض العدو .

(٣) استدر . كثر .

(٤) المكاثفة . المعاولة .

مَسَلَمَةُ (١)

قال : عجبتُ لمن أحفى شعره (٢) ثم أعفاه ،
وقصّرَ شاربه ثم أطاله ، أو كان صاحبَ سراري (٣) ؛
فأخذَ المهيّرات (٤) .

ولما حضرته الوفاة أوصى بثلث ماله لأهل الأدب ،
وقال : صناعةٌ مجفوُّ أهلها .

وكان إذا كثُرَ عليه أصحابُ الحوائجِ وخشي
الصَّجَرُ أمرَ أن يُحضرَ ندماؤه من أهلِ الأدب ؛ فيتداكرون
مكارمَ الناسِ وجميل طرائقهم ومروءاتهم فيطربُّ ،
ويهيجُ ، ثم يقول : ائذنوا لأصحاب الحاجة ؛ فلا يدخل
أحدٌ إلا قضى حاجته .

وقال له هشام : يا أبا سعيد ؛ هل دخلك ذُعرٌ

(١) مسلمة بن عبد الملك بن مروان ، من أبطال بني أمية ، وله
فتوحات شهيرة ، توفي بالشام سنة ١٢٠ هـ تقريباً .

(٢) أحفى الشعر : قصره وخطف منه .

(٣) السراري : جمع سرية وهي الأمة .

(٤) المهيّرات : ذوات المهر .

قطُّ لحربٍ شهدَتْها أو لعدوٍّ ؟ قال : ما سلمتُ في ذلك
من دُعرٍ ينبّه عليَّ حيلةً ، ولم يَغشَّني فيها دُعرٌ
يسلُبني رأبي . قال هشام : هذه البسالة .

ودخل على عُمرَ بنِ عبد العزيز في مرضه الذي مات
فيه ، فقال : ألا توصيني يا أمير المؤمنين ؟ قال : بسمِ
أوصي ؟ فوالله إن لي من مالٍ (١) . فقال : هذه مائةُ
ألفٍ ، مرٌّ فيها بما أحببت . قال : أو تقبّل ؟ قال :
نعم . قال : ترُدُّها علي من أخذتها منه ظلماً . فبكى
مسلمةٌ ثم قال : يرحمك الله ، لقد أَلَنْتَ مِنَّا قلوباً
قاسيةً ، وأَنْقَيْتَ لَنَا في الصالحين ذكراً .

واستبطلأ عبدُ الملك ابنةَ مسامةَ في مسيره إلى الروم ؛
فكتب إليه :

لِيَمِّنَ الظُّلَمَاءُ سِيرُهُنَّ تَزَحَّصُفُ؟
سَيَّرَ السَّفِينِ إِذَا تَقَاعَسَ يُجْدَفُ (٢)

(١) إن نافية بمعنى ليس ومن زائدة

(٢) البيت لأعنى همدان ، مطلع قصيدة قالها وهو أسير ببلاد الروم

فلما قرأ مسلمة الكتاب ، كتب في جوابه :

ومستعجب مما يرى من أنانيتنا
ولو زبنته (١) الحرب لم يترمرم (٢)

• • •

مروان بن محمد (٣)

دخل عبد الرحمن بن عطية التغلبي على مروان بن محمد ، فاستأذنه في تقبيل يده فأعرض عنه ، ثم قال له :
قد عرف أمير المؤمنين موضعك في قومك ، وفضلك في نفسك ، وتقبيل اليد من المسلم ذلة ، ومن الذمي خديعة ولا خير لك في أن تنزل بين هاتين .

قالوا : كان يأخذ مروان بن محمد كل سنة من الخزانة قبايع (٤) ، فإذا أخلفتها ردهما إلى الخزانة وأخذ جديدين .

(١) زبنته الحرب : دفعته وصدته

(٢) يترمرم : يحرك فاه بالكلام . والبيت لأوس بن حجر .

(٣) مروان بن محمد بن مروان ، وهو ابن أخى عبد الملك بن مروان ، آخر الخلفاء الأمويين ، ولد سنة ٧٣ هـ استول على الملك منه

١٢٧ هـ ، هزم في موقعة الزاب ، وقتل بعصر سنة ١٢٣ هـ

(٤) قبايع : منى قباء ، وهو نوع من الثياب

كتب إلى بعض الخوارج : إني وإيّاك كالزجاجة
والحجر ، إن وقعَ عليها رَحَّتْها ، وإن وقعت عليه فَضَّتْها .

قال الأصمعي : لما وليَ مروانُ الخلافةَ أُرسلَ إلى
ابن رغبان (١) — الذي نُسبَ إليه بعد ذلك مسجدُ ابنِ
رَغْبَانَ — ليُؤيِّتَهُ ، فأدّى له سَجَّادَةً مثلَ رُكبةِ
البعير ، فقال : يا هذا ؛ إن كان مابكَ مِن عِبادَةٍ فما
يحلُّ لنا أن نُسَخِّلكَ . وإن كان من رِياءٍ فما يحلُّ
لنا أن نُسْتَعْمِلَكَ .

قال (٢) عبد الحميد : تعلَّمتُ البلاغةَ من مروان ،
أمرني أن أكتبَ في حاجةٍ فكتبتُ على قدرِ الموسع ؛
فقال لي : اكتب ما أقول لك :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
أما آنَ للحُرمةِ أن تُدْرعى ، وللدُّينِ أن يُقضى ،
وللموافقةِ أن تُتَوَخَّصَ !

(١) هو مولد حبيب بن مسلمة من فريزر .

(٢) هو عبد الحميد بن يحيى بن سعيد المتهور بعبد الحميد الكاتب
أول من طول الرسائل ، وأمس فيها . اخص بمروان بن محمد ، وقتله
العباسيون معه سنة ١٣٢ هـ .

ووقع إلى عامل بالكوفة : حَآبٍ عَلَيْهِ النَّاسُ فِي
كَلَامِكَ ، وَسَوْ بَيِّنُهُمْ وَبَيْنَ السَّمَلَةِ فِي أَحْكَامِكَ .

قالوا : وَلَئِنَّا لَنُقَبُّ بِالْحِمَارِ لِأَنَّ أَصْحَابَ أَبِي
مُسْلِمٍ لَمَّا خَرَجُوا كَانُوا حَمَّارَةً ، فَكَانَ الْوَاحِدُ إِذَا
اسْتَعَجَلَ حِمَارَهُ يَقُولُ : هَرُ مَرَّوَانُ ، هَيْسُ ، مَرَّوَانُ (١)
فَلَمَّا ظَفَرُوا بِهِ اسْتَمَرَّ بِهِ اللَّقَبُ .

قال عمر بن مروان : عرض أبي بظهر الكوفة
ثَمَانِينَ أَلْفَ عَرَبِيٍّ ، ثُمَّ قَالَ بَعْدَ أَنْ وَثِقَ فِي نَفْسِهِ بِكَثْرَةِ
الْعُدَدِ وَالْعُدَدِ : إِذَا انْقَضَتِ الْمُدَّةُ لَمْ تُغْنِ الْعِدَّةُ
وَلَا الْعِدَّةُ (٢) .

قال بعض القرشيين : وفد على مروان بن محمد -
وقد تولَّى الخلافة - ونزل حرَّانَ (٣) قال : فتوالت على
بابه الوفودُ ؛ فخرج لَإِيْنَا آذِنُهُ ، فقال : أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ

(١) هرر . هرهرت بالفهم دسوتها ، والهر ضرب من زجر الإبل
وهس . بكسر الهاء وضمها : زجر للشاة

(٢) أي لا ينفع الرجال ولا السلاح .

(٣) حران . مدينة عظيمة مشهورة على طريق الموصل والشام .

يغسلُ ثيابه . فمن أراد أن يُقيمَ فليقيم . ومن أراد أن
ينصرفَ فلينصرف . فجعل الناس يعجبون من ذلك .
ولم يهرح أحد .

وكان يُقال : لو ذهبت دولةُ بني مروانَ على يد
غير مروانَ لقال الناسُ : لو كان لها مروانُ ما ذهبت .

* * *

الباب الثالث

كلام الخلفاء من بني هاشم السفاح^١

رفع بعضُ السُّعَاةِ إليه قِصَّةً بِسِيعَايَةٍ عَلَى بَعْضِ
عَمَالِهِ ، فَوَقَّعَ فِيهَا :

هَذِهِ نَصِيحَةٌ لَمْ يُرَدَّ بِهَا مَا عِنْدَ اللَّهِ ، وَنَحْنُ فَلَا نَقْبَلُ
قَوْلَ مَنْ آثَرْنَا عَلَى اللَّهِ .

وَمِنْ كَلَامِهِ : إِنَّ مِنْ أَدْنِيَاءِ النَّاسِ وَوَضَعَائِهِمْ مَنْ
عَدَّ الْبُخْلَ حَزْماً ، وَالْحِلْمَ ذُلًّا .

وَمِنْهُ : إِذَا عَظُمَتِ الْمُقَدِيرَةُ قَالَتِ الشَّهْوَةُ ، وَقَلَّ
تَبَرُّعُ^٢ إِلَّا وَمَعَهُ حَقٌّ مُضَاع .

وَمِنْهُ : إِذَا كَانَ الْحِلْمُ مُفْسِدَةً كَانَ الْعَفْوُ مَعْجِزَةً ،
وَالصَّبْرُ حَسَنًا إِلَّا عَلَى مَا أَوْتِنَعَ الدِّينَ (٢) ، وَأَوْهَنَ

(١) عَدَّ اللَّهُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ عَلِيٍّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ ، أَوَّلَ خُلَفَاءِ
الْمِيسَاقِينَ ، وَلَدَ سَنَةَ ١٠٤ هـ وَلَقِبَ بِالسَّفَاحِ ، لِقَوْلِهِ فِي إِحْدَى خُطَبِهِ .
« قَانَا السَّفَاحَ الْهَائِجَ » تَوَفِّيَ سَنَةَ ١٣٦ هـ .

(٢) أَوْتِنَعَ . أَهْلَكَ .

السلطان . والآفةُ محمودةٌ إلا عند إمكانِ الفرصة .

قالوا : كاتمُ المنصورُ أبا العباس في محمد بن عبد
الله بن حسن وأهله ، فقال : يا أمير المؤمنين ، آتيتهم
بالإحسان ، فإن استوحشوا فالشرُّ يُصلح ما عجز عنه
الخيرُ ، ولاتدعُ محمداً يمرحُ في أعينِ العقوق .

فقال : يا أبا جعفر ، إننا كذلك . ومن شدّد نفراً ،
ومنّ لان تألّف . والتغافلُ من سجايا الكرام ،
وما أحسن . اقال أعشى وائل (١) :

يُغضّي عن العوراء (٢) ، أو
لا الحليمُ غيرهما انتصاره

وكان يقول : إن المقدرة تُصغِرُ الأمنية ، لقد كنّا
نستكثرُ أموراً ، أصبحنا نستقلها لأخسّ منّ صاحبنا ،
ثم نسجد شكراً .

* * *

(١) هو الشاعر أعشى بن عيسى المتهور .

(٢) العوراء ، الكلمة أو القطعة القبيحة

الْمَنْصُورُ (١)

ذكر يوماً ملوك بني مروان ، فقال : كان عبدُ
الملكِ جَبَّاراً لا بُدَّ لي ماصنع ، وكان الوليدُ لحافاً معجوناً ،
وكان سليمانُ همُّهُ بطنُهُ وفرجُهُ ، وكان عمرُ أعورَ
بين عميانٍ ، وكان هُنامُ رجلُ القوم .

لما اتصل به خروجُ محمدٍ وإبراهيمَ (٢) - رضى
الله عنهما - شَنَّ (٣) عليه درعَهُ ، وتقلَّد سيفَهُ وصعد
المنبرَ ، فحمد الله وأثنى عليه وقال .

مالي أَكْفَكِيفُ عن سَعْدٍ وتَشْتُمُنِي
ولو شَتَمْتُ بني سعدٍ لَقَدْ سَكَنُوا
جَهْلًا عَلَيْنَا ، وجُبْنَا عن عدوِّهمو
لبُستِ الحَلَّتَانِ : الجَهْلُ والجُبْنُ (٤)

(١) ثابُّ خلفاء العباسيين ، ولد سنة ٩٥ هـ ، وولي الخلافة سنة ١٣٦ هـ .

نابغداد وقويت بتلجيبه حركة الترجمة . توفي سنة ١٥٨ هـ .

(٢) محمد وإبراهيم ابنا عبد الله بن الحسن العلوي : خرج أولهما

سنة ١٠٤ هـ بالمدينة ، وتبعه الثاني في السنة نفسها بالبصرة .

(٣) شَنَّ درعه . أسبغه عليه .

(٤) البينان لقعب بن أم صاحب ساعر إسلامي كان في عهد الوليد بن

عبد الملك .

أما والله لقد عَجَزُوا عما قُمنَا به ، فما عضدُوا
المكافى ، ولا شكروا المنعم .

فماذا حاولُوا ؟ أَشرب رنثًا (١) على غَصَص ،
وأبيتُ منهم على مَضَض ؟ كَلَّا والله أصل ذَا رحمٍ
حاولَ قَطِيعَتَهَا ، ولئن لم يرضَ بالعضو ليطْلُبَنَّ مالا
يوجدُ عندي ، فليُبقِ ذُو نفسٍ على نفسه ، قبل أن
تمضي عنه ، ثم لا يُبَكِّي عليه ، ولا تذهبُ نفسٌ
مَسْرَّةٌ لما أتاه .

وخطب بعد قتلِهِ أبا مسلم (٢) ، فحمد الله ، ثم أثنى
عليه ، ثم قال : أمَّا بعد ، أيها الناسُ ، فإنه من نازَعَنَا
عُرُوءَ هذا القميصِ أوطأناه خبيئ (٣) هذا الغمْدِ —
وأومأ إلى سيفه — وإنَّ عبدَ الرحمن بايعَنَا ، وباعَ
أَنَا على أنه مَنْ نكثَ بنا فقد حَلَّ دَمُهُ ، ثم نكثَ بنا ،
فحكَمْنَا فيه لأنفُسِنَا حُكْمَهُ على غيرِهِ لَنَا ، ولم تَعْنَهُ
رِعايةُ الحقِّ لَهُ من إقامة الحدِّ عليه .

(١) الرنق : الماء المختلط بالطين .

(٢) قتل المنصور أبا مسلم سنة ١٢٧ هـ .

(٣) خبيئ الغمد : ما استتر فيه والمراد السيف .

أهوى (١) هشام (٢) بن عروة إلى يده ليقبلها ،
فقال له : يا أبا المنذر ، إننا نكرمك عنها . ونكرمها
عن غيرك .

استأذن سوار (٣) قاضي البصرة على المنصور .
فأذن له ، فدخل وسلم ، فقال المنصور : وعليك السلام .
ادنُ أبا عبد الله ، فقال : يا أمير المؤمنين ، أأذنو على
مامضى عليه الناس أم على ما أحدثوا ؟ (٤) فقال : بل على
مامضى عليه الناس . فدنا فصافحه ثم جلس ، فقال
المنصور : يا أبا عبد الله ، قد عزمتُ على أن أدعو أهل
البصرة بسجلاتهم ، وأشريتهم (٥) ، فقال : يا أمير
المؤمنين ، نشدتك الله ألا تعرض لأهل البصرة . فقال :
ياسوار ، أباهل البصرة تهددني ؟ والله لهمت أن أوحه

(١) أهوى : انحط من قرب .

(٢) هشام بن عروة بن الزبير ، ولد سنة ٦١ هـ ، من علماء الحديث ،
توفي ببغداد سنة ١٤٦ هـ .

(٣) سوار بن عبد الله قاضي البصرة ، تولى قضاءها سبع عشرة سنة .

(٤) يريد بما مضى عليه الناس : المصافحه ، وبما أحدثوا : تقبيل اليد .

(٥) الأشرية : جمع شري أو شراء .

إليهم من يأخذ بأفواه سككهم وطرقهم ، ويضعُ السيف فيهم فلا يرفعهُ عنهم حتى يفنيهم . فقال : يا أمير المؤمنين ، ذهبتُ إلى غير ما ذهبتُ إليه ، إنما كرهتُ لك أن تتعرض لدعاء الأرملة واليتيم ، والشيخ الكبير الفاني ، والحدث الضعيف . فقال : يا أبا عبد الله ، أنا للأرملة بعل ، ولليتيم أب ، وللشيخ أخ ، وللحدث الضعيف عم ، وإنما أريدُ أن أنظرَ في سجلاتهم وأشرِيتهم لأستخرج مافي أيدي الأغنياء ، مما أخذوه بقوتهم وجاههم من حقوق الضعفاء والفقراء . فقال : وفقك الله للخير ، وأرشدك لما يُحبُّ ويرضى .

كان المنصورُ يقولُ : الملوكُ تحمل كلَّ شيء إلا ثلاثَ خلالٍ : إفشاء السر ، والتعرض للحرم ، والقدح في الملك .

وقال : إذا مدَّ عدوك يدَهْ إليك فاقطعها إن أمكنك ، وإلا فقبلها .

وخطبَ بمكةَ وقد أمَّلَ الناسُ عطاءه ، فقال : أيها الناس ، إنما أنا سلطانُ الله في أرضه ، أسوسُكم

بتوقيقه وتسديده ، ونخازنه على فيثيه ، أعمل فيه
بمشيئته وأقسمه بإرادته ، وقد جعلني الله عز وجل
قُفْلاً عليه ، إذا شاء أن يفتحنني فتحني ، وإذا شاء أن
يُقفِلني أقفلني ، فارغبوا إلى الله أيها الناس في هذا
اليوم الذي عرفكم من فضله ما أنزله في كتابه ، فقال
جلَّ اسمه : (اليوم أكملت لكم دينكم ،
وأتممت عليكم نعمتي ، ورضيت لكم الإسلام
ديناً) (١) أن يوفقني للصواب ، ويسدّني للرّشاد ،
ويُلهمني الرأفة بكم ، والإحسان إليكم ، ويفتحنني
لأعطيائكم ، وقسم أرزاقكم فيكم ، إنه قريب مجيب .

فقال ابن عيَّاش المنتوف : أحال (٢) أمير المؤمنين
بالمَنع على ربه .

خطب المنصور بالكوفة فقال : الحمد لله أحمده ،
وأستعينه ، وأومن به وأتوكل عليه ، وأشهد أن لا إله
إلا الله وحده ، لا شريك له ، وأراد أن يقول : وأشهد أن
محمدًا عبده ورسوله ، فقال رجلٌ : يا أمير المؤمنين ،

(١) سورة المائدة : ٣ .

(٢) أحال الغريم : زجاء إلى غريم آخر .

أَذْكُرَكَ مَنْ تَذْكُرُ بِهِ ، فقال المنصورُ : سَمْعاً سَمْعاً
 لمن فهمَ عن الله ، وأعوذُ بالله أن أذكُرَ بالله وأنساه ،
 وأن تأخذني العزةُ بالإثم : (قد ضللتُ إذا وما أنا مِن
 المهتدين) (١) وأنتَ واللهِ ما الله أردتَ بذلك ، ولكن
 حاولتَ أن يُقالَ : قامَ فقالَ فعوقِبَ فصبر ، وأهونُ
 بها وبقاتلها ! ولو صمتَ لكانَ خيراً له ، فاهتَبيلها
 إذا غفرتُها ، وإياكم وأخواتِها ، فإن الموعظةَ علينا
 نزلتْ ، ومن عندنا انبثَّت ، فرُدُّوا الأمرُ إلى أهلِهِ
 يصدِّروهُ كما أوردُوهُ ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .
 ورجع إلى خطبته .

وقال للمهدي ابنه : يا أبا عبد الله ، لا تُبْرِ مَنْ
 أمراً حتى تفكَّرَ فيه ، فإنَّ فكرةَ العاقِلِ مرآةٌ تُريهِ
 قبيحَهُ وحسنَهُ .

وقال له : يا أبا عبد الله ، الخليفةُ لا يُصْلِحُهُ إلاَّ
 التقوى ، والسلطانُ لا يُقِمُّهُ إلاَّ الطاعةُ ، والرعيةُ
 لا يُصْلِحُهَا إلاَّ العدلُ ، وأولى الناس بالعفوِ أقدرُهم على

(١) سورة الأنعام : ٥٦ .

العقوبة ، وأنقصُ الناسُ مُروءةً وعقلاً مَنْ ظَلَمَ من
هو دونه .

وقال له الربيعُ : إن لفلانٍ حقاً ، فإن رأيت أن
تقضيته فتوليته ناحية . فقال : ياربيعُ ، إنَّ لاتصاله
بنا حقاً في أموالنا ، لافي أعراض المسلمين وأموالهم .
إنَّا لانولي للحرمةِ والرعاية ، بل للاستحقاق والكفاية ،
ولا نُؤثِّرُ ذا النسب والقربة على ذي الدَّرايةِ والكِتابةِ ،
فمن كان منكم كما وصفنا شاركناهُ في أعمالنا ، ومن
كان عَطْلاً (١) لم يكن عُذْرٌ عند الناس في تَوَلِّيَتِنَا
إِشَاءَهُ ، وكان العُذْرُ في تركينَا له وفي خاصِّ أموالنا
مايسعُهُ .

* * *

المُهْدِيُّ (٢)

حكى أن رجلاً أتى باب المهديِّ ، ومعه نعلانِ

(١) العطل . يقال للخالي من أي شيء ، وفي الأصل يقال في الخلو من

الحل للنساء

(٢) محمد بن عبد الله المهدي ثالث الخلفاء العباسيين ، ولد سنة ١٢٧ هـ ،

وتولى الخلافة سنة ١٥٨ هـ كان شديداً على الزنادقة توفي سنة ١٦٤ هـ .

فقال : هما نعلان رسول الله — صلى الله عليه وسلم —
 فعُرفَ المهديُّ ، فأدخلته ووصلته ، فلما خرج قال
 المهديُّ : والله ما هذا نعلُ رسول الله — صلى الله عليه وسلم —
 ومن أين صارت إليه ؟ أيسيراث أم بشرى (١) أم
 هبة ؟ لكني كرهتُ أن يقال : أهدى إليه نعلُ رسول الله
 — صلى الله عليه وسلم — ، فلم يقبلها ، واستخفَّ بحَقِّها .

قال الربيعُ : لما حبسَ المهديُّ موسى بنَ جعفر
 — رضي الله عنه — (٢) رأى في النوم عليا — رضي الله عنه —
 وهو يقول له : يا محمد ، (فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ
 أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ) (٣)
 قال الربيعُ : فأرسلَ إليَّ ليلاً فراعني ذلك ، وإذا
 هو يقرأ هذه الآية — وكان أحسنَ الناس صوتاً — فعرفتني
 خبرَ الرؤيا . وقال : عليٌّ بموسى بنِ جعفر . فجعتهُ
 به ، فعانقه وأجلسه إلى جانبه ، وقال : يا أبا الحسنِ ؛

(١) الثرى والشراء بمعنى واحد .

(٢) هو موسى بن جعفر الطالبي ، ولد سنة ١٤٥ هـ . حبه المهدي

ثم أطلقه .

(٣) سورة محمد : ٢٢ .

لَنِّي رَأَيْتُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - فَقَرَأَ عَلَيَّ كَلَامًا .
أَفْتَوَمَنْنِي أَنْ تَخْرُجَ عَلَيَّ ، أَوْ عَلَيَّ أَحَدٍ مِنْ وَلَدِي ؟
فَقَالَ : وَاللَّهِ مَا ذَاكَ شَأْنِي . فَقَالَ : صَدَقْتَ . يَا رَبِيعُ ،
أَعْطَيْهِ ثَلَاثَةَ آلَافٍ دِينَارٍ ، وَرُدَّهُ إِلَى أَهْلِهِ بِالْمَدِينَةِ .

وَلَمَّا اسْتُخِيفَ أُحْرَجَ مَنْ فِي السَّجُونَ ، فَقِيلَ لَهُ :
إِنَّمَا تُزْرِي عَلَى أَبِيكَ ، فَقَالَ : لَا أَزْرِي ، وَلَكِنْ أَبِي
حَبِيسٌ بِالْمَذْنَبِ ، وَأَنَا أَعْفُو عَنْهُ .

وَوَلَّى الرَّبِيعَ بْنَ أَبِي الْجَهْمِ فَارِسًا ، فَقَالَ لَهُ :
يَا رَبِيعُ ، آثَرِ الْحَقِّ ، وَالزَّمِ الْقَصْدَ ، وَارْفُقْ بِالرَّعِيَّةِ ،
وَاعْلَمْ أَنَّ أَعْدَلَ النَّاسِ مَنْ أَنْصَفَ النَّاسَ مِنْ نَفْسِهِ ،
وَأَجْوَرَهُمْ مَنْ ظَلَمَهُمْ لغيره .

قِيلَ : كَانَ الْمُهَدِيُّ يُصَلِّي الصَّلَوَاتِ كَأَنَّهَا فِي الْمَسْجِدِ
الْجَامِعِ بِالْبَصْرَةِ لَمَّا قَدِمَهَا ، فَأَقِيَمَتِ الصَّلَاةُ يَوْمًا ،
فَقَالَ أَعْرَابِيٌّ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَسْتُ عَلَى طَهْرٍ ، وَقَدْ رَغِبْتُ
إِلَى اللَّهِ فِي الصَّلَاةِ خَلْفَكَ ، فَأَتَمَرْتُ هَؤُلَاءِ أَنْ يَنْتَظِرُونِي
فَقَالَ : انْتَظِرُوهُ رَحِمَكُمُ اللَّهُ ، وَدَخَلَ إِلَى الْمَحْرَابِ ،

فوقف إلى أن أقبلَ ، وقيل له : قد جاءَ الرجلُ ؛ فمعجب
الناسُ من سماحةِ أخلاقِهِ .

هاجتُ رِيحُ سوداءُ في أيامِ المهدي ، فرؤي وهو
ساجدٌ يقولُ : اللهم لا تُشْمِتْ بنا أعداءَنا من الأممِ
واحفظْ فينا دعوةَ نبيِّنا - صلى الله عليه وسلم - وإن
كنتُ أخذتُ العامةَ بلذني فهذهِ ناصيتي بيدِكَ (١) .

وكان المهديُّ يحبُّ الحَمَامَ ؛ فأدخلَ عليه غِيَاثُ بْنُ
إبراهيمَ ؛ فقبل له : حدثتُ أميرَ المؤمنين وكان قد بلغه
استهتارُ (٢) المهديِّ بالحَمَامِ ؛ فقال : حدثتني فلانٌ عن
فلان عن أبي هريرة - رفعه - أنه قال : « لا سَبَقَ
إِلَّا في حافِرٍ أو نَصْلٍ أو جَنَاحٍ » (٣) ؛ فأمر له بعشرةِ
آلافِ درهمٍ . فلما قَامَ ، قالَ المهديُّ ، وهو ينظرُ في
قَفَا غِيَاثٍ : أشهدُ أن قَفَاكَ قَفَا كَذَّابٍ على رسولِ
الله - صلى الله عليه وسلم - وإلَّمَّا استعجلتُ ذلكَ أنَا ،
وأمرَ بالحَمَامِ فِدُبُحَتْ .

* * *

(١) الناصية : قصاص الشعر في مقدم الرأس . يريد : أمري بيدك ،

(٢) الاستهتار بالشيء : الولع به .

(٣) والحديث موضوع .

الهادي (١)

اعتنّت أمّه الخيزران (٢) ، فأراد الركوبَ إليها ، فقال عمرُ بن بزيع (٣) ألا أدلتك على ما هو أنفعُ من عيادتها ، وأجلبُ لعافيتها ؟ قال : بلى . قال : تجلس للمظالم ، فقد احتاج الناسُ إلى ذلك ، فرجع وجلس ووجهَ إليها : إني أردتُك اليومَ ، فعرضَ من حقِّ الله ما هو أوجبُ ، فماتَ إليه ، وأنا أجيئك في غدٍ إن شاء الله .

قال سعيد بن سَلَمَ الباهلي : صلّى بنا الهادي صلاةَ الغداة فقرأ : (عمّ يتساءلون) (٤) فلما بلغ قوله تعالى : ((أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَاداً)) أرتج

(١) موسى بن محمد المهدي بن المنصور ولد سنة ١٤٤ هـ ، تولى الخلافة سنة ١٦٩ هـ .

(٢) الخيزران بنت عطاء جارية اشتراها المهدي ، وولدت له الهادي والرشيد

(٣) عمر بن بزيع ، تولى ديوان زمام الأمانة في عهد المهدي ، وديوان الرسائل في عهد الهادي .

(٤) سورة النبا : ١ و ٦ .

عليه ؛ فردّها ولم يتجنسّر أحدٌ أن يفتّحَ عليه لميَّبَتَه ،
وكان أهيّبَ الناسِ ، فعلمَ ذلك فقراً : ((أَلَيْسَ مِنْكُمْ
رَجُلٌ رَشِيدٌ)) (١) فَفَتَحْنَا عَلَيْهِ ، وَكُنَّا نَعُدُّ هَذَا مِنْ
مَحَاسِنِهِ .

الرَّشِيدُ (٢)

قال لحاجبه : احجُبْ عَنِّي مَنّ إذا قَعَدَ أَطَالَ ،
وإذا سَأَلَ أَحَالَ ، وَلَا تَسْتَخِفَّنْ بِذِي الْحُرْمَةِ ،
وَقَدِّمْ أَبْنَاءَ الدَّعْوَةِ .

عرض له رجلٌ وهو يطوفُ بالبَيْتِ ؛ فقال : يا أَمِيرَ
المُؤْمِنِينَ ؛ إني أريدُ أنْ أَكَلِّمَكَ بِكَلَامٍ فِيهِ نَحْشُونَةٌ
فاحتملته لي . قال : لا ، ولا كرامةَ ، قد بعثَ اللهُ من هو
خَيْرٌ مِنْكَ إِلَى مَنْ هُوَ شَرٌّ مِنِّْي ؛ فقال : ((فَقُولَا لَهُ
قَوْلًا لَيْسَ)) (٣) .

(١) سورة هود : ٧٨ .

(٢) هارون الرشيد بن محمد المهدي ، ولد سنة ١٤٨ هـ ، وتولى

الخِلافة سنة ١٧٠ هـ ، وتوفي سنة ١٩٢ هـ .

(٣) سورة طه : ٤٤ .

ولما احتُضِر قال : واحيائي من رسول الله !

ودعا بعبد الملك بن (١) صالح وعندهُ وُلاةٌ عهدهُ
وقوَّادُ جُنْدِهِ ؛ فجيءَ بهِ وهو يترسُّفُ في قَيْدِهِ ،
فلما مثل بين يدي الرشيدِ . قال الرشيدُ :

أريدُ حياته ويريدُ قَتْلِي

عذِيرَكَ مِنْ خَلِيلِكَ مِنْ مُرَادِ (٢)

واللهِ لَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى شُؤْبُوبِهَا (٣) . وقد جمع (٤) ،
وإلى عارضِها (٥) وقد لمع ، وإلى الوعيدِ قد أَوْرَى ناراً ؛
فأَقْلَعَ عن رُؤُوسِ بِلَا غَلَاصِمِ (٦) ، وَمَعَاصِمِ بِلَا
بَرَاजِمِ (٧) ، مهلاً مهلاً بَنِي هَاشِمٍ ، فَبِي سُهْلَ لَكُمْ

(١) عبد الملك بن صالح العباسي ، من أمراء العباسيين ، حبسه الرشيد
سنة ١٨٧ هـ ، وأطلق الأُمِين سراحه مات سنة ١٩٦ هـ .

(٢) البيت لمعرو بن معد يكرب .

(٣) الشُّبُوب : دُقْمَةُ المَطَر .

(٤) جمع المَطَر : سَال .

(٥) العَارِض : السَّحَابُ الْمُعْتَرِضُ فِي الْآفَاقِ .

(٦) الْغَلَاصِم : جَمْعُ غُلَصِمَةٍ وَهِيَ اللَّحْمَةُ بَيْنَ الرَّأْسِ وَالْعُنُقِ .

(٧) الْبَرَاجِم : جَمْعُ بَرَجَةٍ وَهِيَ مُفَصَّلُ الْإِصْبَعِ .

الْوَعْرُ ، وصفاً لكم الكَدْرُ ، فَتَنَدَّارٍ تَدَارٍ (١) من
 حُلُولٍ دَاهِيَةٍ خِيَوطٍ بِالْيَدِ ، لَتَبُوطٍ (٢) بِالرُّجُلِ .
 فقال : يا أمير المؤمنين ؛ أَأَتَكَلِّمُ فَذًّا (٣) أو توأمًا ؟
 فقال : بل فَذًّا ، فقال : اتَّقِ اللَّهَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فِيمَا
 وَلَاكَ ، وراقبه فيما استترعاك ، ولا تجعل الشُّكْرَ
 بموضع الكُفْرِ لقول قائل يَنْتَهِسُ اللحمَ (٤) ، وَيَتَغُ
 الدَّمَ ؛ فوالله لقد حَدَدْتُ القلوبَ على طاعتِكَ ، وَذَلَّتْ
 الرجالُ لمحبَّتِكَ ، وَكُنْتُ كما قال أَحِبُّ بَنِي كَلَابٍ (٥) .

ومقام ضيقٍ فَرَجَّتُهُ

ببياني ، ولساني ، وجدلٍ

أو يقومُ القبلُ أو فَيَأَلَهُ

زَلَّ عَنْ مِثْلِ مَقَامِي وَزَحَلُ (٦)

(١) نذار : اسم فعل أمر بمعنى أنذر .

(٢) لبوط : صيغة مبالغة من لبط الأرض : ضربها برجله ضرباً شديداً .

(٣) الفذ : الفرد .

(٤) ينتهس اللحم : ينتزعه بالشايبا للأكل .

(٥) لبيد بن ربيعة .

(٦) زحل : تحول عن المكان .

فأمر به فَرُدَّ إلى مَحْبُوسِهِ . ثم قال : لقد دعوت
به ، وأنا أرى مكانَ السيفِ من صَليِفِ قَفَاهُ (١) ، ثم
هَنا قد رُئيتُ له .

كتب الرشيدُ إلى الفضل بن يحيى : أطال الله يا أخي
مُدَّتَكَ ، وأدامَ نِعَمَتَكَ ، والله ما منَعني من لِمَتِيالك
إلا التَطَيُّرُ من عِيادَتِكَ ؛ فاعِزُّ أَخاك ، فوالله ما قَلَّ لك
ولا سَلَاك ، ولا استبدل بك سِوَاكَ .

وعاتبته أم جعفر (٢) في تَقْرِيطِهِ للمأمون ، دونَ
محمدِ ابنِها ، فدعا خادماً بحضرته ، وقال له : وجهُ إلى
محمدٍ وعبدِ الله خادِمَينِ حَصِيفَينِ يَقولان لكل واحد
منهما على الخلوة : ما يَفْعَلُ به إذا أَفْضَتِ الخِلافةُ إليه ؟
فأما محمدٌ فإنه قال للخادمِ : أَقْطِيعُكَ وَأَعْطِيكَ ،
وَأَقْدَمُكَ . وأما المأمون فإنه رمى الخادمَ بِدَوَاةٍ كانت
بين يديه ، وقال : يا بَنَ اللَّخْناءِ (٣) ، أَتَسْأَلُنِي عَمَّا أَفْعَلُ

(١) صليِف القفا : عرْضه أو رأس الفقر التي تلي الرأس .

(٢) أم جعفر هي زبيدة بنت جعفر بن النصور تزوجها الرشيد
سنة ١٦٥ هـ وهي أول حفيدة خليفة وزوج خليفة وأم خليفة تونيت في
أيام المأمون سنة ٢١٦ هـ .

(٣) اللخناء : المستنة الرامحة .

بك يوم يموتُ أميرُ المؤمنين ، وخليفةُ ربِّ العالمين ؟
إني لأرجو أن نكون جميعاً فداءً له .

فرجعا بالخبَر ، فقال الرشيدُ لأم جعفر : كيف
أرينَ ؟ ما أقدمَ ابنك إلاَّ متابعاً لرأيك ، وتركاً
للحزم .

وسايرَه يوماً عبدُ الملكِ بنُ صالح ، فقام رجل ،
فقال : يا أمير المؤمنين ، طأطىء من إشرافِه (١) ،
واشدُّدُ شكايمِه (٢) ، وإلاَّ أفسدَ عليك مُلكك . فقال
الرشيدُ : يا عبدَ الملك ، ما هذا ؟ قال : حاسدُ نعمة ،
ونافسُ رُتبةٍ أغضبه رِضاكَ عنيَّ وباعدَه قُربُكَ مني ،
وساءَه إحسانُكَ إليَّ . فقال الرشيدُ : انْخَفَضَ القومُ
وعَلَوَتهم ، فتوقَّدتْ في قلوبهم جَمرةُ التأسُّف ، فقال
عبدُ الملك : أضرمَها الله بالتزيُّدِ عندك ، فقال : هذا
لك ، وذاكَ لهم .

(١) الإشراف : العلو والالتعاب

(٢) الشكايم : جمع شكيمة ، وهي الحديدة عن اللجام ، المعترضة

في فم الفرس

ثُمَّانُ الْحَسَنِ الْوَلَوِيُّ (١) يَخْتَلِفُ إِلَى الْمَأْمُونِ ، يُلْقِي
 عَلَيْهِ الْفَرَاثِضَ ، فَيَدْخُلُ عَلَيْهِ لَيْلَةً وَقَدْ صَلَّى الْعِشَاءَ الْآخِرَةَ ،
 فَجَعَلَ يُلْقِي عَلَيْهِ ، وَنَعَسَ الْمَأْمُونُ فَأَطْبَقَ جَفَنَيْهِ ،
 فَقَالَ الْحَسَنُ : أُنِمتَ أَيُّهَا الْأَمِيرُ ؟ فَفَتَحَ عَيْنَيْهِ - وَهُوَ إِذْ
 ذَلِكَ صَبِيٌّ - فَقَالَ : عَامِي وَاللَّهِ لَمْ يُغَدِّ بِالْأَدَبِ ،
 خَذُوا بِيَدِهِ وَلَا تُعِيدُوهُ إِلَيَّ .

فَبَلَغَ ذَلِكَ الرَّشِيدَ ، فَتَمَثَّلَ بِقَوْلِ زَهِيرٍ (٢) :

وَهَلْ يُنْبِتُ الْخَطِيئَةَ (٣) إِلَّا وَشِيجُهُ (٤)
 وَتُغْرَسُ إِلَّا فِي مَنَابِتِهَا النَّخْلُ

وَصَعِدَ يَوْمًا الْمَنْبَرَ وَقَدْ شَغِبَ الْجُنْدُ ، ثُمَّ سَكَنُوا
 بَعْدَ إِيقَاعِهِ بِهِمْ ، فَقَالَ :

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مَلَائِكَتِهِ
 الْمُقَرَّبِينَ ، وَالْأَنْبِيَاءِ أَجْمَعِينَ .

(١) الْحَسَنُ بْنُ زِيَادِ الْوَلَوِيُّ ، مَوْلَى لِلْأَنْصَارِ ، تَلَفَّهُ بِالْكُوفَةِ وَرَدَّ إِلَى
 بَغْدَادَ وَاتَّصَلَ بِالْمَأْمُونِ .

(٢) الْمُرَادُ زَهِيرُ بْنُ أَبِي سُلَيْمٍ .

(٣) الْخَطِيئَةُ : الرَّمَاحُ ، نَسَبَ إِلَى خَطِّ الْبَحْرَيْنِ .

(٤) الْوَشِيجَةُ : عَرَقُ الشَّجَرَةِ .

أما بعد ، فقد كان لكم ذنبٌ ، وكان لنا عتْبٌ ،
وكان منكم اضطِلامٌ^(١) ، وكان منّا انتقامٌ . وعندى
بعد هذا التنفيسُ عن المكروبين ، والتفريجُ عن المغمومين ،
والإحسانُ إلى المحسنين ، والتَّغْمُدُ^(٢) لإساءةِ المسيئين ،
وَالْأَلَّ يُكْفِرَ^(٣) لكم بلاءٌ ، ولا يُحْبِسَ عنكم عطاءً ،
وعليّ بذلك الوفاءُ إن شاء الله . ثم نزل .

قال سعيدُ بنِ سَلَمٍ : كان فهمُ الرشيدِ فهمَ
العلماء . أنشده العُماني^(٤) في صفة فرس :

كَأَنَّ أَذُنَيْهِ إِذَا تَشَوَّقَا^(٥)
قَادِمَةً أَوْ قَلَمًا مُحَرَّفَا

فقال الرشيدُ : دَعُ كَأَنَّ ، وَقُلْ : تَخَالُ أَذُنَيْهِ
حتى يستويَ الشعر .

(١) اضطلم الشيء : اجتثه من جذوره .

(٢) التغمّد : التبر ، وأصله من تخيطة السيف في غده .

(٣) يكفر : يبعد .

(٤) هو محمد بن ذؤيب الدارمي ، اشتهر بلقب العماني ، ولم يكن

من عمان ، شاعر رجاز متوسط من شعراء الدولة العباسية .

(٥) تشوف : نصب عنقه .

أُنشِد النَّمْرِيَّ (١) الرّشيدَ شِعراً يقول فيه :

ليست كَأَسْيافِ الحُسَيْنِ ولا بَنِي
حَسَنٍ ، ولا آلِ الزبيرِ الكُللِ (٢)

فقال له الرشيد : وماتوا لَعَكَ (٣) بِذِكْرِ قَوْمِ
لَا يَنَالُهُمْ ذَمٌّ إِلَّا شَاطَرْتُهُمْ لِيَا ه . قَدْ رَأَيْتَنِي هَذَا مِنْكَ
وَفِيكَ ، فَلَا تَعُدُّ لَهْ ، فَإِنَّمَا تَفَارِقُهُمْ فِي الْمَلِكِ وَحْدَه ،
ثُمَّ لَا افْتِرَاقَ فِي شَيْءٍ بَعْدَه .

قال الأصمعي : قال لي الرشيد في أول يوم عزم فيه
على تَأْنِيسِي (٤) : يَا عَبْدَ الْمَلِكِ (٥) ، أَنْتَ أَحْفَظُ مِنَّا ،
وَنَحْنُ أَعْقَلُ مِنْكَ . لَا تَعْلَمُنَا فِي مَلَأٍ ، وَلَا تُسْرِعْ إِلَى

(١) منصور بن سلمة بن الزبرقان النزارى النسري ، شاعر من
شعراء الدولة العباسية ، حبسه الرشيد حتى أطلقه الفضل بن الربيع ، ومات
في أيام الرشيد .

(٢) الكلل : جمع كلال وهو السيف لا حدة له ، أو الذي لا يقطع .

(٣) تولع بفلان : شتمه وذمه .

(٤) التأنيس : العلمائية .

(٥) هو عبد الملك بن قريب العلامة اللغوي الأخباري ولد سنة ٨١٣٨ ،

وتوفي سنة ٨٢١٦ .

تلك كبرنا في خلافة ، واطرقنا حتى نثبتك بالسؤال ،
 فإذا بلغت من الجواب قدر استحقاقه فلا تزدد ،
 وإياك والبداء إلى تصديقنا ، أو شدة العجب بما
 يكون منا ، وعلمنا من العلم مانحتاج إليه ، على عتبات
 المنابر ، وفي أعطاف الخطب ، وفواصل المخاطبات ،
 ودعنا من رواية حوشي الكلام (١) وغرائب الأشعار ،
 وإياك وإطالة الحديث إلا أن نستدعي ذلك منك .
 ومتى رأيتنا صادقين (٢) عن الحق فأرجعنا إليه
 ما استطعت ، من غير تقرير بالخطأ ، ولا إضجار
 بطول الترداد .

قال : قلت : أنا إلى حفظ هذا الكلام أحوج مني
 إلى كثير من البر .

الأمين (٣)

قل لبعض العلماء : كيف كانت بلاغة الأمين ؟

(١) حوشي الكلام : غريبه .

(٢) صدف عن الحق : أعرض .

(٣) هو محمد بن هارون الرشيد ، ولد سنة ١٧٠ هـ ، وبويع له
 بالخلافة سنة ١٩٣ هـ بعد وفاة الرشيد .

قال : والله لقد أتتهُ الخلافةُ يومَ جُمُعَةٍ ، فما كان إلاَّ ساعةً حتى نُودي : الصلاةُ جامعةٌ ، فخرجَ ورقيّ المِنتَبِرَ ، فحَمِدَ اللهَ ، وأثنى عليه . ثم قال :

أيُّها الناس ، وخصوصاً يا بني العباس ، إنَّ المنونَ مرَّاصدُ ذوي الأنفاس ، حتمٌ مِنَّ الله لا يُدْفَعُ حُلُولُهُ ، ولا يُنكَرُ نَزُولُهُ ، فارتجعُوا قلوبكم من الحُزنِ على الماضي إلى السرورِ بالباقي ، تُجزَوْنَ ثوابَ الصَّابرينَ ، وتُعْطَوْنَ أجورَ الشَّاكرينَ .

فتعجب الناسُ من جرأته ، وبِلَّةِ (١) ريقه ، وشِدَّةِ عارضته (٢) .

وكان المأمونُ يقولُ : كان يقول لي الرشيدُ : ودِدْتُ لو أنَّ لكَ بلاغةَ محمد ، وأنَّ عليَّ غِرمَ كذا وكذا .

وذكرَ أنَّ محمداً في صباه كان كثيرَ اللَّعِبِ ، وكان المعلمُ يُلقي عليه في الكُتَّابِ ، وعلى المأمونِ ،

(١) بِلَّةُ اللسان : انطباق الحروف على مخارجها .

(٢) شِدَّةُ العارضة : كناية عن القوة .

وكان محمدٌ يلعبُ ويحفظُ ، والمأمونُ ينسى وهو مُتَّعِلٌ
على العلم يقصِّدُ قصِّدَهُ .

ذُكر أنه دعا يوماً عبدَ الله بن أبي عَفَّانَ ليصطحبَ ،
فأبطأ فلما جاء قال : أظنُّكَ أَكَلْتَهُ . قال : لا والله .
قال : والله لتصدقنَّ ، قال : نعم يا أمير المؤمنين ، فدعا
بحكَّاءٍ فحكَّ أضراسه السُّفلى ، فلما ذهبَ ليحكَّ
العليا قال : يا أمير المؤمنين ، دعها لغضبةٍ أخرى ،
فخلَّاهُ .

قال الفضلُ بنُ مروان (١) : سمعته يقول في
خطبته : الناسُ جميعاً آمنونَ إلَّا أصحابَ الأهواء .
وقال لكاتبٌ بين يديه : دعِ الإطنابَ ، والزمِ
الإيجازَ ، فإنَّ للإيجازِ إفهاماً ، كما أنَّ مع الإسهابِ
استبهاماً .

(١) الفضل بن مروان بن ماسرئس ولد سنة ١٧٠ هـ أخذ البيعة
للمعتصم سنة ٢١٢ هـ ، وكان وزيراً عنده ، ألف بعض الكتب ، توفي سنة
٢٥٠ هـ .

المأمون (١)

وذكر أن الكسائي (٢) قام إليه يوماً -- وهو يُعلِّمُهُ -- وهو صغيرٌ -- فضربه . وقد كان صلَّى ذلك اليوم قاعداً فقال المأمون : أما تستحي أيها الشيخ تصلي لله قاعداً ، وتضربني قائماً ! .

قال بعضهم : قرأتُ كتابَ ذي الرياضتين (٣) إلى المأمون ، وتوقيعَ المأمون فيه ، فإذا في الكتابِ بعد الصَّدر والدعاء :

إِنَّ قَارِئاً قَرَأَ الْبَارِحَةَ : « وَقُلْنَ نِسْوةٌ فِي الْمَدِينَةِ » (٤)

(١) عبد الله بن هارون الملقب بالمأمون ، ولد سنة ١٧٠ هـ من أم ولد ، ولي الخلافة سنة ١٩٨ هـ وكان عصره من أزهى عصور الثقافة العربية توفي سنة ٢١٨ هـ .

(٢) هو إمام النحو ، وعالم القراءات واللغة علي بن حمزة الأسدي ، رأس النحويين في الكوفة كما كان سيويته في البصرة ، وكان مؤدباً للأمين والمأمون توفي سنة ١٨٩ هـ .

(٣) هو الفضل بن سهل السرخي ، لقب بذي الرياضين لأنه جمع بين رياستي القلم والتدبير أو لأنه جمع بين رياستي الحرب والتدبير .

(٤) الآية : (وقال نسوة في المدينة . . .) سورة يوسف : ٢٠ .

فأنكرنا ذلك عليه ، فذكرَ أن الكسائي أجازه ، وكتاب
الله لا يأتيه الباطلُ من بين يديه ولا من خلفه ، فرددنا
علمَ كتابِ الله إلى خليفته .

قال : وإذا تَوَقَّعُ المأمون فيه : عَمَّرَكَ اللهُ — ذا
الرياستين — طويلاً في طاعته ، وجعلك قائماً بأمر دينه ،
ذائباً عن حريم أمته ، إن لكل علمٍ دستوراً ، ودستورُ
هذا العلمِ القرآنُ ؛ فعليك بقراءته على ما أجمع عليه ،
ولا تلتفتِ إلى مختارٍ قولاً ليعقد له رياسةً ، والسلام .
كتب المأمونُ إلى طاهرٍ لما قتل عليَّ بن عيسى (١)
في رسالة طويلة :

إنما لك من هذا الأمرِ موقعُ السَّهْمِ من الرَّمِيَّةِ ،
والسَّيْدُ والرَّأْيُ . والتدبيرُ لأبي العباسِ الفضلِ بن سهل .
وكان يقولُ : إذا رُفِيعَتِ المائدةُ من بين يديه :
الحمدُ لله الذي جعل أرزاقنا فضلاً عن أقواتنا (٢) .

وقال : ما انفتقَ عليَّ قط إلا وجدتُ سببه
جورَ العمال .

(١) علي بن عيسى بن ماهان ، من نواد العباسين ، وقائد جيش الأمين .

(٢) اجعل أرزاقنا فضلاً عن أقواتنا : زائدة عنها .

وقال : أهلُ السُّوقِ سُفُلٌ ، والصَّنَاعُ أُنْدَالٌ ،
والتَّجَارِبُ خَلَاءٌ ، والكَتَابُ مَلُوكٌ عَلَى النَّاسِ .

وقيل له : ليس في السَّرَفِ شَرَفٌ ، فقال : ليس
في الشَّرَفِ سَرَفٌ .

وقال يوماً لبعضهم : متى فدمت ؟ قال : بعد غدٍ
يا أمير المؤمنين ، فقال : بيني وبينك بَعْدُ مرحلتان .

وقال لعبد الله (١) بن طاهر : تَشَبَّهْتُ ، فإنَّ
اللهَ قد قَطَعَ عِذْرَ الْعَجُولِ ، بما مَكَّنَّه من التَّشَبُّهِ ،
وأَوْجَبَ عَلَيْهِ الْحُجَّةَ عَلَى الْقَلْقِ ، بما بَصَّرَهُ مِنْ
فَضْلِ الْأَنَاءِ . فقال ابنُ طاهر : أَأَكْتَبُهُ ؟ فقال : نعم .

قالوا : لما وجد عمرُ بنُ فرج (٢) كتاباً من أهل
الكَرَّخِ (٣) إلى علي بن محمد بن جعفر بن محمد (٤) -

(١) عبد الله بن طاهر بن الحسين الخراسي ولد سنة ١٨٢ هـ ،
رلى الشام ومصر سنة ٢١١ هـ ، ثم ولي خراسان وبها توفي سنة ٢٣٠ هـ .

(٢) عمر بن فرج الرخجي من أعيان الكتاب في أيام المأمون .

(٣) المراد به كرخ بغداد ، بناء الممتصم للتجار ، وجعله سوقاً
لبغداد ورتبهم فيه .

(٤) هو علي بن موسى بن جعفر أحد أئمة البيعة الإمامية ، توفي

سنة ٢٥٢ هـ .

رضي الله عنهم — جاء به إلى المأمون ، فقال المأمون :
نحن أولى من ستر هذا ولم يُشيعه . ودعا عليّ بن محمد ؛
فقال له : قد وقفنا على أمرك ، وقد وهبنا ذلك لعلّي
وفاطمة — رضي الله عنهما — فاذهب ، وتخير ما شئت
من الذنوب ، فإننا نتخير لك مثل ذلك من العفو .

رفع الواقدي (١) قصة إليه يشكو غلبة الدين ،
وقلة الصبر ؛ فوقع المأمون عليها : أنت رجل فيك
خلتان : السخاء والحياء ؛ فأما السخاء ، فهو الذي أطلق
ما في يدك ، وأما الحياء فبلغ بك ما أنت عليه ، وقد أمرنا
لك بمائة ألف درهم . فإن كُنّا أصبنا إرادتك فازداد
في بسط يدك ، وإن كُنّا لم نصيب إرادتك فبجنايتك
على نفسك . وأنت كنت حدثني ، وأنت على قضاء
الرشيد ، عن محمد بن إسحاق عن الزهري عن أنس بن
مالك أن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — قال للزبير :
« يَا زُبَيْر ؛ إِنَّ مَفَاتِيحَ الرِّزْقِ بِلِزَامِ الْعَرْشِ ، يُنْزَلُ

(١) الواقدي : هو محمد بن عمر بن واقد ، من المؤرخين ، وحفاظ
الحديث تولى القضاء ببنداد ، ولد سنة ١٧٠ هـ ، وتوفي سنة ٢٥٧ هـ .

اللَّهُ لِلْعِبَادِ عَلَى قَدَرٍ نَفَقَاتِهِمْ ؛ فَنَ كَثُرَ كَثْرَ لَهُ .
وَمَنْ قَلَّلَ قَلَّلَ لَهُ . »

قال الواقدي : وَكُنْتُ أَنْسَيْتُ هَذَا الْحَدِيثَ ؛ فَكَانَتْ
مَذَاكِرُهُ لِيَسَائِي بِهِ أَعْجَبَ إِلَيَّ مِنْ صَلَاتِهِ .

وقال المأمون : الطَّعَامُ لَوْنٌ وَاحِدٌ . فَإِذَا اسْتَطَبَّتْهُ
فَاشْبَعَ مِنْهُ . وَالنَّدَمَانُ وَاحِدٌ ، فَإِذَا اسْتَطَبَّتْهُ فَاسْتَزِدَّهُ
حَتَّى تَقْضِي وَطَرَكَ مِنْهُ .

وذكر أَنَّ إِبْرَاهِيمَ بْنَ الْمُهْدِي دَخَلَ عَلَى الْمَأْمُونِ ،
وَبَيْنَ يَدَيْهِ صَاعُ رُطَبٍ ، فَقَالَ : ادْنُ فَكُلْ . فَقَالَ :
يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا بِي ؟ وَكَانَ وَجِعَ الْعَيْنِ ؛ فَقَالَ :
وَيَحْكُ وَلَا تَهَبْ عَيْنَكَ لِلرُّطَبِ .

وَدَخَلَ إِلَيْهِ الطَّيِّبُ فَشَكَا إِلَيْهِ وَجَعَ الْأَسْنَانِ ؛ فَقَالَ :
يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَا تَأْكُلِ الرُّطَبَ وَلَا تَشْرَبِ الْمَاءَ بِثَلْجٍ ؛
فَقَالَ : لَوْلَاهُمَا مَا أَرَدْتُكَ .

وَقَعَ الْمَأْمُونُ فِي قِصَّةِ مُتَظَلِّمٍ مِنْ أَبِي عِيْسَى بْنِ

الرشيدي (١) : (فإذا نُفِخَ في الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يومئذٍ وَلَا يُتَسَاءَلُونَ) (٢) .

وتظلم إليه قوم من قاضي جبّل (٣) ، ودكروا أنه بعض رؤوس الخصوم ، فوقع في قصتهم : يُشْنَقُ (٤) إن شاء الله .

وقال : من أراد أن يطيبَ عيشه فليدفع الأيامَ بالأيامِ .
قال العباسُ بن المأمون (٥) لغلّامه : إن رأيتَ في الرِّصَافَةِ بَقْلاً حسناً فاشترِ لي منه بنصف درهم . فقال المأمونُ : أمّا إذ عرفتَ أنَّ للدرهم نصفاً فوالله لا أفلحتُ أبداً .

(١) أبو عيسى هو أحمد بن الرشيد ، أمه بربرية ، كان أديباً ظريفاً وله شعر .

(٢) سورة المؤمنون ، ١٠١ .

(٣) جبل بليد بين النعمالية وواسط ، كانت مدمة كبيرة وينسب إلى قاضيه في أيام المأمون ما يدل على ضعف عقله .

(٤) يشنق : يؤخذ منه الشنق وهو الأرض ما دون الدابة من المعازل الصغار .

(٥) العباس بن المأمون ، ولاءه أبوه الخليفة سنة ٢١٣ هـ .

قال يحيى بن أكرم : ما شَيِّتُ المأمون في بُسْتَانِهِ ،
وَيَدُهُ فِي يَدَيَّ : فَكَانَ فِي الظِّلِّ ، وَأَنَا فِي الشَّمْسِ . فَلَمَّا
بَلَّغْنَا مَا أَرَدْنَا . وَرَجَعْنَا صَرْتُ أَنَا فِي الْفِيءِ وَصَارَ هُوَ
فِي الشَّمْسِ : فَدَرْتُ أَنَا إِلَى الشَّمْسِ ؛ فَقَالَ : لَيْسَ هَذَا
بِإِنصَافٍ ، كَمَا كُنْتُ أَنَا فِي الْفِيءِ ذَاهِبًا . فَكُنْ أَنْتَ
فِي الْفِيءِ رَاجِعًا .

وخطب بمرو - وقد ورد عليه كتابُ الأمينِ
يُعزِّيهِ بِالرَّشِيدِ ، وَيَحْتَثُّهُ عَلَى اخْتِارِ الْبَيْعَةِ لَهُ - فَقَالَ :

إِنَّ ثَمَرَةَ الصَّبْرِ الْأَجْرُ ، وَثَمَرَةَ الْجَزَعِ الْوِزْرُ ،
وَالتَّسْلِيمُ لِأَمْرِ اللَّهِ جَلٌّ وَعِزٌّ فَائِدَةٌ جَلِيلَةٌ ، وَنَجَارَةٌ
مُثْرِبَةٌ ، وَالْمَوْتُ حَوْضٌ مُورُودٌ ، وَكَأْسٌ مَشْرُوبٌ .
وَقَدْ أَتَى عَلَى خَلِيفَتِكُمْ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - مَا أَتَى عَلَى
نَبِيِّكُمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ،
فَمَا كَانَ إِلَّا عَبْدًا دُعِيَ فَأَجَابَ ، وَأَمَرَ فَأَطَاعَ ، وَقَدْ
سَدَّ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ثَلَاثُمَتَهُ (١) وَقَامَ مَقَامَهُ ، وَفِي أَعْنَاقِكُمْ
مِنَ الْعَهْدِ مَا قَدْ عَرَفْتُمْ ؛ فَأَحْسِنُوا الْعِزَاءَ عَنْ إِمَامِكُمْ
الْمَاضِي ، وَاعْتَظُوا بِالنِّعْمَاءِ بِالْوَفَاءِ لَخَلِيفَتِكُمُ الْبَاقِي . يَا أَهْلَ

(١) الطلعة : الحلال .

خُرَّاسَانَ : إِنَّ الموتَ نازلٌ ، والأجلَ طالبٌ ، وأمسِ
واعظٌ ، واليومَ مغتَمٌ ، وغداً منتظرٌ . ثم نزل .

وكتب إليه يزيد بن عقال يُثني على عبد الله بن
طاهر ، فوقَّعَ المأمون في كتابه : عبدُ الله كما ذكرت ،
وعلى أكثر مما وصفت . قد حمَّله أميرُ المؤمنين فاحتملَ ،
وأثقلَه فاضطلعَ .

كانوا يسمُّون أُرصادَ السلطانِ المسالِحَ من السِّلاحِ ،
فكرِهَ ذلكَ المأمونُ فصيَّره المصَالِحَ من المصلحة .

وقال : إذا أصْلَحَ المَلِكُ مَجْلِسَهُ ، واختارَ من
يُجالِسُهُ صالِحَ مُلْكِهِ كُلَّهُ .

ورفع أهلُ الكوفةِ قِصَّةَ إليه يشكون عاملاً ؛
فوقَّعَ : عيني تراكمُ ، وقلبي يرعاكمُ ، وأنا مولٌ
عليكمُ ثِقَتِي ورِضَاكمُ .

وشغب الجندُ فرُفِعَ ذلكَ إليه ؛ فوقَّعَ : لا يُعطَوْنَ
على الشَّغْبِ ، ولا يُحوَجُّونَ إلى الطَّلَبِ .

قال يحيى بنُ أكرمَ : لما أرادَ المأمونُ أن يزوجَ علي

ابن موسى (١) ، قال لي : يا يحيى تكلم ، فهبتُ أن
أن أقولَ أنكحتُ ، فقلتُ : يا أميرَ المؤمنين ، أنت
الحاكمُ الأكبرُ وأنتَ أولى بالكلام ؛ فقال :

الحمدُ لله الذي تصاغرتِ الأمورُ لمشيئته ، ولا
إلهَ إلاَّ الله ، إقراراً برُبوبيَّته ، وصلىَّ الله على محمد
عند ذكره .

وأما بعدُ ؛ فإنَّ الله تعالى جعل النكاحَ سُنَّةَ
الأنامِ ، وفصلاً بين الحلال والحرام ، وإني قد زوجت
ابنَ مَ التَّضَلِّ من عليٍّ بن موسى الرضا ، وقد
مهرتُها عنه أربعمئة درهم .

وقال المأمون : تَمَامُ النعمة أن تُسْتَتَمَ بلزوم
شكرِها ، وأوَّلُ منازل الشكرِ ألاَّ يُتَوَصَّلَ إلى معصيةٍ
منعمٍ بفضل نعمته .

قال أحمدُ بن أبي دؤادٍ (٢) : قال لي المأمون :

(١) علي بن موسى بن جعفر الملقب بعلي الرضا ، ولد سنة ٨١٤٨ ،
وتوفي سنة ٨٢٠٣ .

(٢) أحمد بن أبي دؤاد القاضي ، ولد سنة ٨١٦٦ ، كان محباً
للعلم وتوفي سنة ٨٢٤٦ .

لا يستطيع الناس أن ينصفوا الملوك من وزرائهم ،
ولا يستطيعون أن ينظروا بالعدل بين ملوكهم وحُماهم
وكُفّائهم ، وبين صنائعهم وبطانتهم ، وذلك أنّهم
يسرون ظاهراً حُرمة وخِدمة ، واجتهاداً ونصيحة ،
ويرون إيقاع الملوك بهم ظاهراً ، حتى لا يزال الرجلُ
يقولُ : ما أوقع به إلا رغبةً في ماله ، وإلا رغبةً فيما
لا تجودُ النفوسُ به ، أو لعلّ الحسدَ والملافةَ ، وشهوةَ
الاستبدالِ اشتركتُ في ذلك . وهناك جناباتٌ في صُلب
الملك ، أو في بعض الحُرَم لا يستطيعُ الملك أن يكشفَ
للعامّة موضعَ العورةِ في الملك ، وأن يحتجّ لتلك العقوبة بما
يستحقّ ذلك الذنبُ ، ولا يستطيعُ تركَ عقابه ، لما
في ذلك من الفساد على علمه بأنّ عذره غيرُ مبسوطٍ عند
العامّة ، ولا معروفٍ عند أكثرِ الخاصّة . .

ونزل رجلٌ فعدا بين يديه ، فأشار بيده أنْ حسبك ؛
فقال له بعضُ من كان بقُربِ المأمون : اركبْ .
فقال المأمونُ : لا يقالُ لمثلِ هذا : اركبْ ، إنما يقالُ
لهُ : انصرفْ .

تحدث المأمون يوماً ؛ فضحك إسحاقُ بنُ إبراهيم
المُصنعي (١) ؛ فقال :

يا إسحاقُ ، أوهيلُكَ لشرطتي ، وتفتحُ فاك من
الضحك ؟ ، خذُوا سوادهَ وسيفه ، ثم قال : أنتَ
بالشراب أشبهُ ، ضعوا منديلا على عاتقه ؛ فقال إسحاقُ :
أقبلني يا أمير المؤمنين . قال : قد أقلتكَ . فما ضحك
بعدها .

* * *

المُعْتَصِمُ (٢)

لما أقطع المعتصمُ أشناساً (٣) ضياعَ الحسنِ بن
سهل ، وجّهَ الحسنُ بقبالاتها (٤) إلى أشناس ، وكتبَ إليه :

-
- (١) إسحاق بن إبراهيم المصنعي صاحب الشرطة أيام المأمون -
والمعتصم والواثق والمتوكل - كان صارما ، وتوفي سنة ٨٢٣٥ .
- (٢) هو محمد بن هارون الرشيد ، ولد سنة ٨١٧٩ ، وتولى الخلافة
سنة ٨٢١٨ ، كان شجاعا قويا ، بنى مدينة سمر من رأى وبها توفي سنة ٨٢٥٧ .
- (٣) أبو جعفر أشناس ، من القواد ، ولاه المعتصم مصر سنة ٨٢١٩ ،
اشترك في فتح صورية ، وتوفي سنة ٨٢٣٦ .
- (٤) القبالات : الضمانات والكفالات .

كَلَدَ صَرَفْتُ رَأْيِي أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فِي إِخْلَاصِكَ بِهِذِهِ
الضِّيَاعَ ، وَأُحْبَبْتُ أَلَا تَعْرِضَ عَلَيَّ عَقَبِيكَ عُنُقِي ،
فَأَنْفَذْتُ لَكَ قَبَالَاتَهَا مَعْتَدًا فِي قَبُولِكَهَا بِإِسْبَاحِ النِّعَةِ
عَلَيَّ ، وَادْخَالِ الشُّكْرِ لَدَيَّ ، وَمُقَرَّبًا بِهِ إِلَى سَيِّدِي أَمِيرِ
الْمُؤْمِنِينَ ، فَرَأَيْكَ فِي الْإِمْتِنَانِ عَلَيَّ بِقَبُولِهَا مُوَفَّقًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

فَلَمَّا قَرَأَ الْكِتَابَ أَنْفَذَهُ إِلَى الْمُعْتَصِمِ ، فَوَقَعَ فِيهِ :
ضَمِيمَ فَصِيرَ ، وَسُلَيْبَ فَعْدَرَ ، فَلِيْقَابِلَ الشُّكْرِ عَلَى
صَبْرِهِ ، وَبِالْإِحْسَانِ عَلَى عُدُوِّهِ . وَتُرَدُّ عَلَيْهِ ضِيَاعُهُ ،
وَيُرْفَعُ عَنْهُ خَرَاجُهُ . وَلَا أَوْامِرَ فِيهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ (١) .

قَالَ كَاتِبُ الْعَبَّاسِ بْنِ الْمَأْمُونِ : لَمَّا ثَقُلَتْ الْمُعْتَصِمُ
الْخَلِيفَةُ عَرَضَتْ لَهُ ، فَتَرَجَّاتُ . فَلَمَّا بَصُرَ بِي ، قَالَ :
هَذَا الْمَجْلِسُ الَّذِي لَمْ تَنْزَلْ أَكْثَرَهُ النَّاسَ بِحُلُولِي بِهِ .
قَالَ : فَتَحِيرْتُ ، وَلَمْ أُدْرِ مَا أَقُولُ ، ثُمَّ عَنْ (٢) لِي أَنْ
قُلْتُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، أَنْتَ تَعْفُو عَمَّا تَسْتَبَقِّنُهُ .

(١) يُزَامِرُ فِي الشَّيْءِ : يَسْتَشَارُ فِيهِ .

(٢) عَنْ لَهُ خَاطِرٌ : عَرَضَ لَهُ .

فكيف نُعاقِبُ على ما تتوهمُه ؟ قال : فقال : لو أردتُ
عقابكَ لتركْتُ عِتَابَكَ .

وكان سببُ خروجهِ إلى « سرٍّ مَنْ رأى » (١) أنْ
غلمانُ الأتراكِ . كثُرُوا ببغداد فتولَّعُوا (٢) بحُرْمِ الناسِ
وأولادِهِم ، فاجتمع إليه جماعةٌ منهم ، فقالوا : يا أميرَ
المؤمنين ؛ ما أحدٌ أحبُّ إلينا مجاورةً منك ؛ لأنك الإمامُ
والمحامي عن الدين ، وقد أفرطَ غِلْمَانُكَ ، فلما منعتهُم
منَّا ، ولما نقلتَهُم عنَّا . فقال : نقلُهُم لا يكون إلا
بنقلِي ، ولكني أفتقِدُهُم ، وأزيل ما شكوتُم .

فنظر فإذا الأمرُ قد زادَ وعظُم ، وخاف أن يقعَ
بينهم حربٌ ، وعاهدُوهُ بالشكوى ، وقالوا : إن قدرتُ
على نصفَتنا (٣) ، وإلا فتحوّل عنا . فقال : اتحوّلُ
وكرامةً فرحلَ إلى سرٍّ من رأى ، واتخذَهَا داراً .

(١) سر من رأى : كانت موجودة قبل المعتصم ، واسمها سامرا ،
عمرها المعتصم وسماها : سر من رأى ، وتسمى أيضا سامراء ، وسر من
راء ، وهي على نهر دجلة .

(٢) تولع بعرض فلان : قذف فيه .

(٣) النصفة والإنصاف بمعنى واحد .

وكان يقولُ : الفضلُ بنُ مروانَ عصى اللهَ
- عز وجل - وأطاعني ، فسلّطني الله عليه .

وذكر أنه كان معه غلامٌ في الكتاب يتعلمُ معه ،
فمات الغلام ، فقال له الرشيد : يا محمد ، مات غلامُك .
قال : نعم يا سيدي ، واستراح من الكتاب فقال الرشيدُ :
وإن الكتابَ ليبلغُ منكَ هذا المبلغَ ، دَعُوهُ إلى حيث
انتهى ، ولا تعلّمُوهُ شيئاً ؛ فكان يكتبُ كتاباً ضعيفاً ،
ويقرأ قراءةً ضعيفةً .

حكى عن الفضل بن مروان أنه قال : والله لقد كان
المعتصم مؤيداً من عند الله في أموره كلّها ؛ لقد رجع
يوماً من محاربة الروم ، وقد سهر ليلتهُ وبقي إلى العشاء ،
ولم يَطْطَعَمْ ولم يشرب ؛ فدخل إلى المأمون فعرفه خبّره ،
فإنما هو يخاطبه إذ صيحَ : السلاح السلاح ، واستفتح
أمرُ الروم ؛ فقال له المأمونُ : ارجع يا أبا إسحاق إلى
موضعك . فقال : نعم يا أمير المؤمنين . أمضي إلى مضربي
وأركبُ من ثمَّ (١) ؛ فكان المأمونَ كره هذا منه ،

(١) ثم (بفتح الثاء وتشديد الميم) هناك .

وَنَكَسَ رَأْسَهُ ، واشتدَّ عليه تَأْخِيرُهُ لِأَمْرِهِ ، ففطن
 المعتصمُ ، فقال : يا أميرَ المؤمنين ؛ إن الله عز وجل يقول :
 ((كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَإِتْطَغِيَ ۚ أَن رَّاهُ اسْتَغْنَى)) (١)
 والله لقد رأيتُني ومالي من الدوابِّ إلا أربعٌ ، ومن الغلمان
 إلا أربعةٌ ، وإني لأُقيفُ على باب الحسن بن سهلٍ سائرَ
 يومي ، أتمنَّى أنْ يأمرَني بأمرٍ أنفذُ فيه ، ولي من كلِّ
 هذا اليومَ ألفٌ لتفضلَ أميرَ المؤمنين ، وهو يأمرُني
 بأمرٍ فيه شرفي فأشترطُ عليه . أنا أمضي من وجهي هذا
 على هبتي هذه .

فضحك المؤمنون وقال : ادنُ إليَّ ؛ فدنا إليه ،
 فقبلَ بين عينيه ، ودعا له بالظفر ، وخرج .

* * *

الوائقُ (٢)

قيل : إنه لما مات إبراهيمُ بنُ المهدي ركبَ المعتصمُ

(١) سورة العلق : ٧ و ٦

(٢) الواائق بالله هارون بن محمد المعتصم ، ولد سنة ٢٠٠ هـ ، ولي

الخلافة سنة ٢٢٧ هـ ، ومات بسر من رأى سنة ٢٣٢ هـ .

حتى صلّتي عليه ، ثم قال للوائق : أقيم يا بني حتى
تُجَنَّهُ (١) . وقيل : بل لم يُصلِّ عليه تَجَرُّحاً ، وأمر
الوائق بالصلاة عليه ؛ فسأل عن وصيته ، فوجدته قد
أمر بمالٍ عظيم أن يُفَرَّق على أولاد الصحابة كلهم ،
إلا أولاد علي رضي الله عنه ؛ فقال الوائق : والله لولا
طاعة أمير المؤمنين لما وقفت عليه ، ولا انتظرت دفنه .
ثم انصرف وهو يقول : يَنْحَرِفُ عن شرفه ونخيره
أهله ! والله لقد دلّيته في قبره كافراً ، وأمر ففُرق
في ولد علي — رضي الله عنه — مالا فاضلاً ؛ فأصاب
كل رجل منهم ضعف ما أصاب غيرهم من وصيته .

نظر الوائق إلى أحمد بن الحصب (٢) يمشي
فتمثّل :

مِنْ النَّاسِ لِنَسَانِ دَيْئِي عَلَيْهِمَا
مَلِيَّانِ لَوْ شَاءَ لَقَدْ قَضَيْتَنِي

(١) تجنه : تنزه والمراد : تدفنه وتواريه في القبر
(٢) أحمد بن الحصب وزير للمستنصر والمستعين ، نفى إلى المغرب ،
وتوفي سنة ٥٢٦هـ .

خَلِيلِي ، أَمَّا أُمُّ عَمْرٍو فَمِنْهُمَا
 وَأَمَّا عَنِ الْآخَرَى فَلَا تَسْأَلَنِي (١)
 قَالَ : فَبَلَغَ ذَلِكَ سَلِيمَانَ بْنَ وَهَبٍ ، فَقَالَ : إِنَّا لِلَّهِ ،
 أَحْمَدُ بْنُ الْحَصِيبِ أُمُّ عَمْرٍو ، وَأَنَا الْآخَرَى ، فَكَتَبَهُمَا
 بَعْدَ أَيَّامٍ .

غَنَّى مَخَارِقُ (٢) فِي مَجْلَسِ الْوَائِقِ :
 أَظْلِمُ ، إِنَّ مُصَابِيَكُمْ رَجُلٌ
 أَهْدَى السَّلَامَ بِحَبِّكُمْ ؟ ظَلُمْتُ (٣)
 فَغَنَاهُ « رَجُلٌ » فَتَابَعَهُ بَعْضُ ، وَخَالَفَهُ آخَرُونَ ،
 فَسَأَلَ الْوَائِقِ عَمَّنْ بَقِيَ مِنْ رُؤَسَاءِ النُّحَوِيِّينَ بِالْبَصْرَةِ ،
 فَذَكَرَ لَهُ أَبُو عَثْمَانَ الْمَازِنِيُّ ، (٤) قَالَ : فَأَمَرَ بِحَمَلِي ،

(١) الْبَيْتَانِ لَا بِنَ الدِّمِينَةِ .

(٢) مَخَارِقُ بْنُ يَحْيَى ، كَانَ دُولِي ، أَعْتَقَهُ الرَّشِيدُ ، أَحَدَ الْحَاذِقِينَ
 فِي الْفُضَاءِ ، وَأَوَّلَ مَنْ أَدْحَلَ أَنْثَاهَا فَارِسِيَةً عَلَى النِّعَمِ الْعَرَبِيِّ مَاتَ فِي خِلَافَةِ
 الْمُتَوَكِّلِ ، وَقِيلَ فِي آخِرِ خِلَافَةِ الْوَائِقِ .

(٣) الْبَيْتُ لِلْعَارِثِ بْنِ حَالِدِ الْمُخَزُومِيِّ .

(٤) أَبُو عَثْمَانَ بَكْرُ بْنُ مُحَمَّدِ الْمَازِنِيِّ ، إِمَامٌ مِنْ أُمَّةِ النُّحُوِّ بِالْبَصْرَةِ
 لَهُ تَصَانِيفٌ كَثِيرَةٌ ، تُوُفِيَ سَنَةَ ٨٢٤٩ .

ولمّا زاحه عِلَّتِي فلما وصلتُ إليه وسلّمتُ قال : مِمَّنِ الرجلُ ؟ قلتُ : من بني مازن . قال : أمين مازن قيسٍ ، أم مازن تميم ، أم مازن ربيعة ، أم مازن اليمن ؟ فقلت : من مازن ربيعة . فقال لي : بآاسمُك ؟ يريدُ : ما اسمُك قال : وهي لغةٌ كثيرةٌ في قومنا ، فقلتُ على القياس : مَكْرٌ ، أي : بكرٌ ، يا أميرَ المؤمنين ؛ فضحك وقال : اجلس واطبئن . فجلستُ ، فسألني عن البيتِ ، فأنشدته :

أظلمُ ، إنَّ مصابكُم رجلاً .

فقال : أين خبرُ إنَّ ؟ قلتُ : ظلمُ . أما ترى يا أميرَ المؤمنين أنَّ البيتَ كلُّه متعلقٌ به ، لا معنى له حتّى يتم بهذا الحرفِ ، إذ قال :

« أظلمُ إنَّ مصابكُم رجلاً أهدي السلامَ إليكم » .

فكأنه ما قال شيئاً ، حتّى يقولَ : ظلم . قال : صدقت . ألك ولدٌ ؟ قلتُ : بُنيّةٌ . قال : فما قالت حين ودّعتها ؟ قلتُ : أنشدتُ شعرَ الأعشى :

تقولُ ابنتي حينَ جدَّ الرَّحيلُ
أرانا سواءَ ومن قدَّ يتيمُ
أبانا . فلا رمتَ (١) من عندنا
فإنَّا بخيرٍ إذا لم تَـسـرِمُ
قال : فما قلتَ لها ؟ قال : قول جرير :

ثقي بالله ليسَ لهُ شريكُ
ومِنَ عِنْدِ الخليفةِ بالنجاحِ
فقال : تيقُ بالنجاحِ إن شاء اللهُ . ثم أمر لي بألفِ
دينار وكسوة وطيب .

وكان الواثقُ عالماً بكلِّ شيءٍ ، وله صنعة حسنة
في الغناء ، وكان يُسمَّى المأمونَ الصغيرَ ؛ لأدبِهِ وفضلهِ ،
وكان المأمونُ يجاسه ، وأبوه المعتصمُ واقفٌ . وكان
يقول : يا أبا إسحاق لا تُؤدِّبَ هارونَ ، فإنِّي أَرْضِي
أدبَهُ ، ولا تعرَّضُ عليه في شيءٍ يَمَعَلُهُ .

« . . »

(١) رام عن المكان يريم : نحول .

المتوكِّلُ (١)

قال يزيدُ المهلبِي (٢) : أنسَ بي أميرُ المؤمنينَ في
سبعةِ أيامٍ فوق أنسٍ محمدٍ (٣) كان بي في سبعِ سنينَ .
فقال : إنما أنستُ بكَ في سعةِ أيامٍ لأنسٍ محمدٍ كان
بكَ في سبعِ سنينَ .

قيل للمتوكِّل : لم لا تقلَّد الحسنَ بنَ وهبٍ (٤)
ديوانَ الرسائل . قال : أخافُ أن يحيضَ في الديوانِ .
قال علي بن يحيى : تغدَّيت مع المتوكِّل ، فقدَّم
لُونُ كان استهأهُ ، فوجدَ فيه ذُبَابَةً ، فألقاها وأكلَ ،
ثم وجدَ أخرى وأخرى ، فلما رُفِعَ من بين يديه قال :

(١) المتوكِّل هو جعفر بن محمد المصم ، ولد سنة ٢٠٦ هـ ، وتولى
الخلافة سنة ٢٣٢ هـ ، وأراد نقل مقرها إلى دمشق ، ولكنها لم تطلب له ،
فأد إلى سر من رأى .

(٢) يزيد بن محمد ، من أولاد المهلب ، ساعر ، اتصل بالمتوكِّل
ومدحه ، توفي ببغداد سنة ٢٥٩ هـ .

(٣) المراد بمحمد : المتصر ابن المتوكِّل

(٤) الحسن بن وهب بن سعيد كاتب شاعر ، كان وجيهاً سورياً ،

ومات سنة ٢٥٠ هـ

أعيذوا علينا هذا اللونَ غداً ، وليكن أقل ذهاباً مما هو
اليوم ! !

قال إبراهيم بن المدبر (١) ، قال المتوكلُ : إذا خرج
توقيعي إليك بما فيه مصلحة للناس ، ورفق بالرعية
فأنفذه ، ولا تراجعني فيه ، وإذا خرج بما فيه حيف (٢)
على الرعية فراجعني ، فإن قلبي بيد الله عز وجل .
بلغ المتوكل أن أحمد بن حمدون النديم يحمل
رقاع الفتح إلى خادمه فائز ، فأعد له حساماً ،
وأوصاه بما يريد ، فلما جلس أحمد مع الجلساء قال :
يا أحمد ، ماجزأ من أفسد غلام فتى ؟ قال : تقطع
أذنه ، فدعا بالماجرام فقطع من أذنه قطعة ، وإنما قال
به هذا لأنه كان يحدثه كثيراً بحديث الفتيان والعيارين
ويتنادر بذلك بين يديه ، ثم نفاه إلى بغداد إلى أن كلمه
الفتح فيه ، فرصي عنه .

» » »

(١) إبراهيم بن المدبر ، شاعر كاتب ، كان المتوكل يحبه ويقربه ،
ثم انقلب عليه وحسه مدة ثم أطلقه . مات سنة ٢٧٠ هـ
(٢) الحيف : الظلم والجور .

الْمُنْتَصِرُ (١)

قال : لذّةُ العفوِ أطيبُ من لذّةِ التّشفي ، وذلك لأنّ لذّةَ العفوِ يلحقها حمدُ العاقبة ، ولذّةُ التّشفي يلحقها ذمُّ النّدَم .

ولما تمت لهُ البيعةُ كان أولَ شيءٍ عمله أن عزَلَ صالحَ بنَ عليٍّ عن المدينة ، وولّاها عليّ بنَ الحسينِ بنِ إسماعيلَ بنِ العباسِ بنِ محمّدٍ ، وقال له : إنّما وليتُكَ لتخلُفني في برِّ آلِ أبي طالبٍ ، وقضاءِ حوائجهم ، ورفعها إليّ ، فقد نالتهمُ جفوةٌ ، وخُذْ هذا المالَ ففرّقْه على أقدارهم .

فقال له علي بن الحسين : سأبلغُ بعون الله رضا أمير المؤمنين ، فقال : إذا تسعدُ بذلكَ عند الله وعندي . قال بعضهم : سمعته يوماً وهو يناظر قوماً : والله لا عزَّزَ وقرُّ باطلٍ ، ولو طَلَعَ من جبينهِ القَمَرُ ، ولا ذلَّ ذو حقٍّ ، ولو كان العالمُ عليه .

(١) هو محمد بن حفص المتوكل ، ولد سنة ٢٢٣ هـ ، تولى الخلافة بعد قتل أبيه سنة ٢٤٧ هـ ، توفي في السنة نفسها بعد ستة أشهر من ولايته .

قال بعضهم : سمعتُ بُغا الكبير (١) يقول : مامشيتُ
 بينَ يدي خليفة أهيبَ من المنتصر ، وقد كان ممشي
 بينَ يدي المأمونِ ، والمعتصمِ ، والواثقِ والمتوكلِ .
 قال أحمدُ بن الحُصيب : سمعتُ المنتصرَ لما عفا
 عن الشاري (٢) يقول : أحسنُ أفعالِ القادرِ العقوُ ،
 وأقبحها الانتقامُ .

* * *

المُسْتَعِينُ (٣)

قيل : لما جيء بكتاب الخلع إليه ، وقيل له : وقع
 بخطك فيه ، أخذ الكتابَ فابتدأ ابنُ أبي الشَّواربِ يُملي
 عليه ، فقال له المستعين : أمسيك عافاك الله ، ثم كتب :
 أقرَّ أحمدُ بنُ محمدِ ابنِ أميرِ المؤمنين المعتصمِ
 بالله : « أنه قد بايعَ أبا عبدِ الله المعتزَّ بالله ، هذه البيعة »

(١) بُغا الكبير : أحد قواد الترك ، كان قائداً للمعتصم والواثق والمتوكل والمنتصر ، مات سنة ٥٢٤٨ هـ .

(٢) الشاري : نسبة إلى الشراة ، إحدى فرق الخوارج .

(٣) هو أحمد المستعين بن محمد المعتصم ، ولد سنة ٥٢٢٩ هـ ، ولاء
 للترك الخلفاء سنة ٥٢٤٨ هـ ، ثم خلعوه وقتلوه سنة ٥٢٥٢ هـ ، وكان عهده
 عهد فتن واضطراب .

المنسوخة في هذا الكتاب ، مُوجِباً على نفسه كل ما فيه من الشرائط المثبتة فيه ، والعهود المؤكدة .
وأشهد الله وملائكته على جميع ذلك ، وأشهد من حضر . وكفى بالله شهيداً .

قال : فعجب الناس من فهمه وبلاغته .
وقال له الحسن بن أبي الشوارب (١) : يا أمير المؤمنين ، أشهد عليك بما في هذا الكتاب ؟ قال : نعم خار الله لك يا أبا العباس .

* * *

المُعْتَزُ (٢)

قال الزبير (٣) : لما وفدتُ على المتوكل قال لي : ادخل إلى أبي العباس يعني : المعتز فدخلتُ إليه وهو

(١) الحسن بن محمد بن عبد الملك بن أبي الشوارب الأموي قاضي المعتز ، توفي سنة ٢٦١ هـ ،

(٢) المعتز هو محمد بن جعفر المتوكل ، وقيل أحمد ، وقيل الزبير ، ولد بسر من رأى سنة ٢٣٢ هـ ، وبإيمه الأثرak بالخلافة سنة ٢٥٢ هـ ، كثرت الفتن في أيامه ، واضطاره القواد أن يخلع نفسه ، وهدبوه حتى مات سنة ٢٥٥ هـ .

(٣) الزبير بن بكار أديب أخباري كان قاضي مكة توفي سنة ٢٥٦ هـ .

عبيّ فَحَدَّثْتُهُ وَأَنْشَدْتُهُ فَسَأَلَنِي عَنِ الْحَجَّازِ وَأَهْلِهِ ،
ثُمَّ نَهَضْتُ لِأَنْصُرِفَ فَعَثَرْتُ فَسَقَطْتُ ، فَقَالَ لِي الْمُعْتَزُّ :
يَا زُبَيْرُ :

كَمْ عَثْرَةٌ لِي بِاللِّسَانِ عَثَرْتُهَا
تُفَرِّقُ مِنْ بَعْدِ اجْتِمَاعٍ مِنَ الشَّمْلِ
يَمُوتُ الْفَتَى مِنْ عَثْرَةٍ بِلِسَانِهِ
وَلَيْسَ يَمُوتُ الْمَرْءُ مِنْ عَثْرَةِ الرَّجُلِ

* * *

المُهْتَدِي (١)

كَانَ يَقُولُ : لَوْ لَمْ يَكُنِ الزُّهْدُ فِي الدُّنْيَا ، وَالْإِيثَارُ
لِلْحَقِّ ، بَمَا لَطَّفَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِمَا ، وَوَفَّقَنِي لَهَا ،
رِلَانِي أَرْجُو بِذَلِكَ الْفَوْزَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، لَتَصَنَّعْتُ بِمَا
أَفْعَلُهُ لِلنَّاسِ ، لِيَثَلَا يَكُونَ مِثْلُ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ
فِي خُلَفَاءِ بَنِي أُمَيَّةَ ، وَلَا يَكُونَ فِي خُلَفَاءِ بَنِي هَاشِمٍ بَعْدَهُمْ
مِثْلُهُ ، وَهُمْ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَقْرَبُ .

(١) هو محمد المهتدي بالله بن هارون الواثق ، ولد سنة ٨٢٢٧ هـ ،
وتولى الخلافة سنة ٨٢٥٥ هـ ، كان حميد السيرة زاهدا ، خلعه الترك وقتلوه
سنة ٨٢٥٦ هـ .

قال بعضهم : سمعته يوماً يقولُ لعيسى بن
فرخانشاه (١) : عاون على الخير تسلم ، ولا تجزّه
فتندم . ف قيل له : إنّ هذا بيتُ شعري . قال : ما تعمّدتُ
ذلك ، ولكني رويت قولَ الشاعر :

تعاون على الخيراتِ تظفّر ، ولا تكن
على الإثمِ والعدوانِ ميمّنٌ يُعاونُ

* * *

المُعْتَمِدُ (٢)

قال محمد بن عبيد الله بن يحيى بن خاقان (٣) :
بعثني أبي إلى المعتمد في شيء ، فقال لي : اجلس ،
فاستعظمتُ ذلك ، فأعاد ، فاعتذرتُ بأنّ ذلك لا يجوزُ ،

* * *

(١) عيسى بن فرخانشاه ، وزير المعتمد .

(٢) أحمد المعتمد بن جعفر المتوكل ولد سنة ٨٢٢٩ هـ ، وولي الخلافة
سنة ٨٢٥٦ هـ طالت أيام ملكه ، وعاونه أخوه الموفق معاونة كبيرة على قهر
أعدائه ، ثم استبد بالأمر ، مات سنة ٨٢٧٩ هـ

(٣) محمد بن عبيد الله بن يحيى أبوه وزير المعتمد ، صار محمد
بعده وزيراً للمقتدر وكاتبه .

فقال لي : يا محمد ، إنَّ أدبَكَ في القبول مني خيرٌ من
أدبِكَ في خيلافي .

وقال يوماً لبعضِ نُدَمائِهِ : إذا عدمَ أهلُ التفضُّلِ ،
هَلَكَ أهلُ التَّجَمُّلِ .

* * *

المُعْتَضِدُ (١)

حدَّثَ العلاءُ بنُ صاعدٍ (٢) قال : لما حُصِّلَ رأسُ
صاحبِ البصرة (٣) ركبَ المعتضدُ في جيشٍ لم يَرِ مثلهُ ،
فاشتَقَّ أسواقَ بغدادٍ ، والرأسُ بين يديه ، فلما صرنا
بِبَابِ الطاقِ (٤) صاحَ قومٌ من دربٍ من تلك الدروبِ :

(١) أحمد المعتضد بن طلحة الموفق ، ولد سنة ٥٢٤٢ هـ ، أظهر
يسالة في الحروب ، تولى الخلافة سنة ٥٢٧٩ هـ وكان مهيباً حازماً ، توفي
سنة ٥٢٨٩ هـ .

(٢) العلاء بن صاعد أبو عيسى كاتب أديب ، كان يتعامل على علم النجوم .
(٣) صاحب البصرة أو صاحب الزنج علي بن محمد ، ادعى أنه
علوي سمي بصاحب البصرة لأنه دخلها وذهب كثيراً من أهلها ، وبصاحب
الزنج لأن أتباعه منهم ، خرج سنة ٥٢٥٢ هـ ، وقتله الموفق سنة ٥٢٧٠ هـ .
(٤) باب الطاق : محلة كبيرة ببغداد بالجانب الشرقي منها تعرف
بطاق أسماء .

رَحِمَ اللهُ معاويةَ . وزادَ حتى علَّتْ أصواتُهم ، فتغيَّرَ وجههُ وقال : أما تسمع يا أبا عيسى ؟ ما أعجبَ هذا ! ما ذِكرُ معاويةَ في هذا الأمرِ ؟ والله لقد بلغ أبا الموتَ ، وما أفلتُ أنا منه إلا بعد مُشَارَفَتِهِ ، ولقينا كلَّ جهدٍ وبلاءٍ ، حتى أرحناهم من عدوِّهم ، وحصَّنا حرَمَهم وأموالَهم . تركوا أنْ يترحمُوا على العباسِ ، أو عبدِ اللهِ بنِ العباسِ ، أو مَنْ وُلِدَ من الخلفاء ، وتركوا الترحمَ على أميرِ المؤمنين عليٍّ ، وحمزةَ وجعفرَ والحسنَ والحسينَ ، والله لا يبرحتُ أو أُؤثِّرَ في تأديبِ هؤلاء أثراً لا يعاودُون بعدهُ مثله .

ثم أمرَ بجمْعِ النِّقَاطِينِ (١) لتَحْرِيقِ الناحية ، فقلتُ : أيُّها الأميرُ ، هذا من أشرفِ أيامِ الإسلامِ فلا تُفْسِدْهُ بجهلِ غِائِمَةٍ لا أخلاقَ لهم ، ولم أزل أداريه وأرفقُ به حتى سارَ .

لما وليَ المعتضدُ حُسْنَتَ آثارِهِ ، وأمرَ بالزيادةِ في

(١) النفاطون : جمع نفاط ، الجندي المتخصص برمي النبط المشتعل

لإحراق العدو .

المسجد الجامع بالمدينة ، وأمر بتسهيل عقبة
 حلوان (١) . وأنفق عليها نيفاً وعشرين ألف دينار .
 وأمر بردّ المواريث على ذوي الأرحام . وأخبر النيروز ،
 واستبد (٢) الخراج إلى وقت إدراك الغلات ، وعمّر
 الدنيا ، وضبط الأطراف ، وأحسن السياسة . وقيل :
 إنه أفضت إليه الخلافة وليس في الخزانة إلا سبعة عشر درهماً
 زائفةً ومات وخلف ما يزيد على عشرين ألف ألف دينار .

* * *

المكتفي (٣)

نظر إلى رأس صاحب الزنج ، وقد أخرج إليه من
 من الخزانة ، فقال : لعنه الله ! فإنه عدا على الأنساب (٤) .
 كما عدا على الأسلاب .

* * *

(١) حلوان : المراد التي بالعراق وعرضه حاوان التي بها نخلتا
 حلون الشهيرتان وقد غرم فيها عشرين ألف دينار ، فسهلها بعد أن كان
 الناس يلقون منها مشقة عظيمة .

(٢) استبد الخراج . أخر ميعاد تسديده

(٣) المكتفي بالله : هو علي بن المعتمد ، ولد سنة ٢٦٣ هـ وتولى
 الخلافة سنة ٢٨٩ هـ تغلب على الثائرين عليه ، وتوفي سنة ٢٩٥ هـ .

(٤) المراد : ادعى النسب إلى العلويين وليس منهم . والأسلاب

غنائم الحرب .

المقتدر (١)

حكى أن علي بن عيسى الوزير (٢) كتب عنه كتاباً إلى ملك الروم ، فلما عرض عليه . قال : فيه موضع يحتاج إلى إصلاح ، فسأله عن ذلك - وكان قد كتب في الكتاب : « إن قرئت من أمير المؤمنين قرب منك ، وإن بعدت بعد عنك » - فقال : ما حاجتي إلى أن أقرب منه ؟ اكتبوا : « إن قرئت من أمير المؤمنين قربك ، وإن بعدت بعدك » .

ولم يعرف للمقتدر مثل هذا الكلام ، ولا مثل هذه الفطنة ، وقد ذكرناه على ما حكى ، وهو بكلام غيره من الخلفاء أشبه .

* * *

(١) المقتدر ، هو جعفر بن المعتضد ، ولد سنة ٥٢٨٢ هـ . وتولى الخلافة سنة ٥٢٩٥ هـ ، خلعه الناس وبايعوا المعتز ، ثم خلع المعتز وأعيد هو ثانية ، كثرت الفتن في أيامه ، قتله مؤنس سنة ٥٣٣٠ هـ .

(٢) علي بن عيسى بن داود ، وزير المقتدر ، ولد سنة ٥٢٢٤ هـ ، وولي الوزارة سنة ٥٣٠٠ هـ ، وتوفي سنة ٥٣٣٤ هـ ، وله مؤلفات .

الراضي (١)

لما استوزر ابن البريدي^(٢) ، وهو غائب عن
حصرتيه ، وأجابه إلى مقترحاته ، قال الراضي كالآنف
من طرحه الوزارة على من يشترط فيها : إن الوزارة
قطعة من الخلافة ، ووهنها وهن الخلافة .

• • •

إبراهيم بن المهدي (٣)

كتب إليّ أحمد بن يوسف^(٤) الكاتب : لعن الله
زماناً أخركَ عمّن لا يساوي كلّه بعضك .
وقال محمد بن راشد : سألتني إبراهيم بن المهدي

(١) هو محمد الراضي بن المفتر بن المعتضد ، ولد سنة ٨٢٩٧ هـ ،
وتولى الخلافة سنة ٨٣٢٢ هـ ، تفككت في عهده الدولة العباسية ، ولم يعد
تحت يديه إلا بغداد ، مات سنة ٨٣٣٩ هـ .

(٢) تولى الوزارة للراضي ٨٣٢٧ هـ ، وللمتقي سنة ٨٣٣٠ هـ ، وكانت
« واسط » تحت نفوذه ، حارب الحمدانيين ، توفي سنة ٨٣٣٢ هـ .

(٣) إبراهيم بن المهدي أخو الرشيد ، ولد سنة ٨١٦٢ هـ ، كان أديباً
شاعراً حاذقاً في الغناء ، خرج على المأمون عندما ولي علي بن موسى الرضا
ولاية العهد ، وقد انتصر عليه المأمون ثم عفا عنه ، توفي سنة ٨٢٢٤ هـ .

(٤) أحمد بن يوسف بن القاسم من أشهر كتاب الدولة العباسية
تولى ديوان الرسائل للمأمون وتوفي سنة ٨٢١٣ هـ .

عن رجلٍ ، فقلت : يساوي فلسَيْن . فقال : زدت
في قيمته درهمين .

وكتب إليَّ صديقٌ لهُ : لو عرفتَ فضلَ الحسنِ
لَتَجَنَّبْتَ القَبِيحَ وأنا وإياكَ كما قال زهير (١) :

وذي نَحْطَلٍ في القولِ يحسبُ أنَّه

مصيبٌ ، فما يُلَمِّسُ به فهو قائلُهُ

عبأتُ له حلمي ، وأكرمتُ غيرهُ

وأعرضتُ عنه ، وهو بادٍ مقاتِلُهُ

ومن إحسانِ اللهِ إلينا ، وإساعتكَ إلى نَفْسِكَ أنَّا

صَفَحْنَا عَمَّا أمكننا ، وتناولتَ ما أعجزكَ .

ولما أدخلَ على المأمون عند الظفرِ به سَلَمٌ عليه ،

وقال : يا أمير المؤمنين وليُّ النارِ مُحْكَمٌ في القِصاصِ ،

والعفوُ أقربُ للتقوى ، ومن مدَّ له في الأناةِ حَسَنٌ

عندهُ الذَّنْبُ ، وقد جعلكَ اللهُ فوقَ كلِّ ذي ذَنْبٍ

كما جعلَ كلَّ ذي ذَنْبٍ دُونَكَ ، فإن عاقبتَ فبِحَقِّكَ ،

وإن عفوتَ فبِفَضْلِكَ .

(١) زهير بن أبي سلمى ، شاعر جاهلي من أصحاب الملقات .

فقال المأمون : يا إبراهيم ، إنني شاورتُ العباسَ
ابني ، وأبا إسحاقَ أخي في أمرِكَ ، فأشارا عليَّ بِقَتْلِكَ
إلا أَني وجدتُ قدركَ فوقَ ذنبِكَ ، فكرهتُ القتلَ
لِإِلازِمِ حُرْمَتِكَ .

فقال : يا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، قد نصَّحَ المشيرُ لما جرت به
العادة في السياسةِ ، وحياطةِ الخلافةِ إلا أَنك أبيتَ أَن
تطلبَ النصرَ إلاَّ من حيثُ عُوْدَتِهِ من العفو ، فإن عاقبتُ
فلكَ نظيرٌ ، وإن عفوتَ فلا نظيرَ لَكَ ، فإن جُرْمي
أعظمُ من أَن أنطقَ فيه بعذرٍ ، وعفوُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ
أجلُّ من أَن يَفِيَّ به شُكْرُ .

فقال المأمون : ماتَ الحقدُ عندَ هذا العُذرِ .

فاسْتَعْبَرَ إبراهيمُ ، فقال المأمون : ما شأنُكَ ؟
قال : الندمُ ، إذ كانَ ذنبي إلى مَنْ هَذِهِ صِفَتُهُ في الإِنعامِ
عليَّ ، ثم قال : يا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إنه وإن بلغَ جُرْمي
استِحلالَ دمي فحِلِّمُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَفَضْلُهُ يُبْلَغَانِي
عَفْوَهُ ، وإنَّ لي لشفعةَ الإِقْرَارِ بِالذَّنْبِ وَحَقَّ العُمُومَةِ
بعدَ الأَبِ فلا يَسْفُطُ عن كَرَمِكَ عَمَّكَ ، ولا يقعُ
دونَ عَفْوِكَ عِنْدَكَ .

فَقَالَ لَهُ الْمَأْمُونُ : لَوْ لَمْ يَكُنْ فِي حَقِّ نَسَبِكَ حَقٌّ^١
الْصَفْحَ عَنْكَ بَلَدُكَ مَا مَلَّتْ حُسْنُ تَنْصِلُكَ ،
وَلَطْفُ تَوَصُّلِكَ .

ثُمَّ أَمَرَهُ بِالْجُلُوسِ ، وَقَالَ لَهُ : مَا الْبَلَاغَةُ يَا إِبْرَاهِيمُ ؟
قَالَ : أَنْ يَكُونَ مَعْنَاكَ يُجَلِّي عَن مَغْزَاكَ .

فَقَالَ الْمَأْمُونُ : هَذَا كَلَامٌ يَشْدَرُ^(١) بِالذَّهَبِ ، لَقَدْ
ذَهَبَ بِهِ وَغَرَّأ^(٢) كَانَ فِي صَدْرِي عَلَيْهِ .

* * *

عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُعْتَزِّ (٣)

كَتَبَ إِلَى بَعْضِ إِخْوَانِهِ : لَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ أَنَّكَ
تَحِبُّ مَعْرِفَةَ خَبَرِي لَمْ أَبْخُلْ بِهِ عَلَيْكَ ، وَلَوْ طَمَعْتُ فِي

(١) يَشْدَرُ بِالذَّهَبِ : يَفْصَلُ بِهِ .

(٢) الْوَغْرُ : احْتِرَاقُ الْقَيْظِ ، وَذَهَبُ وَغَرَّ صَدْرَهُ ، وَوَغَمَّ صَدْرَهُ :
زَالَ مَا فِيهِ مِنْ غُلٍّ وَعَدَاوَةٍ .

(٣) عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُعْتَزِّ بْنِ الْمُتَوَكِّلِ ، الشَّاعِرُ الْمُبْدِعُ ، وَالْأَدِيبُ
النَّائِرُ ، صَاحِبُ كِتَابِ طَلِيقَاتِ الشُّعْرَاءِ ، وَلَدَ سَنَةَ ٢٤٧ هـ ، بَوْرِيعَ بِالْخَلْفَةِ
سَنَةَ ٢٩٦ هـ ، وَبَقِيَ بِهَا يَوْمًا وَاحِدًا ، ثُمَّ نَحَلَ وَقُتِلَ .

جوابك لسألت عن خبرك ، ورجوت العُشْبِي منك
لأكثر عِتَابِكَ ، ولو ملكتُ الخواطرَ لم آذَنَ لنفسي
في ذكرك . ولولا أنْ يضيع وصفُ الشوقِ لأطلتُ به
كتابي ، ولولا أنْ عزَّ السلطان يشغلك عني لشغلت به
سروري ، والسلام .

وكتب يذمُّ رجلاً : ذكرت حاجة أبي فلان
المُكْنَى ليُعرف ، لا ليُكرَّم ، فلا وصلها الله بالنجاح ،
ولا يَسَّرَ بابها للانفتاح وذكرت عُذراً نَضَحَ (١) به عن
نفسه ، فوالله ما نضح عنها لكنه نَضَحَ عليها (٢) ، وأنا
والله أصونك عنه ، وأنصح لك فيه ، فإنه خبيثُ النية ،
متلقفٌ للمعائب ، مُقَلَّبٌ للسانه بالملق ، شائن (٣)
بالتخلق وجه الخلق ، موجودٌ عند النعمة ، مفقودٌ
عند الشدة ، قد أنيسَ بالمسألة ، وضري (٤) بالرد ،
فلا تَعُقْ عقلك باختياره ، ولا توحش النعمة بإذلالها به .

(١) نضح عن الشيء : ذب ودفع عنه ، وأصل نضح من رمي السهام .

(٢) نضح عليها : رماها .

(٣) شائن : عائب ، والتخلق : إهداء الإنسان ما ليس من خلقه .

(٤) ضري : تعود .

وقال ابن المعتز : الخضابُ من شهود الزور .
ولعبد الله بن المعتز آدابٌ مجموعة ، ومواعظٌ
وحِكَمٌ تمرُّ أكثرها في كلام المتقدمين ، وفيها نوادرٌ من
كلام أمير المؤمنين عليّ كرم الله وجهه وغيره ،
وقد اخترت بعضها ، وأوردته هذا المكان ، فمنها :
إعادةُ الاعتذارِ تذكيرٌ بالذنبِ .

في العواقبِ شافٍ أو مريحٌ .
العقلُ غريزةٌ تربيها التجاربُ .

النصحُ بينَ الملأِ تَقْصِيرٌ .

أقمِ الرغبةَ إليك مقامَ الحرمةِ بك ، وعظمِ
نفسك عن التعظمِ ، وتطوّلْ ولا تتطاولْ (٢) .

الأملُ رفيقٌ مؤنسٌ ، إن لم يُبْلِغْكَ فقد استمتعتَ به .
لا يقومُ عِزُّ الغضبِ بذلُّ الاعتذارِ .

الشفيعُ جناحُ الطالبِ .

إن بقيتَ لم يَبْقَ الهَمُ .

(١) التطاول : الاستطالة والترفع ، والصلول : التفصيل . والتطاول

عند العرب محمود ، والتطاول مذموم .

لا تُنِكَحْ خَاطِبَ سِرْكَ (١) .

من زاد أدبُه على عقلِه كان كالرَّاعِي الضَّعِيفِ
مع غنمٍ كثيرةٍ .

الدارُ الضيقةُ العَمَى الأصفرُ .

إذا هرب الزاهدُ من الناسِ فاطنَّابُه ، وإذا طابهم
فاهربُ منه .

النَّصَامُ جسرُ الشرِّ .

لا تشين وجهَ العفْرِ بِاتِّقْرِيعٍ .

إذا زال المحسودُ عليهِ عانتَ أنَّ الحامدَ كان يحسدُ
على غيرِ شيءٍ .

العجزُ نائمٌ ، والحزمُ يقظانٌ .

منُ تجرأُ لك تجرأُ عابكُ

ماعفا عن الذنبِ مَنْ قرَّعَ به .

أمرُ المكارِه ما لم يُحتَسَبَ (٢) .

(١) أي لا تطلعه على ما يريد من سرك .

(٢) بحسب : أي ينتظر المثوبة في الآخرة .

عبدُ الشهوةِ أَذُلُّ من عبدِ الرقِّ .

لا ينبغي للعاقل أن يطلبَ طاعةَ غيره ، وطاعةُ نفسهِ عليه ممتنعة .

النامس نفّسان : واجدٌ لا يكتفي ، وطالبٌ لا يجيد .
ذُلُّ العزْلِ يضحك من تيهِ الولاية .

كلما كثرُ خُرَّانُ الأسرارِ ازدادتِ ضميّاءُ .
بشرُّ مالِ البخيلِ بحادثٍ أو وَاَرِثِ .

• • •

الباب الرابع

كلام جماعة من بني أمية

قال سعيد بن العاص (١) : لا تمازح الشريف ؛
فيحقد عليك ، ولا الدنيا فيجترى عليك .
ودخل عمرو بن سعيد إلى معاوية فقال له : إلى من
أوصى بك أبوك ؟ قال : إنَّ أبي أوصى إلي ، ولم يوص
بني . قال : فبأي شيء أوصاك ؟ قال : أوصاني ألا
يفقد إخوائه منه إلا وجهه . فقال معاوية لأصحابه :
إن ابن سعيد هذا لأشدق (٢) .
قال عتبة بن أبي سفيان (٣) لمعلم والده (٤) : ليكن

(١) المراد هنا سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص ، من أجداد العرب وأشرف بني أمية ، توفي سنة ٥٥٩ .

(٢) الأشدق : الواسع الشدق ، كناية عن الفصاحة .

(٣) عتبة بن أبي سفيان أمير مصر .

(٤) اسمه : عبد الصمد بن الأعلى الشيباني .

أَوَّلَ إِصْلَاحِكَ لَوَالِدِي إِصْلَاحُ نَفْسِكَ ؛ فَإِنَّ عِيونَهُمْ
 معقودةٌ بعينيك ؛ فَالْحَسَنُ عِنْدَهُمْ مَا اسْتَحْسَنَتْهُ ،
 وَالْقَبِيحُ عِنْدَهُمْ مَا اسْتَقْبَحَتْهُ ؛ عَلَّمَهُمْ كِتَابَ اللَّهِ ،
 وَرَوَّاهُمْ مِنَ الْحَدِيثِ أَشْرَفَهُ ، وَمِنَ الشَّعْرِ أَعَفَّهُ ،
 وَلَا تُكْرِهْنَهُمْ عَلَى عِلْمٍ فِجَالُوهُ ، وَلَا تَدْعُهُمْ
 فِيهِجْرُوهُ ، وَلَا تَخْرِجْنَهُمْ مِنْ عِلْمٍ إِلَى عِلْمٍ حَتَّى
 يُتَقِينُوهُ فَإِنَّ أَزْدِمَامَ الْعِلْمِ فِي السَّمْعِ مَضَلَّةٌ لِفَهْمٍ ؛
 وَعَلَّمَهُمْ سِيرَ الْحُكَمَاءِ ، هَدَّاهُمْ بِي ، وَأَدْبَهُمْ دُونِي
 وَلَا تَتَّكِلْ عَلَى عُنْدِ مَنْنِي ؛ فَإِنِّي اتَّكَلْتُ عَلَى كَفَايَةِ مِنْكَ .

أَطْعَمَ أَبُو سَفْيَانَ النَّاسَ فِي حِجَّةِ الْوَدَاعِ ، فَقَصَّرَ
 طَعَامُهُ ، فَاسْتَعَانَ بِرَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -
 فَأَعَانَهُ بِالْأَفْ شَاةٍ ؛ فَقَالَ أَبُو سَفْيَانَ : يَا أَبَتِ وَأُمِّي ؛
 لَقَدْ حَارَبْنَاكَ فَمَا أَجَبْتَنَاكَ (١) ، وَسَأَلْنَاكَ فَمَا أَبْخَلْنَاكَ (٢) .

قَالَ سَعِيدُ بْنُ الْعَاصِ ؛ مَوْطِنَانِ لَا أَعْتَلِرُ مِنَ الْعِي
 فِيهِمَا : إِذَا سَأَلْتُ حَاجَةً لِنَفْسِي ، وَإِذَا أَكَلْتُ جَاهِلًا .

(١) أَجَبْتُهُ : وَجَدَهُ جَانًا .

(٢) أَبْخَلَهُ : وَجَدَهُ بَخِيلًا .

وكان سعيدُ بن العاص والياً على المدينة من قبل معاوية . وكان معاويةُ يعاقبُ بينهُ وبينَ مروانَ (١) في ولايتها ، وكان يُغري بينهما ؛ فكتبَ إلى سعيد : أن اهدمَ دارَ مروان ، فلم يهدمها ، وأعادَ إليه الكتابَ يهدمها ، فلم يفعل ، فعزله ، وولّى مروانَ ، وكتبَ إليه : أن اهدمَ دارَ سعيد ؛ فأرسلَ الفعلةَ ، وركبَ ليهدمها فقال له سعيدُ : يا أبا عبد الملك ؛ أتهدمُ داري ؟ قال : نعم ، كتبَ إليَّ أميرُ المؤمنين ، وأو كتبَ إليك في هدم داري لفعلت . فقال : ما كنتُ لأفعل . قال : بلى ، والله لو كتبَ إليك لهدمتها . قال : كلاً يا أبا عبد الملك ؛ وقال لخلامه : انطيقُ فمجنّي بكتاب معاوية ؛ فجاء به ، فقال مروان : كتبَ إليك يا أبا عثمان في هدم داري ، فلم تهدمها ولم تعلّمني ؟ قال : ما كنتُ لأهدمَ دارك ، ولا أؤمنُ عليك ، وإنما أرادَ معاويةُ أن يحرّضَ بيننا ؛ فقال مروان : فذاك أبي وأمي ، أنت والله أكثرُ مني ريشاً (٢) وعقباً ، ورجع فلم يهدم دارَ سعيد .

(١) مروان بن الحكم .

(٢) الريش . الخصب والمعاش والمال المستفاد واللباس الحسن

الفاخر والعقب : الأولاد .

ذكر العتبيُّ : أنَّ معاويةَ بن أبي سفيان أسرَّ إلى عمرو بن عنبسة بن أبي سفيان حديثاً ، قال عمرو : فجئتُ إلى أبي ، فقلت : إنَّ أمير المؤمنين أسرَّ إليَّ حديثاً ، أفأحدثُك به ؟ قال : لا ؛ لأنَّه من كَتَمَ حديثه كان الخيارُ إليه ، ومن أظهره كان الخيارُ عايه . فلا تجعلُ ذَنفَسَكَ مملوكاً ، بعد أن كنتَ مالِكاً . فقلت : أو يسلُحُ هذا بين الرجل وابنيه ؟ قال : لا ، ولكن أكرهُ أن تُدَلِّكَلَّ لسانَكَ بإفشاء السرِّ . قال : فرجعتُ إلى معاويةَ ، فذكرتُ ذلك له . فقال : اعتَقَلْتَ أَخِي من رِقِّ الخطأ .

خطب عتبةُ بن أبي سفيان الناسَ بالموسم في سنة إحدى وأربعين ، وعهدُ الناسِ حديثُ بالفتنةِ فاستفتح ، ثم قال :

أيُّهَا النَّاسُ ؛ قد ولَّيْنَا هذا الموضعَ الذي يضاعِفُ الله عزَّ وجلَّ للمحسنينَ فيهِ الأجرَ ، وعلى المسيءِ الوزرَ (١) ، فلا تمدُّوا الأعناقَ إلى غيرنا ، فإنها تنقِطعُ

(١) الوزر : الذنب .

دُونَنَا ، وَرُبَّ مُتَمَنٍّ حَتَفُهُ فِي أَمْنِيَّتِهِ . اقبلوا العافية
ما قبلناها منكم وفيكم ، وإياكم و « لو » ، فقد أتعبت
من كان قبلكم ، وإن تُريحَ من بعدكم . أسألُ الله أنْ
يعينَ كُلًّا على كلِّ .

قالوا : لما استتبَّ الأمرُ لمعاويةَ ، قدم عليه عبدُ الله بن
عباس ، وهي أولُ قِدْمةٍ قلعها عليه ، فدخل وكأنه
قرحةٌ (١) تَتَبَجَّسُ (٢) ، فجعل عتبةُ بن أبي سفيان
يُطِيلُ النظرَ إلى ابنِ عباسٍ ، وَيُقِيلُ الكلامَ معه .
فقال ابنُ عباس : يا عتبةُ ، إنك لتُطِيلُ النظرَ إليَّ ،
وتُقِيلُ الكلامَ معي . أَلِمَتُوجِدْ فدامتُ ، أو لمعتبةٍ
فلا زالتُ ؟ قال له عتبةُ : ماذا أيقِيتَ لما لا رأيتَ ؟
أما طُولُ نظري إليك فسروراً بك ، وأما قِلةُ كلامي
معلك فقلابته مع غيرك ، ولو سلَّطْتَ الحقَّ على نفسك
لعلمتَ أنه لا ينظرُ إليك عينُ مُبَغِضٍ .

فقال ابن عباس : أمهيتَ (٣) يا أبا الوليد ، أمهيتُ !
لو تحقَّق عندنا أكثرُ ممَّا ظننَّاه لمحاه أقلُّ ممَّا قامت .

(١) القرحة والقروح : أول ما يخرج من البشر حين تحفر .

(٢) تتبجس . تتفجر .

(٣) أمهيت . بلغت ما تريد ، وأصله : بلغ الماء في حفرة .

فذهب بعضٌ من حضر أن يتكلم ، فقال معاوية :
اسكت . وجعل معاوية يصفق بيديه ويقول :
جندلثانِ اصطككتنا (١) اصطككتنا

دعوتُ عركاً إذ دعوا غيراً كـ
إِنَّ الدَّاخلَ بينَ قريشٍ لحائنٌ (٢) نفسه .

وقال سعيدُ بنُ العاصِ : قَبَّحَ اللهُ المعروفَ إذا
لم يكن ابتداءً من غير مسألة ، فأماً إذا أتاك ترى دمه
في وجهه ، مخاطيراً لا يدري أتعطيه أم لا ، وقد بات
ليلته يتملّصُ على فراشه ، يُعاقب بين شقيقه ، مرةً
هكذا ، ومرةً هكذا ، مَنْ لحاجته ، فخطرُ بباله أنا
وغيري ، فتميلُ (٣) أرجاهم في نفسه ، وأقربهم من
حاجته ، ثم عزم عليّ وترك غيري ، فلو خرجتُ له مما
أملكُ لم أكافيه (٤) ، وهو عليّ آمنٌ مني عليه .

(١) الجندلة : الصخرة و« جندلثان اصطككتنا » مثل يضرب للقرنين
يتصاولان .

(٢) الحائن : الهالك . أي أتاه الحين : وهو الهلاك .

(٣) ميل بين أمرين : تردد ، ثم اختار أنفعهما له .

(٤) لم أكافه : لم أكافئه ، وكافأ وكافى بمعنى واحد .

قالوا : لَمَّا وَلَّى عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ الْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ
 الْمَلِكِ (١) دِمَشْقَ ، وَلَمْ يَكُنْ فِي بَنِي أُمَيَّةَ أَلْبُ (٢) مِنْهُ فِي
 حَدَاثَةِ سِنِّهِ ، قَالَ أَهْلُ دِمَشْقَ : هَذَا غُلَامٌ شَابٌّ ،
 وَلَا عِلْمَ لَهُ بِالْأُمُورِ ، وَسَيَسْمَعُ مِنَّا ، فَقَامَ إِلَيْهِ رَجُلٌ فَقَالَ :
 أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ ، عِنْدِي نَصِيحَةٌ . قَالَ لَهُ : لَيْتَ شِعْرِي
 مَا هَذِهِ النِّصِيحَةُ الَّتِي ابْتَدَأْتَنِي بِهَا ، مِنْ غَيْرِ يَدٍ سَبَقَتْ
 مِنِّي إِلَيْكَ ؟ قَالَ : جَارٌ لِي عَاصٍ مُتَخَلِّفٌ عَنْ ثَغْرِ (٣) .
 فَقَالَ لَهُ : مَا اتَّقَيْتَ اللَّهَ ، وَلَا أَكْرَمْتَ أَمِيرَكَ ، وَلَا حَفَظْتَ
 جِيَوَارِكَ . إِنْ شِئْتَ نَظَرْنَا فِيْمَا تَقُولُ ، فَإِنْ كُنْتَ
 صَادِقًا يَنْفَعُكَ ذَلِكَ عِنْدَنَا ، وَإِنْ كُنْتَ كَاذِبًا عَاقِبْنَاكَ .
 وَإِنْ شِئْتَ أَقْلَنَّاكَ . قَالَ . أَقْلُسِي . قَالَ : اذْهَبْ حَيْثُ
 شِئْتَ لِأَصْحَابِكَ اللَّهُ . إِي أَرَاكَ شَرَّ جَبَلٍ (٤) رَجُلًا .

(١) عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ الْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ ، وَلِي نِيَاةَ دِمَشْقَ لِأَبِيهِ
 رِعْزَا الرُّومِ سَنَةَ ٥٩٤ .

(٢) أَلْبُ اسْمُ تَفْضِيلٍ مِنْ لَبٍ : صَارَ ذَا لَبٍ .

(٣) عَنْ ثَغْرِ . عَنْ حَرْبِ الْعَدُوِّ . وَالثَّغْرُ : الْمَوْقِعُ عَلَى الْحُدُودِ
 مَعَ الْعَدُوِّ .

(٤) الْجَبَلُ . كُلُّ صَنْفٍ مِنَ النَّاسِ .

ثم قال : يا أهل دمشق ، أمّا أعظمتُم ما جاء به الفاسق ؟
إن السعاية — أحسبُ منه (١) — سجيّةٌ ، ولولا أنه
لا ينبغي للوالي أن يُعاقب قبل أن يُعاتبَ كان لي في
ذلك رأيٌ ، فلا يأتيَنّي أحدٌ منكم بسعايةٍ على أحدٍ
بشيءٍ ، فإنّ الصادقَ فيها فاسقٌ ، والكاذبَ فيها بهاتٌ (٢) .

* * *

(١) المعنى : إني أظن أن السعاية طبيعة فيه .

(٢) البهات : صيغة مبالغة من بهته : إذا قال عنه ما ليس فيه .

الباب الخامس

مكت لآل الزبير

قدم فضالةُ بنُ شريكٍ (١) ، على عبد الله بن الزبير ،
فقال : إني سِرتُ إليك الهواجرَ (٢) يا أميرَ المؤمنين .
قال : ولِمَ ؟ أما كان لكَ في البردِينِ (٣) ما تسيّرُهما ؟
كأنك تادرُ نهْماً ، لأبالكَ ، فقال : إنَّ ناقتي قد
نُقِبَ (٤) خُفُّها فاحملني . قال : ارقعها بجلد .
واخصفها بهائب (٥) ، وأنجد بها (٦) ، وسرُ بها

(١) فضالة بن شريك الأسيدي ، شاعر مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام .

(٢) الهواجر جمع هاجرة ، وهي وقت اشتداد الحر في الظهيرة .

(٣) البردان : العداة والعبي لبرود الجو فيهما .

(٤) نقب الخف : رق .

(٥) الهائب : الشعر أو خصلة منه .

(٦) أنجد بها : سر بها في النجد ، وهو ما غلظ وارتفع واستوى من

الأرض .

البرّدين . قال : إنما أتيتك مُستَحْمِلاً (١) ، ولم آتِكَ
مُسْتَوْصِفاً ، لعنَ الله ناقةً حَلَّتْني إِلَيْكَ . قال : لِمَ (٢)
وراكبَها ، فأنصرفَ وهجَاهُ بِالْأَيَّاتِ الَّتِي يَقُولُ فِيهَا :
أَرَى الْحَاجَاتِ عِنْدَ أَبِي خُسَيْبٍ (٣)

تَكِيدُنَّ ، وَلَا أُمِّيَّةٌ فِي الْبِلَادِ (٤)
كَانَ مُصْعَبٌ (٥) يَقُولُ : الْمَرْأَةُ فَرَّاشٌ فَاسْتَوْثِرُوا .
نَازِعَ ابْنُ الزَّيْبِرِ مَرْوَانَ فِي مَجْلِسٍ مَعَاوِيَةَ ، فَرَأَى
أَنَّ ضَلَعَ (٦) مَعَاوِيَةَ مَعَ مَرْوَانَ . فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ .
إِنَّ لَكَ حَقّاً وَطَاعَةً عَلَيْنَا ، وَإِنَّ أَمَانَةَ (٧) وَحَرَمَةَ ،
فَأَطَعِ اللَّهَ بِطَاعَتِكَ ، فَإِنَّهُ لَا طَاعَةَ لَكَ عَلَيْنَا إِلَّا فِي حَقِّ

(١) مستحمل : طالب منه أن يحمله .

(٢) لِمَ : نعم

(٣) أبو خبيب : كنية ابن الزبير ، يظولها له من يده ، أما من
يدحه فيكنيه أبا بكر .

(٤) تكدي الزمان : سباق واثت

(٥) مصعب بن الزبير : أمير وقائد من قواد أخيه ، ولد سنة ٤٢٦ هـ .

(٦) ضلع معاوية مع مروان : ميله معه .

(٧) السطة : مصدر وسط ، ووسط القوم كناية عن الرفعة والشرف .

الله ، ولا تُطْرَقُ إِطْرَاقَ الْأَفْعُوَانِ (١) فِي أَصُولِ
السُّخْبَرِ (٢) .

وَقَالَ لَهُ مَرَّةً : يَا مَعَاوِيَةَ ، لَا تَدْعُ مَرْوَانَ يَرْمِي
جَمَاهِيرَ (٣) قَرِيْبِ بِمَشَاقِصِهِ (٤) وَيَضْرِبُ صَفَاتِهِمْ (٥)
بِمَعْوَلِهِ ، لَوْلَا مَكَانُكَ لَكَانَ أَخْفَ عَلَى رِقَابِنَا مِنْ فَرَّاشَةٍ ،
وَأَقْلَ فِي أَنْفُسِنَا مِنْ خَشَاشَةٍ (٦) ، وَائِمُ اللَّهِ لئنْ مَلَكَ
أَعْنَتُ خَيْلٍ تَنْقَادُ لَهُ لِيَرْكَبَنَّ مِنْكَ طَبَقًا (٧) تَخَافُهُ .
فَقَالَ مَعَاوِيَةَ : إِنْ يُطْلَبُ هَذَا الْأَمْرَ فَقَدْ طَمِعَ فِيهِ
مَنْ هُوَ دُونَهُ وَإِنْ يَتْرُكُهُ يَتْرُكُهُ لِمَنْ فَوْقَهُ ، وَمَا أَرَاكُمْ
بِمُنْتَهَيْنَ حَتَّى يَبْعَثَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ مَنْ لَا يُعْطِيفُ عَلَيْكُمْ

(١) الْأَفْعُوَانُ : ذَكَرَ الْأَعْمِي ، شَبَّهَ بِهِ لِأَنَّهُ يَطْرُقُ عِنْدَ نَفْثِ السَّمِ .

(٢) السُّخْبَرُ : الشَّجَرُ .

(٣) الْجَمَاهِيرُ : جَمْعُ جَمْهُورٍ ، وَهُوَ مَعْظَمُ النَّاسِ .

(٤) الْمَشَافِصُ : جَمْعُ مَشَقَصٍ وَهُوَ مَا طَالَ وَعَرِضَ مِنَ الْإِنِّصَالِ

وَالْمُرَادُ : لَا تَدْعُهُ يَصِيْبُهُمْ بِالْأَذَى .

(٥) الصَّمَاةُ : الْحَجَرُ الْأَمْلَسُ .

(٦) الْخَشَاشَةُ : وَاحِدَةُ الْخَشَاشِ وَهُوَ الْهُوَامُ .

(٧) الطَّبَقُ : جَمْعُ طَبَقَةٍ ، وَهِيَ مِثْلُةٌ فَوْقَ مِثْلَةٍ ، وَالْمَعْنَى :

لِيَرْكَبَنَّ مِنْكَ أَحْوَالًا وَمَنَارِلًا فِي الْعِدَاوَةِ مَخُوفَةً .

بِقَرَابَةٍ ، وَلَا يَذْكُرُكُمْ عِنْدَ مُلِيْمَةٍ ، وَيُسَوِّمُكُمْ (١)
خَسَفًا (٢) ، وَيُورِدُكُمْ تَأْفًا .

قال ابنُ الزبير : إِذَا وَاللَّهِ نَطَلِقُ عِيَالَ الْحَرْبِ ،
بِكِتَابٍ تَمُورُ كَرَجَلِ الْجِرَادِ (٣) ، تَتَّبِعُ غِطْرِيْفًا (٤) مِنْ
قَرِيْشٍ لَمْ تَكُنْ أُمُّهُ بِرَاعِيَةٍ ثَلَاثَةَ (٥) .
قال معاوية : أَنَا ابْنُ هَنْدٍ ، أَطْلَقْتُ عِيَالَ الْحَرْبِ ،
فَأَكَلْتُ ذُرَّةَ السَّنَامِ ، وَشَرَبْتُ عَنَفْوَانَ الْمَكْرَحِ (٦) .
وَلَيْسَ لِلْأَكْلِ إِلَّا الْفِلْدَةُ (٧) ، وَلِلشَّارِبِ إِلَّا الرَّنْقُ (٨) .
لِيَمَّ مُصْعَبُ بْنُ الزُّبَيْرِ عَلَى طُولِ خُطْبَتِهِ عَشِيَّةَ
عَرَفَةَ ، فَقَالَ : أَنَا قَائِمٌ وَهُمْ جُلُوسٌ وَأَتَكَلِّمُ وَهُمْ
سَكُوتٌ وَيَضْجُرُونَ ! .

(١) سَامَهُ الْأَمْرُ : أَلْزَمَهُ إِيَّاهُ فَمَرَأَ

(٢) الْخَسَفُ : الْفُجْرُ وَالْإِذْلَالُ .

(٣) رَجُلُ الْجِرَادِ : الْقِطْعَةُ الَّتِي قَوَى بِصَافِهَا بَعْضًا

(٤) الْغِطْرِيْفُ : السَّيْدُ .

(٥) رَاعِيَةٌ ثَلَاثَةٌ : رَاعِيَةُ الْعَمَلِ .

(٦) عَنَفْوَانُ الْمَكْرَحِ : أَوَّلُهُ وَهُوَ أَصْفَى مَا يَكُونُ .

(٧) الْفِلْدَةُ : الْقِطْعَةُ مِنَ الْكَبْدِ أَوْ السَّنَامِ

(٨) الرَّنْقُ : الْكَدَرُ .

وكان عبدُ الله بن الزبير يقول : لاعاش بخيرٍ من
لم يرَ برأيه مالم يرَ بعينه .

قال عروة^(١) بن الزبير : التواضعُ أحدُ مصادِرِ
الشرف .

لما قال عبدُ الله بن الزبير : أكلتم تمرِي ، وعصيتُم
أمرِي . قال فيه الشاعر :

رأيتُ أبا بكرٍ - وربُّكَ غالبُ
على أمره - يبيحُ الخلافةَ بالتمرِ

قال عمرُ بن شبة^(٢) : وقف ابنُ الزبير على باب
مِئَةِ ، مولاةٌ كانت لمعاوية . تُرفَعُ حوائجُ الناسِ إليها .
ف قيل له : يا أبا بكر تقفُ على باب مِئَةِ ! قال : نعم .
إذ أعيتك الأمورُ من رؤوسها فأتتها من أذنانها .

(١) عروة بن الزبير بن العوام ، أحدُ الفقهاء العظاماء ، كان حجة
كراما عالما بالدين ، ولد سنة ٢٣ هـ ، وتوفي سنة ٩٧ هـ .

(٢) عمر بن شبة : شاعر راوية مؤرج حدث ، ولد سنة ١٧٢ هـ .
وتوفي سنة ٢٦٢ هـ ، وله مؤلفات .

قال عُرْوَة : لعهدي بالناس ، والرجل منهم إذا
أراد أن يسوء جاره سأل غيره حاجته ، فيشكوهُ جاره ،
ويقول : تتجاوزني بحاجتي ، أراد بذلك شينِي (١) .
لما أتى عبد الله بن الزبير قتلُ مُصعبٍ ، خطب الناس ،
فحمّد الله وأثنى عليه ثم قال :

إنه أئانا خبرُ مقتلِ المُصعبِ فسررنا واكتأبنا ،
فأمّا السرورُ فلما قُدِّرَ له من الشهادة ، وخيرُ له من
الثواب ، وأمّا الكتابةُ فتلوعةٌ يَجِدُها الحميمُ لِفراقِ
حميمه . وإنّا والله لانموتُ حبّاً (٢) كميّةِ آلِ أبي
العاص (٣) ، إنما نموتُ قتلاً بالرماح ، وقَعْصاً (٤)
تحتَ ظِلَالِ السيوف ، فإنْ يهلكِ المُصعبُ فإنَّ في آلِ
الزبيرِ خلفاً .

وقال لما أئاه قتلُهُ : أشهدهُ المُهَلَّبُ ؟ قالوا : لا .

(١) الشين : العيب .

(٢) الحبيج : أن تتفخ بطون الإبل من أكلها العرفج ، وقد تموت
من ذلك .

(٣) والمراد أنه يعيب عليهم إقبالهم على المطاعم والشهوات .

(٤) مات قَعْصاً : إذا أصابته خربة أو رمية فمات مكاذة .

كَانَ الْمُهَلَّبُ فِي وَجْهِ الْخَوَارِجِ . قَالَ : أَفَشْهَدُهُ
عَبَادُ بْنُ الْحُصَيْنِ الْحَبْطِيُّ (١) ؟ قَالُوا : لَا . قَالَ :
أَفَشْهَدُهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ خَازِمِ السَّلَمِيِّ (٢) ؟ قَالُوا : لَا .
فَتَمَثَّلَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزَّيْبِرِ :

فَقُلْتُ يَا عَيْثِي جَعَارَ (٣) . وَجَرَّ رِي
بِلَحْمِ امْرِئٍ لَمْ يَشْهَدْ الْيَوْمَ نَاصِرُهُ

خَرَجَ عُرْوَةُ بْنُ الزَّيْبِرِ إِلَى الْوَلِيدِ ، فَوَطَّيئَهُ
عَظْمًا ، فَلَمْ يَبْلُغْ دِمَشْقَ حَتَّى ذَهَبَ بِهِ كُلَّ مَذْهَبٍ ،
فَجَمَعَ الْوَلِيدُ الْأَطْبَاءَ ، فَأَجْمَعَ رَأْيَهُمْ عَلَى قَطْعِهَا .
فَقَالُوا لَهُ : اشْرَبْ مُرْقِدًا (٤) ، فَقَالَ : مَا أَحَبُّ أَنْ
أَغْفُلَ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ ، فَأُحْمِي لَهُ مِنْ شَارٍ ، وَكَانَ

(١) عباد بن الحسين بن يزيد الحبلي ، فارس بني عيم ، ولي شرخة
البصرة لابن الزبير .

(٢) عبد الله بن خازم بن أسماء السامي ، ولي إمرة خراسان لبني أمية .

(٣) جعار : اسم للضبع أصله جاعرة ، وعيْثِي جعار : مثل يضرب
إذا أتت الضبع الغنم وغاب الغار .

(٤) المرقد : شراب يشربه الرجل ميتا .

قَطْمًا وَحَسْمًا (١) ، فَمَا تَوَجَّعَ ، وَقَالَ : ضَعُوهَا بَيْنَ
يَدَيَّ ، لَئِنْ كُنْتُ ابْتَلَيْتُ فِي عَضْوٍ لَقَدْ عُوِفِيتُ فِي أَعْضَاءٍ .

فَبَيْنَا هُوَ عَلَى ذَلِكَ أَتَاهُ نَعِيُّ ابْنِهِ مُحَمَّدٍ ، وَكَانَ قَدْ
اطْلَعَ مِنْ سَطْحٍ عَلَى دَوَابٍ لِلْوَلِيدِ ، فَسَقَطَ بَيْنَهَا فَخَبَطَتْهُ
فَقَالَ عَرَوْهُ : الْحَمْدُ لِلَّهِ ، لَئِنْ أَخَذْتَ وَاحِدًا لَقَدْ أَبْقَيْتَ
جَمَاعَةً ، وَلَئِنْ ابْتَلَيْتَ فِي عَضْوٍ لَقَدْ أَبْقَيْتَ أَعْضَاءً .

حَدَّثَ وَهَبُ مَوْلَى آلِ الزُّبَيْرِ أَنَّهُ قَالَ : كُنْتُ مَعَ
عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ بِمَكَّةَ فِي وِلَايَتِهِ ، فَكُتِبَ إِلَيْهِ رَجُلٌ
كِتَابًا يَعْطُهُ فِيهِ :

أَمَّا بَعْدُ . فَإِنَّ لِلنَّقْوَى فِي أَهْلِهَا عَلَامَاتٍ يُعْرِفُونَ
بِهَا ، وَيَعْرِفُونَهَا مِنْ أَنْفُسِهِمْ ، مِنْ صَبَرٍ عَلَى الْبَلَاءِ
وَرِضَى بِالْقَضَاءِ . وَشُكْرِ لِلنَّعْمَةِ ، وَذِلٌّ لِحُكْمِ
الْقُرْآنِ ، وَإِنَّمَا الْإِمَامُ كَالسُّوقِ . يُحْمَلُ إِلَيْهَا مَا زَكَ (٢)
فِيهَا ، فَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْحَقِّ أَتَاهُ أَهْلُ الْحَقِّ بِحَقِّهِمْ ،

(١) المعنى : وَكَانَ الْفُطْعُ قَطْمًا وَحَسْمًا . وَالْحَسْمُ هُوَ الْكَيُّ بَعْدَ الْقَطْعِ
حَتَّى لَا يَنْزِلَ الدَّمُ .
(٢) زَكَ : طَهَّرَ .

وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْبَاطِلِ أَتَاهُ أَهْلُ الْبَاطِلِ بِبَاطِلِهِمْ ،
فَانْظُرْ أَيَّ الْإِمَامِينَ أَنْتَ . وَالسَّلَامُ .

قال .: فكان عبدُ الله يعجب من بلاغةِ هذه الرسالةِ
وإيجازها ، ويضعُها تحتَ فراشه ، ويتعمَّدهُ قراءتها .
كان لعبد الله بن عروة مَولاةٌ يُقال لها : شُهدة ،
ففرغت ليلاً ، فسمعها تقول : اللهمَّ إِنِّ أَحْسَنْتُ فَأَحْسِنْ
لِي ، وَلِيْنَ أَسَأْتُ فَأَسِئْ لِي . فقال : أَيُّ شَهَادَةٍ
عَتَقَ مَا يَمْلِكُ (١) إِن لم يكنْ هذا أَقْلٌ مَالِكٍ عِنْدَ
رَبِّكَ ..

قال عبد الله بن عروة بن الزبير : إلی الله أشكو عيبي
مألاً أدعُ ، ونعشي مألاً آتي ، وإنما يُبكي للدين بالدنيا :
نازع عبد الله بن الزبير أخاه عَمْرًا (٢) ، والأَمْرُ
بالمدينة سعيدُ بن العاص ، فاستعلى عبدُ الله في القول :
فأقبل سعيدُ على عمرو ، فقال : لِيهَا يَا بَنَ أَبِي ، فَأَقْبَلَ

(١) وعنى لما يملك حملة دعائه ؛ فوحده وبأدائها وشهادته بآيها ما
ومعنى : شهدة في الأمل الفصل ، وجمعه شهاد .
(٢) عمرو بن الزبير بن العوام ، كان شديد العارضة ؛ قويا .

عليه عبدُ الله ، فقال : هيهَا يَا بَنَ أَبِي أُحِيحَةَ (١) ،
 فَوَ اللَّهِ لَا تَأْخِيرُ مِنْكَ . وَلَا بِي خَيْرٌ مِنْ أَبِيكَ : وَلَا مُنِّي خَيْرٌ
 مِنْ أُمِّكَ ، وَلِحَالِي خَيْرٌ مِنْ خَالِكَ ، وَلَجَدِّي خَيْرٌ مِنْ
 جَدِّكَ . ثُمَّ ، اللَّهُ رَفَعَ بِالْإِسْلَامِ بَيْوتًا وَوَضَعَ بِهِ بَيْوتًا ،
 فَكَانَ بَيْتِي مِنَ الْبَيْوتِ الَّتِي رَفَعَ ، وَكَانَ بَيْتُكَ مِنَ الْبَيْوتِ
 الَّتِي وَضَعَ ، وَإِنْ خَتَسَ (٢) أَنْفُكَ ، وَانْتَفَخَتْ
 لِفَافِدُكَ (٣) .

اِخْتَصَمَ رَجُلَانِ فِي حَدٍّ بَيْنَهُمَا بِالْأَعْوَصِ (٤) ،
 فَتَهَا تَرَا وَتَخَاصِمَا ، فَأَتِيَا الزَّيْبَرَ بْنَ هِشَامٍ بْنِ عُرْوَةَ (٥) ،
 وَجَعَلَاهُ حَكَمًا بَيْنَهُمَا . قَالَ : فَقَالَ لهُمَا : كَانَ رَجُلَانِ مِنَ
 بَنِي إِسْرَائِيلَ اِخْتَصَمَا فِي أَرْضٍ ، فَأَذِنَ اللَّهُ لِلْأَرْضِ ،
 فَكَلَّمَتْهُمَا فَقَالَتْ : لَقَدْ مَلَكَ بِي سَبْعُونَ أَعْوَرَ ، وَلَيْسَ

(١) وَأَبُو أُحِيحَةَ : هُوَ سَعِيدُ بْنُ الْعَاصِ ، حَدَّثَ سَعِيدٌ هَذَا ، تُوْفِيَ
 سَنَةَ ٨٣ هـ ، وَهُوَ مُتْرَكٌ .

(٢) خَتَسَ : مِنَ الْخَسِّ ، وَهُوَ تَاخُرُ فِي الْأَنْفِ مَعَ ارْتِفَاعِ قَلِيلٍ
 فِي أُرُونَتِهِ .

(٣) اللَّفَافِدُ : جَمْعُ الْفَدْرِ : الْحَمَةُ فِي الْحَلْقِ .

(٤) الْأَعْوَصُ : مَوْضِعٌ قَرِبَ الْمَدِينَةِ عَلَى أَوْدَالِ يَسِيرَةٍ مِنْهَا .

(٥) الزَّيْبَرُ بْنُ هِشَامٍ بْنِ عُرْوَةَ مُحَدِّثٌ ثِقَةٌ .

منهم^١ الآن أحد^٢ على ظَهْر الأرض . قال : ففترقنا .
وقال كل منهما : لا حاجة لي بها ، وترادّاها .

فيل لعروّة الزيرى حين حُمِلَ إلى الرشيد مُقَيِّدًا :
اختضب^(١) . فقال : حتى أعلم أَرَأْسِي لي أم لكم ؟
فأدخل عليه في سِلْسِلَةٍ ، فقال : كنت أشتيهي أن أراك
فيها ، اخلعوا عليه . فقال : يا أمير المؤمنين ؛ خلعة^٣
شتاء لا خلعة صيف .

* * *

(١) اختضب : صبغ شعره بالحناء .

الباب السادس

نوادير أبي العيناء ومخاطباته

حمّله بعضُ الوزراءِ على دابّةٍ ، فانتظرَ علّقها ،
فلما أبطأ عليه قال : أيها الوزير هذه الدابّةُ حمّلتني
عليه أو حملتهُ عليّ (٢) .

قال : وقال لي يوماً : لا تكثُر الوقعةَ في الناس .
فقلتُ : إنّ لي في بصري شغلاً عن ذلك . فقال : ذاك
أشدّ لحقّديك على أهل العافية .

وقال له يوماً المتوكلُ : إنّ سعيدَ بنَ عبدِ الملكِ

(١) محمد بن القاسم ، كنيته أبو العيناء ، ولد سنة ١٩١هـ ، هاشمي بالولاء
وأديب فصيح ، اشتهر بنوادره ، كاتب شاعر ، ولكنه خبيث اللسان .
كف بصره في الأربعين ، وتوفي بالبصرة سنة ٢٨٧هـ .
(٢) الدابة تطلق على المذكر والمؤنث .

يضحكُ منك ، فقال : (إنَّ الذين أُجرَمُوا كانوا منَ
الَّذين آمنُوا يَضْحَكُونَ) (١) .

وقال يوماً بحضرته ليخراشة : ابنُ كَمْ أنتَ ؟
قال : ابنُ نَيْفٍ وخمسين . قال أبو العيناء : زانيةٌ .

ودخل يوماً إلى ابنِ ثَوَابَةِ (٢) ، فقال : بلغني ما
نخاطبتَ به أبا الصَّقْرِ (٣) ، وما منعه من استقصاءِ
الجوابِ إلا أنَّه لم يجد عِرْضاً فيضعه ، ولا مجداً فيهدمه ،
وبعدُ فإنه عافَ لحملكَ أنْ يأكله ، وسهيكَ (٤) دمك
أن يسفِكَه . فقال : ما أنتَ والكلام يا مكدي (٥) ؟
فقال أبو العيناء : لا تنكر على ابنِ ثمانين ، وقد ذهبَ
بصرُهُ ، وجفاه ساطأنهُ ، أنْ يعولَ على إخوانه ، ويأخذَ
من أموالهم ، ولكن أشدَّ من هذا من يستنزِلُ ماءَ أصلابِ

(١) سورة المطففين : ٢٩ .

(٢) أحمد بن محمد بن ثوابة من الكتاب في البصر العباسي ، وكان
كاتب الرسائل لمعز الدولة . توفي سنة ٥٢٤٩ هـ .

(٣) أبو الصقر : هو إسماعيل بن بلبل ، وزير ، كان صديقاً
لابن المدبر .

(٤) سهك : استقذر واثقه .

(٥) المكدي : الشحاذ .

الرجال . يستفرغه في جوفه . فيقطع أرزاقهم ،
ويُعْظِمُ إجرامهم

فقال ابن تواته . ما تشاجر اثنان إلا غلب الأئمه .
فقال له : مها عابت أبا الصقر .

وقال ابن ثوابه يوماً : كتبت (١) أنفاس الرجال
قال : حيث كانوا وراء ظهرك .

وقال له يوماً نجاح بن سلمة (٢) : ما ظهورك
وقد خرج توقيع أمير المؤمنين في الزنادقة ؟ فقال :
نستدفعُ الله عنك وعن أصحابك .

ودخل على عبيد الله بن عبد الله بن طاهر (٣)
وهو يلعب بالشطرنج ، فقال : في أي الحيزين أنت ؟
فقال (٤) : في حيز الأمير أبده الله .

(١) كتبت أنفاس الرجال جمعها .

(٢) نجاح بن سلمة كان على ديوان الصباع ، ثم ديوان التوقيع
والتيبع على العمال للموتل .

(٣) عبيد الله بن عبد الله بن طاهر المزاعي ، ولد سنة ٨٢٢٣ ،
أمير سجاع حبيب الزندب ، ولي شرطة بغداد ، وكان له وليع بالهندسة
والموسيقا توفي سنة ٨٣٠٠

(٤) المراد مع أي اللاعين أنت .

وغلَّب عبيدُ الله فقال : يا أبا العيناء ؛ قد غلَّبنا ،
وقد أصابك من النَّدْب (١) خمسون رطلاً ثلجاً .
فكن أنتَ في حيلتها . قال : فقام ومضى إلى ابن ثوابة ،
وقال : إن الأمير يدعوك ، فلما دخلا قال : أيُّد اللهُ
الأميرَ ، قد جئتُك يجبل هَمْدان ومَا سَيْدان (٢) ،
فُخِذَ منه ما شئت .

وقال يوماً لولد حمجاج بن هارون : في أي بابٍ
أنت من النحو ؟ قال : في باب الفاعل والمفعول . فقال :
أنتَ في باب أبويكَ إداً .

ومرَّ على دار عدوِّ له ؛ فقال : ما خبرُ أبي محمد ؟
فقالوا : كما تحبُّ . قال : فما بالي لا أسمعُ الرنَّةَ
والصَّراخَ ؟ .

ووعده ابنُ المدبِّر (٣) بدأبَّةٍ ، فلما طالبه قال :

(١) ندب : التذنب والسبق ما بوضع في الرهان فمن سبق أخذه .

(٢) ماسيدان ، موضع على يمين حلوان في العراق .

(٣) ابن المدبر . هو إبراهيم بن محمد بن عبيد الله بن المدبر ، وزير
من الكتاب المرسلين من أهل بغداد ، استوزره المتمد سنة ٥٢٦٩ هـ ،
وتوفي سنة ٥٢٧٩ هـ .

أَخَافُ أَنْ أَحْمِلَكَ عَلَيْهِ فَتَقْطَعَنِي وَلَا أُرَاكَ . فَقَالَ :
عِدْتِي أَنْ تَضُمِّيَ إِلَيْهِ حِمَاراً لِأَوْاطِبَ مُقْتَضِيَا (١)

وَوَعَدَهُ أَنْ يَحْمِلَهُ عَلَى بَغْلٍ ، فَلَقِيَهُ فِي الطَّرِيقِ ؛
فَقَالَ : كَيْفَ أَصْبَحْتَ يَا أَبَا الْعِيَاءِ ؟ قَالَ : أَصْبَحْتُ
بِلَا بَغْلٍ ، فَضَحَكْتُ مِنْ قَوْلِهِ ، وَبَعَثَهُ إِلَيْهِ .

وَحْمَلَهُ بَعْضُهُمْ عَلَى دَابَّةٍ ، فَاسْتَرَاهَا ابْنُ الرَّجُلِ
مِنْهُ بِشَمْنٍ أَخْشَرَهُ ، وَلَقِيَهُ بَعْدَ أَيَّامٍ ؛ فَقَالَ : كَيْفَ أَنْتَ
يَا أَبَا الْعِيَاءِ ؟ قَالَ : بِخَيْرٍ يَا مَنَ أَبُوهُ يَحْمِلُ وَهُوَ يُرْجِلُ .
وَقَالَتْ لَهُ قَيْسَةُ (٢) : هَبْ لِي خَاتَمَكَ أَذْكُرُكَ
بِهِ . فَقَالَ : ادْكُرِّي بِالْمَنَعِ .

وَقَالَتْ لَهُ قَيْسَةُ : أَنْتَ أَيْضاً يَا أَعْمَى ! فَقَالَ لَهَا :
مَا أَسْتَعِيرُ عَلَى وَجْهِكَ شَيْءٍ أَصْلَحَ مِنَ الْعَمَى .
وَقَالَ لَهُ ابْنُ السَّكَيْتِ (٣) يَوْمَئِذٍ : تَرَاكَ أَحْطَتَ

(١) مطالباً بما وعدت

(٢) القينة الحارية المنعبة .

(٣) ابن السكيت : هو يعقوب بن اسحق ، من علماء الفقه واللغة

والشعر والأدب

بما لم أحيط به . قال : ما أنكرت ؛ فوالله لقد قال الهدهد ،
وهو أحسن طائرٍ لسليمان : (أحطت بما لم
تُحيط به) (١) .

وقال : وقُدِّمَ إلى مائدةٍ عليها أبو هفَّان (٢) وأبو
العيناء - فالوذج (٣) ، فقال أبو هفَّان : لهذه أحرمن
مكانك في جهنم . فقال أبو العيناء : إن كانت هذه حارَّةً
فبرِّدْها بِشِعْرِكَ .

وقال له صاعداً يوماً : ما الذي أخبركَ عنا ؟ قال :
بُنَيْتِي قال : وكيف ؟ قال : قالت : يا أبه ، قد
كنتَ تغدو من عندنا فتأتي بالحليلة السريَّة ، والحائِزة
السنيَّة ، ثم أنت الآن تغدو مُسْدِفاً (٤) ، ورجع
مُعْتَمِلاً ، فإلى من ؟ قلت : إلى أبي العلاء ذي الوزارتين .

(١) سورة النمل : ٢٢ .

(٢) أبو هفَّان : هو عبد الله بن أحمد المهزومي ، راوية ، شاعر ،
أديب أخذ عن الأصمعي ، كان منتهكاً فقيراً ، وله تصانيف بعضها
مطبوع .

(٣) الفالوذج . نوع من الحلوى

(٤) السدف : الظلمة والليل . وأعم . أبطأ وتأخر .

قالت : أَيْعْطِيكَ ؟ قلتُ : لا . قالت : أَيْشَفِّعُكَ ؟
قلت : لا ، قالت : أَفِيْرَفَعُ مَجْلِسَكَ ؟ قلت : لا .
فقالت : يا أَبَتَهُ ، ((لِمَ تَعُدُّ مَالًا يَسْمَعُ وَلَا
يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا)) (١) .

وقال له عبيدُ الله بنُ سُلَيْمان (٢) : لِمَ الْآخِبَارَ
الْمَذْكُورَةَ فِي السَّخَاءِ وَكَثْرَةِ الْعَطَاءِ أَكْبَرُهَا تَصْنِيفُ
الْوَرَّاقِينَ ، وَأَكَاذِبُهُمْ . قال : وَلِمَ لَا يَكْذِبُونَ عَلَى
الْوَزِيرِ أَبَدَهُ اللهُ .

وقال له محمد بنُ مُكْرَم (٣) : لَهْمَمْتُ أَنْ أَمْرَ
غُلَامِي بِدَوَسِ بَطْنِكَ . فقال : الَّذِي تَخْلُقُهُ عَلَى عِيَالِكَ
إِذَا رَكِبْتَ ، أَوِ الَّذِي تَحْمِلُهُ عَلَى ظَهْرِكَ إِذَا نَزَلْتَ ؟
وقال يوماً لرجلٍ سَلَّمَ عَلَيْهِ : مَنْ أَنْتَ ؟ قال :
رَجُلٌ مِنْ وَلَدِ آدَمَ . قال : ادْنُ مِنِّي عَائِقُنِي ، فَمَا
ظَنَنْتُ أَنَّهُ بَقِيَ مِنْ هَذَا النِّسْلِ أَحَدٌ .

(١) سورة مريم : ٤٢

(٢) عبيد الله بن سليمان بن وهب ، كاتب في العصر العباسي ، ولد
سنة ٢٢٦ هـ ، استوزره المعتمد والمتفد و توفي سنة ٢٨٨ هـ .

(٣) كان مشهوراً في عداد بالعلم والادب ، توفي سنة ٢٣١ هـ

وقال له أحمد بن سعيد الباهلي : إني أصبت لباهلة
فضيلة لا توجد في سائر العرب . قال : وما هي ؟ قال :
لا يُصابُ فيهم دَعيٌّ . فقال : لأنه ليس فوقهم من
يقبلهم ، ولادؤفهم أحدٌ فينزلون إليه .

وحضره يوماً ابنُ مكرم فأخذ يؤذيه ، فقال له ابنُ
مكرم : الساعة والله أنصرف . فقال : مارأيتُ من
يتهددُ بالعافية غيرك .

وقال له يوماً ما يُعرّض به : كم عددُ المكدين (١)
بالبصرة ؟ قال : مثلُ عدد البغاثين ببغداد .

وقدم ابنُ مكرم من سفر ، فقال له أبو العيلاء :
ما أهديتَ لي ؟ قال : قدمتُ في خُفٍّ . قال : لو قدمتَ
في خفٍّ لخافَتِ نفسك .

وقال له ابنُ مكرم : مذهبي الجمعُ بين الصَّلَاتَيْنِ .
قال : صدقتَ ، ولكن تجمعُ بينهما بالتَّسْرِكِ .

وقال له ابنُ بدرٍ (٢) يوماً وهو على بابهِ : أهذا

(١) المكدين : جمع مكدي ، وهو المتسول السائل الملح .

(٢) هو أحمد بن بدر الشرايبي كانت إليه الشرطة زمن الرازي .

المنزل ؟ قال : نعم ، فإن أردتَ أنْ ترى سوءَ أثرِكَ فأنزِل .

قال له أبو الجَمَّاز : كيف ترى غِنائي ؟ قال :
كما قال الله عزَّ وجل : (إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ
الْحَمِيرِ) (١) .

ودخل إلى المتوكِّل ، فتقدَّم إليه طعام ، فغمسَ أبو
العيناء لقمته في خلٍّ كان حامضاً ، فأكلها وتأذَّى
بالحموضة ، وغطن المتوكِّل فجعل يضحك ، فقال :
لا تلمني يا أمير المؤمنين ، فقد مَحَتِ الْإِيمَانُ مِنْ قَلْبِي .
وقال له السُّدْرِيُّ : أشتبهى أنْ أرى الشَّيْطَانَ .
فقال : انظر في المرأة .

قال أبو العيناء : رأيت محمد بن مكرم يصلي
صلواته كلَّها ركعتين ركعتين ، فقلتُ : يا محمد ،
ما هذا الذي أراك تفعله ؟ قال : عزمتُ وحياتك على الخروج
إلى قُصْم (٢) إلى عند أبي .

(١) سورة لقمان : ١٩ .

(٢) قم : بتشديد الميم مدينة بفرس افتتحها المسلمون سنة ٥٢٣ .

قيل لأبي العيناء : لم اتَّخَذْتَ خادمين أسودين ؟
فقال : أما أسودان فثلاثا أَتَّهَمَ بهما ، وأما خادمان
فثلاثا يُتَّهَمَانِ .

ونظر إلى رجل قبيح الوجه ، فقال : كأنما خُلِقَ
هذا الرجل لِيَعْلَمَ الناسُ نعمةَ الله عليهم .

وقدمَ صديقٌ له من بعضِ الأعمالِ السلطانية ،
فدعاهُ إلى منزله وأطعمه وجعل الرجلُ يكثرُ الكذبَ ،
فالتصت أبو العيناء إلى من كان معه فقال : نحن كما قال
الله تعالى : (سَمَاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكْثَالُونَ لَلَّسْتُ) (١)

وقيل : ابنُ كَـمٍ أنتَ ؟ فقال : قبضه ، يعني :
ثلاثاً وتسعين .

وقبل له : كيف حمدُك ائفلان ؟ فقال : أحمدُه
لِلْإِثْمِ الزَّمانِ ، فأمرًا عن حُسْنِ اختيارٍ فلا .

واعترضه يوماً أحمدُ بنُ سعيدٍ ، فسلمَ عليه ،
فقال أبو العيناء : من أنتَ ؟ قال : أحمدُ بنُ سعيدٍ ،
فقال : إني بك لعارفٌ ، ولكن عهدي بصوتك يرتفعُ

(١) سورة المائدة ٥٠ - ٤٢ .

إليّ من أسفل . فماله ينحدر عليّ من علّو ؟ قال :
لأنّني راكب . قال : لا إله إلا الله . اعهدي بك وأنت
في طيّرين (١) أو أقسمت على الله في رغب لأعضاك
بما تكرّه .

وقال يوماً لعبيد الله بن سلمان : إلى كم يرفعني
الوزير ، ولا يرفع بي رأساً ؟ .

وقال له يوماً : كيف حالك ؟ فقال : أنت الحال ،
فإذا صلّحت صلّحت .

وقال يوماً لعبيد الله بن يحيى : أبها الوزير ، قد
برّح بي حُجّاتك ، فقال له : ارفق . فقال : لو رفق
بي فعلك رفق بيك قولي .

وقيل له : لاتعجل ، فإنّ العجاجة من الشيطان .
فقال : لو كان كذلك لما قال موسى عليه السلام :
(وعجلتُ إليك ربّ لترضى) (٢) .

وقال أرجل : والله مافيك من العقل شيء إلا مفدار
ما تجيب به الحمزة عايك ، والنار لك .

(١) الطير . الثوب الخلق السال

(٢) سورة طه ٨٤ .

قال المتوكل : لولا ذهاب بصر أبي العيناء لأردت منادمته ، وبلغه ذلك ، فقال : قولوا له : إنني إن أعفيت من قراءة نقوش الخواتم ، ورؤية الأهلّة صلحت غير ذلك . وأنهى ذلك إلى المتوكل فضحك وأمر بمنادمته .

قال أبو العيناء : سمعتُ جاراً لي أحرق وهو يقول بجاري له : والله غممت أن أوكّل بك من يصفع رقبتك ، ويخرج هذه الجفون من أقصى حجرٍ بخراسان .

ودخل إلى ابن مكرم ، فقال له : كيف أنت ؟ قال : كما تحب ، فقال : فلم أنت مُطّاق ؟ (١) .

* * *

ومِنْ رَسَائِلِ أَبِي الْعَيْنَاءِ وَكَلَامِهِ الْمُسْتَحْسَنِ

كتب إلى أبي الوليد بن دواد : جعلتُ فداك ، مَسْنَاً وأهلنا الضر ، وبضاعتنا المودة والشكر ، فإن تعطنا أكن كما قال الشاعر :

أنا الشَّهابُ الذي يحمي دياركم
لا يَخْمدُ الدهرُ إلا ضوؤه يقيد

(١) مطلق : غير متقلد لشؤون الوزارة .

وإن لم تفعل فلسنا ميمّنٌ يَلْمِزُكَ (١) في الصّدّقاتِ .
(فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطُوا مِنْهَا
إِذَا هُمْ يَسْتَخْطُونُ) (٢) .

قال ابن مكرم : مَن رَعِمَ أن عبد الحميد اكْتَسَبَ
من أبي العيناء إذا أحسن بكرمٍ أو شرع في طمعٍ فقد وهِمَ .
كتب إلى عبّيد الله بن سليمان وقد نكبه وأباه المعتمدُ ،
وهما مطالبان بمالٍ ، يبيعان له ما بما كان من عتار
وأثاثٍ ، وعبدٍ وأمةٍ . وأعطيت بخادمٍ أسودٍ عبّيدٍ
الله خمسون ديناراً ، فكتب إليه أبو العيناء :

قد علمتَ — أطال الله بقاءك . أنّ الكريم المنكروب
أجدهنّ على الأحرارِ من اللّثيم الموفورِ (٣) . لأنّ اللّثيم
يزيدُ مع النعمةِ لؤماً ، ولا تريدُ محنةُ الكريم إلاّ كرمًا ،
هذا مُتَّكِلٌ على رآزقه ، وهذا يسيءُ الظنَّ بخالقه .
وعبدُك إلى ملكِ كافورٍ فقيرٌ ، وتمنُّه على ما اتَّصل به

(١) يلزم : يعيب ويغتاب .

(٢) سورة التوبة : ٥٨ .

(٣) الموفور : الكثير الوفرة والمال

يسير ، فإن سمحتَ فتلكَ منك عادتي ، وإن أمرتَ
بأخذِ ثمنه فمالُكَ منه مادتي . أدام الله لنا دولتكَ ،
واستقبل بالنعمة نكبتك ، وأدام عيزكَ وكرامتك .
فوهب الخادمَ إليه .

قال أبو العيناء : قال ملكٌ لبنيهِ : صِفُوا لي شهواتيكم
من النساء . فقال الأكبر : تُعجبني القُدودُ والخُدودُ
والنهودُ . وقال الأوسط : تُعجبني الأطرافُ والأعطافُ
والأردافُ . وقال الأصغر : تُعجبني الشعورُ والثغورُ
والنحورُ .

كان بين أبي العيناء وبين إبراهيم بن رباح خلةٌ
ومودةٌ وصداقةٌ قديمة ، فلما نُكِبَ مع الكتاب في
أول خلافة الواثق (١) أنشأ أبو العيناء كلاماً حكاه عن
بعض الأعراب ، فلما وصلَ إلى الواثق وقرئ عليه .
قال : واضعُ هذا الكلام ما أراد به غير إبراهيم بن رباح ،
وكان أحدُ أسبابِ الرضا عنه . ونسخةُ الكلام : قال :

(١) في سنة ٢٢٩ هـ حبس الواثق بعض الكتاب ، وألزمهم أموالاً
عظيمة .

لَقِيتُ أَعْرَابِيًّا مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ ، فَقُلْتُ : مَا عِنْدَكَ
 مِنْ خَبَرِ الْبِلَادِ ؟ قَالَ : قَتَلَ أَرْضًا عَالِمُهَا (١) . قُلْتُ :
 فَمَا عِنْدَكَ مِنْ خَبَرِ الْخَلِيفَةِ ؟ قَالَ : تَبْجِجُ فِي عِزَّةٍ (٢)
 فَضْرَبَ بِيَجْرَانِهِ (٣) ، وَأَخَذَ الدَّرْهَمَ مِنْ مِصْرِهِ ،
 وَأَرَعَفَ كُلَّ قَلَمٍ خِيَانَتَهُ (٤) .

قَاتُ . فَمَا عِنْدَكَ مِنْ خَبَرِ ابْنِ أَبِي دُوَادَ ؟ قَالَ :
 عُضْلَةٌ (٥) لَا تَطَاقُ ، وَجَنْدَلَةٌ لَا تُرَامُ . يُنْتَحَى
 بِالْمُدَى لِسَحَرٍ فَتَحُورُ (٦) ، وَتُنْصَبُ لَهُ الْحَبَائِلُ حَتَّى
 يَهْوَلَ : الْآنَ ، ثُمَّ يَنْضَسِرُ (٧) صَبْرَةً الذَّائِبِ ، وَيَتَمَلَّسُ

(١) كناية عن الخبر بما سئل عنه

(٢) تبجج : توسط ، كناية عن السكن

(٣) الجران : الأصل باطن العنق ، وقيل : مقدم العنق من
 مذهب البعير .

(٤) أَرَعَفَ الْإِبَاءَ مَلَأَهُ حَتَّى سَالَ

(٥) العضلة : الشدايد الداهية والخذلة الحجر ، أو ما يجتمع في
 النهر من حجارة تسمع الملاحه .

(٦) يحور . ترحج .

(٧) يضسر : يثب ، وأصلها نوع من سير الفرس

تَمَلُّسَ الضَّبِّ ، والخليفةُ يحتو (١) عليه ، والعراق (٢)
يأخذُ بضَبْعَيْهِ .

قلتُ : فما عندك من خبرِ عُمرَ بنِ فَرَج (٣) ؟
فقال : ضُخَامٌ حِضْبَجْرٌ (٤) وغضوبٌ هِزْبَرٌ ، قد
أهدَفَه القومُ لبغيهم ، وانتَضَوْا له عن قِسيهم
وأحرَّله بمثلِ مصرعٍ من يُصرعُ منهم .

قلت : فما عندك من خبرِ ابنِ الزيات ؟ قال : ذاك
رجلٌ وسيعُ الوري بِشَرِّهِ ، وبطنُ بالأُمورِ خبْرُهُ ،
فله في كلِّ يومٍ صرِيحٌ لا تظهرُ فيه آثارُ ميْخَابٍ ولا ذابٍ ،
إلا بتسديدِ الرأي .

قلت : فما عندك من خبرِ إبراهيم بنِ رباح ؟ قال :
ذاك رجلٌ "أَوْبَقَه" كَرَمُهُ ، وإنْ يَفُزْ للكرامِ قِدْحُ (٥) .

(١) الخو : العدو الشديد .

(٢) الضجج : العفد .

(٣) عمر بن فرج حبه المتوكل ، وكان أحد من حبهم الواثق
من الكتاب .

(٤) الضخام : العظيم من كل شيء ، وقيل العظيم الجرم ، الكثير
العلم ، والحضجر : العظيم البطن .

(٥) القدح : السهم .

فأحرى بمنجاته ، ومعه دُعاءٌ لا يخذله ، وفوقه خليفةٌ
لا يظلمه .

قلت : فما عندك من خبر نجاح بن سلمة ؟ قال :
لادرئه من خافضٍ أوتادٍ ، يقدُّ كأنه لهبُ نارٍ ، له
في الفيئةِ بعد الفينةِ جلسةٌ عند الخليفةِ كحُسوةٍ
طائرٍ ، أو كخليفةٍ سارقٍ ، يقومُ عنها ، وقد أفادَ
نِعماً ، وأوقعَ نِقَمًا .

قلت : فما عندك من خبر الفضل بن مروان ؟ قال :
ذاك رجلٌ حُشِرَ بعد ما قُبِرَ ، وله نشرةُ الأحياءِ ،
وفيه نخوةُ الموتى .

قلت : فما عندك من خبر أبي الوزير (١) فقال :
إخاله كِبش الزنادقة . ألا ترى أن الخليفةَ إذا أهمله
نخضم (٢) فرتع ، حتى إذا أمرَ بنفسه أمطر فأمرع .
قلت : فما عندك من خبر أحمد بن الحبيب ؟

(١) أبو الوزير . وزير المتوكل

(٢) الخضم الأكل بالغم كله .

فَقَالَ : أَحْمَدُ أَكَلَ لِمِ كَلَّةٍ نَهَمَ ، فَأَخْلَفَ خِلَافَةً
بَشَمَ (١) .

قُلْتُ : فَمَا عِنْدَكَ مِنْ خَبَرِ الْمُعَلَّى بْنِ أَيُّوبَ ؟ قَالَ :
ذَلِكَ رَجُلٌ قَدْ مَنَ صَخْرُهُ ، فَصَبَرُهُ صَبْرُهَا ، وَمَسَّهُ
مَسُّهَا .

قُلْتُ : فَمَا عِنْدَكَ مِنْ خَبَرِ أَحْمَدَ بْنِ إِسْرَائِيلَ ؟ قَالَ :
كُتُومٌ غُرُورٌ ، وَجَانْدٌ صَبُورٌ ، لَهُ جِلْدٌ نَمِيرٌ ، كَانَمَا
قَدَّوْا لَهُ إِهَابًا أَنْشَأَ اللَّهُ لَهُ إِهَابًا (٢) .

قُلْتُ : فَمَا عِنْدَكَ مِنْ خَبَرِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بَعْقُوبَ ؟ قَالَ :
(أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ) (٣)

قُلْتُ : فَمَا عِنْدَكَ مِنْ خَبَرِ سُلَيْمَانَ بْنِ وَهَبٍ ؟ فَقَالَ :
ذَلِكَ رَجُلٌ اتَّخَذَهُ السُّلْطَانُ أَخًا ، فَاتَّخَذَ نَفْسَهُ
لِلْأُسْطَانِ عَيْدًا .

(١) بَشَمَ : بَالِغٌ فِي الطَّعَامِ حَتَّى التَّخَمَةِ

(٢) الْإِهَابُ : حُلْدُ الْحَيَوَانِ قَبْلَ دَفْنِهِ

(٣) سُورَةُ النُّحْلِ : ٢١ .

قلتُ : فما عندك من خير أخيه الحسن ؟ : فقال
 عند ما استنوقتُ (١) سألتك ! ذاك حرمةٌ حُبِستُ
 تحريره المجرم . لبس في القوم في خلٍّ ولا خَمَرٍ ،
 هزِئات .

كُتِبَ الحبسُ والخراجُ إليهم
 وسمي الحصناتِ جرَّ الذُّيولِ (٢)

(١) مأخوذ من المثل : « استنوق الحمل » . إذا ضحك أمره .

(٢) مأخوذ من بيت عمر بن أبي ربيعة

كنب القل والقنال عابنا وعلى الحصنات جر الذُّيول

الباب السابع

سوار مزرب

أخذه بعضُ الولاة وقد اتهمه بالشرب ،
 فاستنكهته (٢) ، فلم يجد منه رائحةً ، فقال : قيسثوه .
 قال : من يضمن عثنائي أصالحاك الله ؟ .

فيل له مرة — وقد أفحش في كلامه — : أمْلِ على
 كتابيَّك (٣) خيراً . قال : أكره أن أخاطب نبيهما .
 وادّعى رجل عليه شيئاً ، وفدّته إلى القاضي .
 فأنكره ، وسأله إقامة البينة ؛ فقال : ليس لي بينة .
 قال : فأستحلفه لك ؟ قال : وما يمن مزرباً أصالحاك الله ؟

(١) مزرب المديني كان يضرب به المثل في الهرل والدعابة .

(٢) استنكهه : شم أي : رائحته .

(٣) المراد : المكان الكانبان .

فقال مُزَبَّدٌ : ابعث ، أصالحك الله ، إلى ابن أبي ذئب (١)
فاستحلفه له .

وتناول رجلٌ من لحيته شيئاً ، فسكت عنه ، وكان
الرجلُ قبح الوجه ، فقال : ويحك لم لا تدعولي ؟ فقال :
كرهتُ أن أقولَ صرفَ الله عنكَ السوء فتبقى بلا وجه .

وقيل له : أيسرُّك أن هذه الحُبَّةُ لك ؟ قال : نعم ،
وأضربُ عشرين سوطاً . قيل : ولم تقولُ ذلك ؟ قال :
لأنَّه لا يكونُ شيءٌ إلا بشيءٍ .

وأثاه أصحابُ له يوماً ، فقالوا له : يا أبا إسحاق ،
هل لك في الخروج بنا إلى العقيق (٢) ، وإلى قباء (٣) ،
وإلى أحد ناحية قبور الشهداء ، فإن يومئذٍ كما ترى
يوم طيب . قال : اليومُ يوم الأربعاء ولستُ أبرحُ من

(١) ابن أبي ذئب من الصالحين .

(٢) العقيق . يطلق على كثير من المواضع ، والمراد هنا عقيق
المدينة ، بجانبها ، فيه عيون ونخل .

(٣) قباء ، في طرف المدينة ، يقصر ويمد ، بها مساكن بعض الأنصار
ومسجد قباء المشهور

منزلي . قالوا : وما تكره ؟ . يومُ الأربعاء فيه ولِدَ
يونسُ بن متى عليه السلام . قال : بأبي وأمي أنتم فقد
التقّمه الحوتُ . قالوا : فمير اليوم الذي نُصِرَ فيه النبيُّ
عليه السلام يومَ الأحزاب . قال : أجل . ولكن بعدَ
إذْ زَاغَتِ الأبصارُ ، وباغَتِ القلوبُ الحناجرُ . وظنُّوا
بالله الظنونَ .

استأذن مُزَبِّد على بعض البخلَاء وقد أهدِي له
تينٌ في أولِ أَوَانِهِ ، فلما أحسَّ بدخوله تناول الطبقَ .
فوضعه تحت السرير ، وبقيت يده معلقة ، ثم قال لمزَبِّد :
ما جاء بك في هذا الوقت ؟ قال : يا سيدي ، مررت الساعة
ببابِ فلان ، فسمعتُ جاريته تقرأ لحناً ما سمعتُ قطُّ
أحسنَ منه ، فليمتا عانتُ من شدةِ محبتكِ للقرآن ،
وسماعك للألحان ، حفظته ، وجئتُ لأقرأه . عليك .
قال : فهاتيه . فقال : بسم الله الرحمن الرحيم ((والزيتون
وطُورِ سينين .)) (٣) فقال : وبالك ! أين التين ؟ قال :
تحت السرير ! ! .

(١) سورة التين : ٢٥١ .

احتاج مزبّد" أن يبيع جُبته لسوء حاله ، فنادى
عليها المتنادي - فلم يطاب بشيء ، فقال : مزبّد : ما كنتُ
أعلمُ أنّي كنتُ عرباناً إلى الساعة .

ونظر يرمأ إلى امرأته تصعد في درجة ، فقال :
أنتِ الطلاق إنْ صعدتِ ، وأنتِ الطلاق إنْ وقفتِ ،
وأنتِ الطلاق إنْ نزلتِ . فرمت بنفسها من حيث بلغت .
فقال لها : فذاك أبي وأمي ! إن مات مالك احتاج إليك
أهلُ المدينة في أحكامهم .

وقالت امرأةُ مزبّد - وكانت حُبلى - ونظرتُ
إلى فبيع وجهه - . الويلُ لي إن كان الذي في بطني
يُشبهك - فقال لها : الويلُ لي إن كان الذي في بطني
لا يشبهني .

دفع مرّةً إلى والي مكة ، وقد أفطر في شهر رمضان ؛
فقال له الوالي : يا علوّ الله ، تنفطير في شهر رمضان !
قال : أنت أمرتني بذلك . قال : هذا شرٌّ ، كيف
أمرتك ؟ وبالك . قال : حَدَّثْتُ عن ابن عباس :

أنه من صام يوم عرفةَ عدلَ صومهُ سنةً ، وقد صُمَّتْهُ .
فضحك الوالي وختلَّه

واعتلَّ عاهةً ، وأشرف منها إلى الهلاك ، وأراد أنْ
يُوصي ، فدعا بعض أوليائه ، وأوصى إليه ، وكتب كتاب
وصيته ، وأمر للوصيِّ بشيءٍ ؛ فلما فرغ من الكتابة
راه مُزَبَّدٌ وهو يُتْرَبُ الكِتَابَ ؛ فقال وهو على تلك
الحال : نعم يا سيدي ، فهو أقضى للحاجة (١) .
ونظر إلى قومٍ مُكْتَفِينَ يَسْدُ هَبَ بهم إلى السجن ،
فقال : ما قصَّةُ هؤلاء ؟ قالوا : خيرٌ . قال : إن كان
خيراً فاكْتَفُونِي معهم .

• • •

(١) أشار إلى الحديث الشريف . « إذا كتب أحدكم فليزب فإنه
أنجح » .

الباب الثامن

نوادِر أبي الحارث حميد

قيل له : ماتقولُ في فالوذجة ؟ قال والله لو أنَّ
موسى لقيَ فرعونَ بفالوذجة لآمن ، ولكنه لقته بعصاً .

وقيل له يوماً : ماتشتهي ؟ فقال : نشيشَ مِقلّةٍ
بين غليانٍ قِدرٍ على رائحةٍ شواءٍ .

وكان لا يأكل الباذنجانَ ، فكأبده محمدُ بنُ يحيى
واتخذَ ألوانَه كلّها بباذنجانٍ ، فجعل كلما قُدَّمَ
لنُ فراهُ الباذنجانُ فيه توقّاه ، وأقبل على الخبزِ والملحِ ،
فلما عطش قال : يا غلامُ ، اسقني ماءً ليس فيه باذنجان .

وكتب يوماً إلى صديق له : أوصبك بتقوى الله ،
إلا أن تَرى غيرَ ذلك خيراً منه .

(١) أبو الحارث حميد ، أحد المشهورين بالنوادِر والمزاح .

وقيل له : سبقتَ بيرذونك هذا قط ؟ قال : بلى ،
مرة . دخلنا زقاقاً لا منفذَ له وكنتُ آخرَ القوم ، فلما
رجعنا كنتُ أولَ الموكب .

ودخل جماعة من إخوانه . فاشتَهروا عليه لونا
يعطبخه لهم ، فدنا أحدُهم من القدرِ ليدوقها ، وأخرج
قطعة لحم وأكلها ، وفعل كلُّ واحدٍ منهم كذلك ،
فقال أحدهم : هي طيبةٌ لكنها تحتاج إلى شيءٍ لأدري
ما هو ؟ فقال أبو الحارثِ : أنا أعلمُ . هو ذا تحتاج
إلى اللحم .

وحكى دِعبلٌ قال : بلغني أنْ أبا الحارثِ قد
فُلج ، فاغتممتُ لظرفه وملاحته ، فصيرتُ إليه فوجدتهُ
في عافية . فحمدتُ الله وسألتهُ عن خبره ؟ فقال :
دخلتُ الحمامَ وأكلتُ السمك ، ودعوتُ المزيّنَ فأخذ
شعري ، فظنُّ الفالِجُ لما رأى المزيّنَ عندي أني احتجّمت ،
فلما علمَ أنه أخذَ من شعري تركني وانصرف .

ونظر يوماً إلى بيرذون يُستقي عليه ، فقال :
« وَمَا المرءُ إِلَّا حَيْثُ يَجْعَلُ نَفْسَهُ » .

لو أن هذا همّلتج ما كان هذا (١) .

وأكل يوماً مع الرؤساء بيضاً مسلوقاً ، فجعل يأكل
الصفرة ، وينحّي البياض إلى بين يدي أبي الحارث
عبثاً به ، فقال لما طال ذلك عليه — وتنفس الصعداء — :
سقى الله روح العجّة فما أعدّ لها .

ودخل إلى بعض أصدقائه يوماً ، فقال له : ماتشتهي ؟
قال ، أما اليوم فماء حصرم ، وأما غدا فهريسة .
قال بعضهم : دخلت على جمّين أعوده من مرض به ،
فقلت له : ما تشتهي ؟ فقال : أعين الرقباء ، وألسن
الوشاة ، وأكباد الحساد .

قل لجمّين — وقد رأى سوداء قيحة — : ابتلاك
الله بحبّها ، قال : ياغيض ، لو ابتلاني بحبها كانت
عندي من الحور العين ، ولكن ابتلاك الله بأن تكون
في بيتك وأنت تبغضها .

وقال له الرشيد : اللوزينج أطيب أم الفالودج ؟

(١) ملح . أسرع في سبره

قال : أَحْضِرْهُمَا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، فَأَحْضَرَا ، فَجَعَلَ
يَأْكُلُ مِنْ هَذَا وَهَذَا ، ثُمَّ قَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، كَلِمَا
أَرَدْتُ أَنْ أَشْهَدَ لِأَحَدِهِمَا غَمَزَنِي الْآخَرُ بِحَاجِبِهِ .

قال بَصْرِيٌّ لَجَمِينٍ : يَا تَيْنَا الْمَدُّ وَالْخَزْرُ فِي كُلِّ
يَوْمٍ مَرَّتَيْنِ . قال : يَسْتَأْذِنُ اللَّهُ فِي هَلَاكِكُمْ مَرَّتَيْنِ ،
وَكَانَ قَدَرٌ .

ودعته امرأةٌ كان يحبُّها ، فجعلت تحادثه ولا تذكر
الطعام ، فلما طال ذلك به قال : جعلني الله فداءك ،
لَأَسْمَعَ لِلْغَدَاءِ دِكْرًا . قالت له : أما تستحي ! أما في
وجهي ما يشغلك عن هذا ؟ قال : جعلني الله فداءك ،
لو أن جميلًا وبُشينةً قعدا ساعةً لا يأكلان شيئًا لَبَزَقَ (١)
كل منهما في وجه صاحبه .

• • •

(١) بزق . بصرق

الباب التاسع

نوادير الجمار (١)

قال الجمارُ لأبي شُراعة (٢) : كيف تجدك ؟
قال : أجدني وقيداً (٣) من دمايل قد ظهرت في أقبح
المَوَاضِع . قال : ما أرى في وجهك منها شيئاً .

قال بعضُ إخوان الجمار - وقد دخل إليه وهو
يطبخُ قِدرًا - : لا إله إلا الله ما أعجب الرزق ! فقال
الجمار : أعجبُ منه الحرمان . امرأته طالق إن ذُفِّتْهَا .

(١) أبو عبد الله محمد بن عمرو الجمار ، بصري خبيث اللسان ماجن
وهو ابن أخي سلم بن عمرو الخاسر الشاعر ، كان الجمار شاعراً صاحباً ،
مقطعات ، توفي سنة ٢٥٠ هـ في أيام المتوكل .

(٢) هو أحمد بن محمد بن شُراعة ، شاعر بصري جزيل اللفظ ،
مات في أيام المتوكل

(٣) الوقْد المَرِيض المَثْرَب على الموت .

وقال له السهري : وُلِدَ لي البارحة ابنٌ كأنه الدينار
المنقوش . فقال الحمَّاز : لآعينُ أمَّه (١)

صلى رجلٌ صلاةً خفيفةً . فقال له الحمَّاز : لو
رَأَى العجاج (٢) لُسِّرَ بك . قال : ولِمَ ؟ قال : لأنَّ
صلواتك رجز .

رأى رجلٌ الهلالَ فاستحسنه ، فقال له الحمَّاز :
وما تستحسنُ منه ؟ فوالله إنَّ فيه لخيصالاً لو كانت
إحداهنَّ في الحمار لودَّ بها ، قال : وما هي ؟ قال : إنه
يدخل الروازن (٣) ، ويمنعُ من الدبيب ، ويدلُّ على
الصوص ، ويسخن من الماء ، ويخرق الكتَّان ، ويورث
الزكام ، ويحل الدين ، ويزهيم اللحم .

كان المتوكل يُحدِّث عن الحمَّاز ، فكتبَ في
حَمَلِهِ ، فلما دخل عليه لم يقع الموقع الذي ظنَّه ، فقال

(١) لآعين الرجل زوجته إذا قدمها بالزنى .

(٢) هيد الله بن رَوْح العجاج شاعر اشتهر بالرجز .

(٣) الروازن : الكوى .

المتوكل . تكلم فلاني أريد أن استبرئاك (١) . فقال الحمّاز :
بحيضةٍ أو بحيضتين ، فضحكت الجماعة .

وقال له الفتح : قد كاتمتُ أميرَ المؤمنين فيكَ حتى
ولاكَ جزيرة القروذِ ، فقال له الحمّاز : أفلستَ في
السمع والطاعةِ أصلحك الله ؟ فحُصِرَ الفتحُ وسكتَ .
فقال له بعضُ مَنْ حضر : إنَّ أميرَ المؤمنين يريد
أن يهبَ لك جاريةً . فقال : ليس مثلي مَنْ غرَّم نفسه ،
ولا كذب عند أمير المؤمنين . إن أرادني أن أقودَ عليها ،
وإلاَّ فمالها عندي شيء ، فأمر له المتوكل بعشرة آلاف
درهم ، وأخذها وانحدر ، فمات فرحاً .

✽ ✽ ✽

(١) من معاني استبرأ إن الرجل لا يعلأ امرأته إذا كانت متزوجة
قبله ، أو منه حتى تحيض .

الباب العاشر

سوار المجانين

قال مجنونٌ — ولقي الناسَ منصرفين من الجمعة — :
أيها الناس : (إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً) (١) .
فقال له مجنونٌ آخر : (وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ
أَنْ يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ) (٢) .

ومرَّ مُوسَىٰ بن أبي الروقاء ، فناداه صبيّاحُ الموسوس :
يا بَنَـ أبا الروقاء أَسَمَنْتَ بِرَذَوْنِكَ ، وَهَمَزْتَ دِينَكَ (٣) ،
أما والله إِنْ أَمَامَكَ لَعَقَبَةٌ لَا يَجُوزُهَا إِلَّا الْمُخِيفُ . فحَبَسَ
موسى بِرَفْوَنِهِ ، فَقِيلَ لَهُ : هَذَا صَبِيّاحُ الْمَوْسُوسِ . قَالَ :
مَا هُوَ بِمَوْسُوسٍ ؟ .

(١) سورة الأعراف : ١٥٨ .

(٢) سورة طه : ١١٤ .

(٣) هزل لازم ومتعد .

وقف رجلٌ على بُهلُول ، فقال له : تعرفُنِي ؟
فقال بُهلُول : إِيّ وَاللّهِ ، وَأَنْتَسِبُكَ نَسَبَ الْكَمَاءَةِ ،
لَا أَصْلَ ثَابِتٍ ، وَلَا فَرْعَ ثَابِتٍ .

ودعا الرّشيدُ بُهلُولاً ليضحكَ منه ، فلما دخلَ دعا
له بمائدةٍ فَقُدِّمَ عليها خبزٌ وَحَدَه ، فولى بُهلُولٌ
هارباً ، فقال له : إلی أين ؟ قال : أَجِئْتُكُمْ يَوْمَ الْأَضْحَى ،
فَعَسَى أَنْ يَكُونَ عِنْدَكُمْ لَحْمٌ .

أَخْرَجَ بِلَالُ بْنُ أَبِي بُرْدَةَ (١) مِنْ حَبْسِهِ مَجْنُوناً
يَمَازِيحُهُ ، فَقَالَ لَهُ : أَتَدْرِي لِمَ أَخْرَجْتُكَ ؟ قَالَ : لَا .
قَالَ : لِأَسْخَرَ مِنْكَ . قَالَ : إِنَّ الْمُسْلِمِينَ حَكَمُوا
حُكْمَيْنِ فَسَخَرَا أَحَدُهُمَا بِالْآخَرِ .

قَالَ الْمُبَرَّدُ : دَخَلْتُ يَوْمَ دَيْثَرٍ هِزْ قِيلَ ، فَرَأَيْتُ
فِي صَحْنِ الدَّارِ مَجْنُوناً ، فَدَلَعْتُ لِسَانِي (٢) فِي وَجْهِهِ ،
فَنَظَرَ إِلَى السَّمَاءِ ، وَقَالَ : الْحَمْدُ وَالشُّكْرُ مَنْ حَلُّوا
وَمَنْ رَبَطُوا .

(١) بِلَالُ بْنُ أَبِي بُرْدَةَ بْنِ أَبِي مُوسَى الْأَشْمَرِيِّ ، أَمِيرُ الْبَصْرَةِ
وَقَاضِيهَا .

(٢) دَلَعَ لِسَانَهُ : أَخْرَجَهُ .

قال بعضهم : رأيتُ بَحْمَصٍ مجنوناً يقول :
يا قوم ، مَنْ يتعلمُ : « لا أدري » ؟ يا هذا ، تعلم :
« لا أدري » ، فلانَّك إذا قلتَ : « لا أدري » علموك حتى
تَدْرِي وإذا قلتَ : « أدري » سألوكم حتى لا تدري .
وجاء مجنونٌ فوقفَ عند شجرة مَكْسَاء ، فقال :
مَنْ يعطيني نصفَ درهم حتى أصعد ؟ فعجبَ الناسُ
وأعطوه ، فأحرزَه ، ثم قال : هاتُوا سلماً . قالوا :
ما كان السلم في الشرط . قال : وكان بلا سلم في الشرط ؟ .
ووقف بهلول على رَجُل ، وقال : خبرني عن
قول الشاعر :

« وإذا نَبَا بك منزلٌ فتحوَّلِ »

كيفَ هو عندك ؟ قال : جيدٌ . قال : فإن كنت
في الحبس فكيف تتحوَّل ؟ . قال : فانقطع الرجلُ ،
فقال بهلول : الصوابُ قولُ غيره :

إذا كُنْتَ في دارٍ يسوءُكَ أهلُها

ولم تَكُ مَكْبُولاً بها فتحوَّلِ

أصيب إسحاقُ بنُ محمدٍ بنِ الصَّحَّاح الكندي بابنِ

له ، فجزع ، فدخل أهل الكوفة يعزّونه ، ودخل فيهم
بُهلول ، فقال : أيسرُك أنه بقي وأنه مثلي ؟ . قال :
لا والله ، وإنها تعزية ! .

هرب مجنون من الصبيان ، ودخل دهليزا ، وأغلق
الباب في وجوههم وجلس ، فخرج إليه صاحبُ الدار ،
فقال : لِمَ دخلتَ دَارِي ؟ . قال : من أيدي هؤلاء
أولاد الزنّي . فدخل صاحبُ الدار ، وأخرج طبقاً عليه
رُطْبٌ كثيرٌ ، فجلس المجنون يأكل ، والصبيان يصيحون
على الباب ، فأخرج المجنون رأسه إلى صاحب الدار ،
فقال : بابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ
العُدَابُ .

قيل لمجنون كان بالبصرة : عُدَّ لنا مجانيّنَ البصرة .
قال : كلفتموني شَطَطاً ، أنا على عَدِّ عقلائهم أقدر .
قال الفزاري : رأيتُ مجنوناً يُسوِّي رأسَ سكرانٍ ،
ويقول له : يؤيِّؤ (١) ، والله لا أفلحت أبداً .

شدَّ مجنونٌ على رجلٍ بالبصرة ، فأخذه الرجل

(١) المؤيِّؤ : طائر صغير أصفر اللون يضرب إلى الزرقة .

فَضْرِبْهُ . فَقَالَ النَّاسُ : إِنَّهُ مَجْنُونٌ ، وَجَعَلَ الْمَجْنُونُ يَقُولُ
مِنْ تَحْتِهِ : وَيَحْكُمُ أَفْهَمُوهُ .

وَجَازَ بِهِ لَوْلَ بِسُوقِ الْبَزَّازِينَ ، فَرَأَى قَوْمًا مُسْتَجْمِعِينَ
عَلَى بَابِ دُكَّانٍ يَنْظُرُونَ إِلَى نَقَبٍ قَدْ نُقِبَ عَلَى بَعْضِهِمْ ،
فَاطَّلَعَ فِي النَّقَبِ ، ثُمَّ قَالَ : وَكَلِّكُمْ لَا تَعْلَمُونَ ذَا مَنْ
عَمِلَ مَنْ ؟ قَالُوا : لَا . قَالَ : فَلِإِنِّي أَعْلَمُ . فَقَالَ النَّاسُ :
هَذَا مَجْنُونٌ يَرَاهُمْ بِاللَّيْلِ وَلَا يَتَحَاشَوْنَهُ ، فَأَنْعِمُوا لَهُ
الْقَوْلَ لَعَلَّهُ يَخْبِرُ بِذَلِكَ . فَسَأَلُوهُ أَنْ يَخْبِرَهُمْ . فَقَالَ : إِنِّي
جَائِعٌ ، فَهَاتُوا أَرْبَعَةَ أَرْطَالٍ رِقَاقٍ وَرَأْسَيْنِ ، فَأَحْضَرُوا
ذَلِكَ وَأَكَلَ ، فَلَمَّا اسْتَوْفَى قَالَ : هُوَذَا أَشْتَهِي شَيْئًا حُلُوا ،
فَأَحْضَرُوا لَهُ رَطْلَيْنِ فَالْوَدَجَ فَأَكَلَهُ . وَفَرَّغَ مِنْهُ وَقَامَ
وَتَأَمَّلَ النَّقَبَ ، ثُمَّ قَالَ : كَأَنَّكُمْ السَّاعَةَ لَسْتُمْ تَعْلَمُونَ هَذَا
مَنْ عَمِلَ مَنْ ؟ قَالُوا : لَا . قَالَ : هَذَا مِنْ عَمَلِ اللَّصُوصِ
لَا شَكَّ . وَعَدَا .

جَاءَتْ امْرَأَةٌ دَثْدَانُ الْمَجْنُونِ إِلَى الْقَاضِي ، فَقَالَتْ .
أَصَابَكَ اللَّهُ ، إِنَّهُ يُجِيعُنِي وَيُضْرِبُنِي ! قَالَ الْقَاضِي .

ما تقول ؟ . قال دندان : أما الضربُ فنعم ، وأما
 الجوعُ فهي طالقٌ ثلاثاً إن لم تجيء معي إلى منزلي
 مع أصحابك أيها القاضي . فقال لأصحابه : قوموا بنا
 لا يحنث . فقام القاضي ، وذهب معه ، فلما دخل جاء
 به إلى مَزْبلة فيها رَجِيسٌ (١) عظيم ، فقال : أصلحك
 الله . هذا يخرجُ مِن بطن جائعٍ ٢ . قال : أخزأك الله ،
 فلأنك أحمق . قال : أحمقُ مني من أطاع المجانين .

كان بهلول يوماً جالساً والصبيان يؤذونه وهو
 يقول : لاحول ولا قوة إلا بالله . يُعيدهُ مِراراً ، فلما
 طال أذاهم له أخذَ عصاه وقال : حمي الوطيسُ ،
 وطابت الحربُ ، وأنا على بيّنةٍ من ربّي . ثم حمل
 عليهم وهو يقول :

أشدّ على الكتيبةِ لا أبالي

أفيها كسان حَتْفِي أم سيواها (٢) .

(١) الرجيع : الروث .

(٢) البيت للمباس بن مرداس .

فتساقط الصبيانُ بعضهم على بعض ، وتهاربُوا ،
فقال : هُزِمَ القوم وولَّوا الدبر . أمرنا أمير المؤمنين —
رضي الله عنه — ألاَّ نتبعَ مؤلَّيًّا ، ولا نُدْفَقَ (١) على
جريح ، ثم رجع وجلس وطرح عصاه ، وقال :

فَأَلْقَتْ عَصَاهَا وَاسْتَقَرَّ بِهَا النَّوَى
كَمَا قَرَّعَيْنَا بِالْإِيَابِ الْمُسَافِرُ (٢)

* * *

(١) دَفَقَ عَلَى الْجَرِيح : أَحْزَى عَلَيْهِ .
(٢) أَلَقَ الْمَسَافِرُ عَصَاهُ : بَلَغَ مَوْضِعَهُ وَاسْتَقَرَّ بِهِ

الباب الحادي عشر

سوار البخلاء

قال بعضهم لبخيل . لم لا تدعوني يوماً ؟ . قال .
لأنك جيّد المتضع . سريع البئع ، إذا أكلت لقمة
هيأت أخرى . قال : فتريد مني إذا أكلت لقمة أن
أصلي ركعتين ، ثم أعود إلى الثانية ؟ .

دخل واحدٌ إلى بعضهم وهو يأكل ، ومعه آخر ،
فقال للدّاخِل : تعالَ كُلْ . قال : قد تغدّيتُ .
فقال : هذا أيضاً رعم أنه تغدّي .

ودخل آخرٌ على بعضهم وبين يديه طبقٌ عليه تين ،
فلما أحسن الدّاخِل غطّى الطَّبَق بذيّله ، وأدخل
رأسه في جيبه ، وقال للدّاخِل : كُنْ أنت في الحجرةِ
الأخرى حتى أفرغ من بخوري

أَكَلَ ابْنُ الْمَدَنِيِّ يَوْمًا عِنْدَ ابْنِ الْفَيَّاصِ (١) ، فَقُدِّمَتْ
جُودَابَةٌ (٢) فِي نَهَايَةِ الْجُودَةِ ، وَأَمْعَنُ ابْنُ الْمَدَنِيِّ فِيهَا ،
فَلَمْ يَصْبِرْ ابْنُ الْفَيَّاصِ حَتَّى قَالَ لَهُ : أَلَيْسَ رَعْمَتًا
أَنْتَ لَسْتَ صَاحِبَ جُودَابٍ .

وَقَالَ بَعْضُ الْمُبْتَغِلِينَ لِرَجُلٍ عَلَى مَائِدَتِهِ : اكْبِرِ
ذَلِكَ الرَّغِيفَ . فَقَالَ : دَعْنِي يُسَبِّتَنِي بِهِ عَيْرِي .

دَعَا بِخَيْلٍ قَوْمًا ، وَاتَّخَذَ لَهُمْ طَعَامًا . فَلَمَّا جَلَسُوا
يَأْكُلُونَ وَهُوَ قَائِمٌ يَخْدُمُهُمْ ، وَأَمْعَنُوا فِي الْأَكْلِ جَعَلَ
صَاحِبُ الْبَيْتِ يَتَلَوُّ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ نَفْسِهِ . (وَجَزَاهُمْ
لَمَّا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا) (٣)

وَكَانَ جَعْفَرُ بْنُ سَالِمَانَ نَحِيلًا عَلَى الطَّعَامِ ، فَرُفِعَتْ
الْمَائِدَةُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَعَلَيْهَا دَحَاجَةٌ ، فَوَثَبَ عَلَيْهَا بَعْضُ
بَنِيهِ وَأَكَلَ مِنْهَا ، وَأُعِيدَتْ عَلَيْهِ مِنْ غَدٍ ، فَلَمَّا رَأَاهَا
وَقَدْ أَكِلَ مِنْهَا شَيْئًا . قَالَ : مَنْ هَذَا الَّذِي تَعَاطَى فَعَقَرَ (٤)

(١) عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ الْقَاضِي ، كَاتِبٌ

(٢) الْجُودَابُ : طَعَامٌ يَتَّخِذُ مِنَ اللَّحْمِ وَالرُّزِّ وَالسُّكَّرِ وَالْبَدَقِ .

(٣) سُورَةُ الْإِنْسَانِ ١٢ .

(٤) إِشَارَةٌ إِلَى الْآيَةِ : (فَادْرَأُوا صُنُوجَهُمْ تَعَاطَى فَعَقَرَ) سُورَةُ الْقَمَرِ ٢٩ .

قالوا : ابنك فلان . فقطع أرزاقَ بنيه كلَّهم ، فلما طال عليهم قال بعضُ بنيه : أتهلكنا بما فعل السفهاء منا (١) ، فأمر برَّدَ نِصفِ أرزاقهم .

وقف واحدٌ على الحِطْيَةِ استقرَّ به (٢) فمعه . فقال : إنَّ الرَّمْضَاءَ قد أحرقت قدمي . قال . بلى عابهما تبردا قال : وما عندك غيرُ هذا ؟ . قال : بلى ، هراوةٌ من أرزن (٣) معجَّرة . قال : إي ضيف . قال : للضيفان أعددتُها .

قال أبو الأسود الدؤلي - وكان بَحِيلاً - : أو أطعنا المساكينَ في أموالِنا كُنَّا أسوأَ حالاً منهم .

قال الجاحظ : حدثني بعضُ أصحابنا قال : كنا منطلقين إلى رجلٍ من كبارِ أهلِ العسكر . وقد كان لُتُنًا عنده يطولُ ، فقال له بعضُنا : إن رأيتَ أن تجعل

(١) إشارة إلى الآية : (أتهلكنا بما فعل السفهاء منا) سورة

الأعراف : ١٥٥ .

(٢) يستقرُّ به . يطلب منه القربى ، وهو طعام الضيف .

(٣) الأرزن : شجر صلب والحشبة العجواء التي بها عقد .

أما أماره إذا طَهَرْتُ خَفَعْنَا ، ولم نُشْعِكَ بِالْمَعْرُود .
وقد قال أصحابُ معاويةَ مثلَ الذي قلنا لك ، فقال :
أماره ذلك إذا قلتُ : إذا شئتم . وقال أصحابُ يزيدَ
مثلَ ذلك . فقال : إذا قلتُ : على بركة الله ، وقيل
لعمد المالك ، فقال : إذا ألقى الخيزُرانةَ من يدي ،
فأي شيء تجعل لنا أصحابك الله ؟ فقال : إذا قلتُ :
يا غلام ، الغداء .

قال جُحْظَةُ (١) : دخلتُ وأنا في بقايا عيلةٍ
على كاتب ، فقدم إلينا مَضِيرَةٌ ، فأمعنتُ فيها ، فقال :
جُعِلَتْ مِثْلُكَ ، أنتَ عليلٌ ، وبدنك نحيلٌ ، واللبن
يستحيل ، فقالت : والعظيمُ الجليل لا تركتُ منها كثيراً
ولا قليلاً ، وحسبنا الله ونعِمَ الوكيلُ .

حُفَيْنَ عُمَرُ بنُ يزيدَ الأسدي (٢) بحُقْنَةٍ فيها
دُهْنٌ ، فلما حَرَّكَهُ بطنُه كرهَ أن يذهبَ الدهنُ

(١) - محظلة . هو أحمد بن جعفر بن موسى البرمكي ، لقب بمحظلة
لحسوط عينيه ، أديب ، وشاعر ، وديم ، ولد سنة ٨٢٢٤ ، وتوفي
سنة ٨٢٢٤ .

(٢) هو عمر بن يزيد الأسدي ، أحد الثعالب المقدمين في حكم بني
مروان .

صياغاً ، فدعا بطست وجلس عليه . ثم قال : صمّوا
هذا الدهن فإنه يصلح للسراج .

وأوصى بعضهم ابنه : فقال : سكن مع الناس
كلاعيب الشطرنج يحفظ شئته .

كان بالكوفة رجل من المصلحين — وهذا لقب
المُقدّمين منهم في اللّوم — فبلغه أنّ بالبصرة رجلاً من
المصلحين مقدّماً في شأنه ، فقام الكوفي ، وصار إلى
البصرة ليلتقي صاحبه . فلما قدم عليه قال له : مَنْ
أنت ؟ قال : أنا مصلح من أهل الكوفة ، وقد بلغني
خبرك ، فرحبت به ، وأدخله البيت وأجلسته ، وأخذ
قطعةً ومرّ ليشتري له شيئاً يأكله ، فلما خرج إلى السوق
دنا من البقال ، فقال : عندك خبز ؟ فقال : عندي خبز
كأنّه السمن فقال المصلح في نفسه : ليم لا أشتري
ما نفعته به ؟ فذهب إلى آخر ، وقال : أعندك سمن ؟
فقال : عندي سمن كأنّه الزيت فقال في نفسه : أذهب
فأخذ ما نفعته به ، فذهب إلى بقال آخر ، فقال : عندك
زيت ؟ قال : عندي زيت كأنّه الماء . فقال في نفسه :
عندي والله راوية ماء . فرجع إلى البيت ، وأخذ الماء

في غَضَارَةِ (١) وفدمه إلى الكوفي وقال : كُلْ هذا ،
لأنه نَعْتُ النَّعْتِ ، فقال الكوفي : أنا أشهدُ أنكم أحقُّ
بالإصلاح منَّا بِأَلْفِ دَرَجَةٍ .

قال بعضهم : بَيْتٌ عند رجلٍ من أهل الكوفة .
وهو من المؤسِّرين المعروفين بحُسْنِ الحال ، وله
صبيانٌ نيامٌ "نَحْبُ أَرَاهِمَ ، فرأيتُهُ في الليلِ يَقُومُ فيَقْلِبُهُمْ
من جَنْبٍ إلى جَنْبٍ ؛ فلما أصبحنا قلتُ له : رأيتك
يا أبا جعفر النازِحَةَ تَعْمَلُ كَيْتَ وَكَيْتَ ، قال : نعم ،
هؤلاء الصبيانُ يَأْكُلُونَ وَيَنَامُونَ على اليسار ، فيُحْمِرِيهِمُ
الطعامُ فيصبحون جِيعاً ، فأنا أَقْلِبُهُمْ من اليسار إلى
اليمن ؛ لئلا يَنْهَضِيمَ ما أَكَلُوهُ سريعاً .

قال بعضهم : دخلتُ الكوفةَ فسمعتُ امرأةً تقول :
يا أبا جعفر الدِّقَاقُ ، حَسْبُكَ اللَّهُ (٢) — وقد اجتمعَ
الناسُ عليهما — فقال الدِّقَاقُ : مالِكُ ؟ قالت : أعطيتني
كَيْلَ جَعَةِ (٣) دَقِيقٍ ما جاء منها إلا ثَمَانُونَ رَغِيفاً . قال :

(١) غصارة : إناء كالقلة .

(٢) حَسْبُكَ الله : انتقم الله منك .

(٣) الكيلجة والكيلقة : شيء يكال به .

يا مُسْرِفَةٌ ؛ إذا كنتِ تخبزين رُغفاناً مثل الأَرَحِبَةِ
فأيُّ ذنب لي ؟ .

قال آخرُ : رأيتُ بالكوفة صبيّاً ومعه قُرْصَةٌ (١) ،
وهو يكسر لقمةً لقمةً ، ويرمي بها إلى شَقٍّ في بعض
الحيطان يخرج منه دُخَانٌ . ويأكلها . قال : فبقيتُ
أتعجبُ منه ، إذْ وقفَ عليه أبوه يسأله عن خَبَرِهِ ؛
فقال الصبي : هؤلاء قد طبخُوا سَكْبَاجَةً (٢) حَامِضَةً
كثيرةَ التوابل ؛ فأنا أتأدّم برائحتها . قال : فصفّعهُ
أبوه صفعةً صُلْبَةً كادَ يقطعُ بها رأسَه وقال : تريدُ
تُعَوِّدُ نفسَكَ من اليوم ألاّ تأكل خبزاً إلاّ بآدَمَ .

نزل بكوفيّ ضيفٌ ، فقال لحاريتَه : يا جارية .
أصالحني لضيفنا فالوذجاً . قالت الحاديةُ : ايس عندنا
شيء . قال : ويلك ! فهاتي قطيفةَ إبريسم (٣) حتى ينام .

(٢) القرصة . الحبة من الطعام ، وثلثها القرس .

(٣) السكباجة : طعام يصنع من لحم وغل وبصل وكراث وعسل

مع الأفاويه .

(١) الإبريسم . الحرير

قال الضيفُ : يا سيدي ، فليس بين الفالوذَجِ والقطيفةِ
رقيقٌ وقليلٌ جبنٌ ؟ .

وقال آخر : رأيتُ كوفياً يُخاصِمُ جاراً له ويقَاتلهُ ،
فقلت : ما قصَّتكما ؟ . فقال أحدهما : زارني زائرٌ ،
فتشهَّى عليَّ رُؤوساً ، فأطعمتهُ ، وأخذتُ العظامَ ،
فرميتُ بها على باب داري أتجمِّلُ بها ، وأكْبِيتُ
العدوَّ ، فجاء هذا . وأخذها من باب داري ، وجعلها
على باب دارِهِ .

وكان بعضُ المياسيرِ منهم له والدَةٌ عجوزٌ ، فقيل
لها : كم يُجْري عليك ابنُك ؟ . قالت : درهماً في
كلِّ أضحى . قيل : يا سبحانَ الله ! درهمٌ في كلِّ
أضحى ! . قالت : نعم ، وربما أدخلَ الأضحى في
الأضحى .

وكان بعضهم يأكلُ ومعه على المائدةِ ابنُهُ وروجتهُ .
فقال : لعنَ الله الرَّحمةَ . فقال له ابنُهُ : يا أبتهُ ،
تعنيُّني ؟ فليس ها هنا عَيريَ وغيرُ أُمِّي ، قال : فتَريَ
أعنيُّ نفسي ؟ .

خرج نفرٌ من أهل مَرَوْ في سَفَرٍ ، وصبروا على تركِ
السراج للارتفاق بما يرجعُ عليهم منه حتى أبلَغَ ذلك
لأيهام ، فاتفقوا على أن يُخرجَ كلُّ واحدٍ منهم شيئاً
للسراج ، وامتنع واحدٌ منهم من أن يُعطيَ شيئاً ؛
فكانوا إذا أسرجوا شدُّوا عينيه بمنديل إلى وقتِ النومِ
ورَفَعَ السراج .

قال المنصورُ للوضيين بنِ عطاء (١) : ما عيالك ؟ .
قال : ثلاثُ بناتٍ والمرأةُ . قال ؛ أربعٌ في بيتك . قال :
فرددَ ذلكَ حتى ظننتُ أنه سيَصِلُني . قال : ثم رفعَ
رأسه ؛ فقال : أنت أيسرُ العربِ ، أربعةُ مغازلٍ تدور
في بيتك .

وسمَّيَ إنسانٌ بخيلٍ ضيفاً له نبيذاً عتيقاً على الرِّيق .
فتأوّهَ الرجلُ ؛ فقيل له : لِمَ لا تتكلمُ ؟ فقال : لِمَ
سكتُ متٌ ، وإن تكلمتُ ماتَ ربُّ البيتِ .
وكان بعضُ البخلاء يَأْكُلُ نصفَ الليلِ ، فقيل له

(١) الوضيين بن عطاء الشامي : محدث ثقة ، كان من الخطباء اللغاة ،

مات سنة ٥١٤٩ هـ

في ذلك ، فقال : يبردُ الماء وينقمعُ الذُّباب ، وآمن فجأة
الدَّاخل ، وصَرَخَتِ السَّائِلُ . وصباح الصبيان .

قال الواقدي : خرجتُ أنا وابنُ أبي الزناد (١) إلى
بعض المواضع بالمدينة ، ورجعنا نصفَ النهار في يومٍ
صائفٍ ؛ فقال : ما أحوجنا إلى شربة ماءٍ باردٍ ! فإذا
نحنُ بسعيد مولى ابن أبي الزناد ؛ فقلت له : ابعث لنا
شربةَ ماء ؛ فقال : نعم وكرامة ؛ اجلس . وبادر
مستعجلاً ، فدخل الدار ومكث طويلاً ، ثم خرج إلينا ؛
فقال : تعودون العشيَ إن شاء الله .

قال العتيبي : لو بُذِلَتِ الحَنَّةُ للأصمعي بدرهم
لاستقص سراً .

سأل مُكفَّفُ الأصمعي ؛ فقال : لا أرتضي لك
ما يحضرني ؛ فقال السائلُ : أنا أرضى به ؛ فقال
الأصمعي : هو ، سُورك فاك .

(١) هو جده الرُّحس بن أبي الزناد . من العلماء الأجلة ، ولد سنة
٨١٠٠ ، وتوفي سنة ٨١٧٤ .

أعطى المنصور بعضهم شيئاً ثم نادى ، فقال له : لا تنفق
هذا المال واحتفظ به ، وجعل يكرر عليه ذلك ؛ فقال :
يا أمير المؤمنين ، إن رأيت فاختمه حتى ألقاك به يوم
القيامة فضحك وخلاه .

كان رجلٌ على طعام بعض البخلاء ؛ فأخذ عُرَاقاً (١)
فلم يجد عليه لحمًا ، فوضعه لأُخذَ غيره ، فقال صاحبُ
البيت : العيب بِمَسَلِّكَ (٢) .

قال بعضهم : فلان عينُه دولا بٌ لقَم أضيافه .
قال بعضهم لعلامة : هاتِ الطعامَ وأغلق البابَ . فقال
العلام : هذا خطأ . أغرقُ البابَ ، ثم أقدمُ الطعامَ ،
فقال : أحسنت أنت حرٌّ

* * *

(١) العراق النظام .

(٢) أى لم تحد الا تقاء فلا تأخذ غيرها .

الباب الثامني عشر

كلام شطار^(١)

ومن يعجب بحراهره وبنوادره.

حكى بعضهم أن شاطراً افتخر . قال : فحفظت
من كلامه :

أنا الموجُ الكَدِيرُ ، أنا القُفْلُ العَسِيرُ ، هذا وجهي
إلى الآخرة ، تَأْمُرُ بشيء ؟ لك حاجة إلى مالكٍ نَحَازِنُ
النَّارَ . أنا الذَّارُ ، أنا العَارُ ، أنا الرَّحَا (٢) إذا دار ،
أنا مَشِيْتُ سَبْعِينَ (٣) مِلا رَأْسُ ، لولا أَنِي عَلِيلٌ
لَنَخَرْتُ نَحْرَهُ نَصْفُهَا صَاعِقَةٌ وَنَصْفُهَا زَلْزَلَةٌ . أَضْعُكَ

(١) الشاطر من أعيأ أهله خشاً .

(٢) الرحا مؤنث ، هكذا كتبها المؤلف ، مراعبا السجع ،

متجاوزاً في الباب التقيد بالقصص أحياناً

(٣) سبعين كتبها المؤلف بلمجة الشطار .

في جبي ، وأنسالك حتى ضمن الساعة . أظف ، أنسك
 وأجعلهُ زراً فمبصي ، أو أنسك فثلا أعدهلسك إلا في
 الجحيم ، أو أنسك فلا أنسك إلا على الصراط إذا
 صاح آدم ، واهمهوداه . والنا (١) لو كلسني الهيل
 لم يخرس . أو النحر لم يمس . أو عضتي الأسد لم يضرس ،
 أورآني عروذ (٢) لم يتملس . أصدفائي أكثر من خصوص
 البصره ، وخردل مصر ، وعدس الشام . وحصي
 الجزيرة . وشوك القاطول (٣) . وحينئذ الموصل وهصب
 البطائح (٤) . ونى الآوار ، وردون فاسعين

كان يرو رجل بتمتتي وينسلي . ولم يكن له يوم
 من أيام العثمان قط ولا فاكك من فتكائهم . إلى أن

(١) لعل أصلها . وآلك أووناك ، وهي من كلام الشطار .

(٢) عروذ - فالذال أو الدال . ملك جاد

(٣) القاطول - اسم نهر كان في موضع سامرا ، كأنه مقطوع
 من دله

(٤) البطائح . هي بطائح واسط أرحس نس واسط والبصرة ،
 كانت قديماً مدناً مملوكة ، ثم علا الماء فهدمها ، بعد اختارها فبث فيها
 مري أكثر دسها

ورفع يده وبين رجل فصّارٍ فمعبفٍ سرٍّ . فضرّبه ضرباً
 وجعاً وأذله فكان يصحّر بهلاك ويخطّول عند الفتيان به ،
 فتأذّى جبراً فحجاب حجاب به فجاءوه وقالوا :
 « لان قد بأذنا » . فكف منّا سرّه وتدلّنه . وبكم ناه .
 وال : لا أدري من « لان » . ولكن إن ستمنا ضربت
 لكم المصّار وأنزلت كلّ مكروه به .

وقع بين ساطر وسبيته له كلامٌ ، فقال أحدهما
 للآخر : لولا أنك أكبر سنّاً مني لحرّثتاك . ثم مضى
 غير بعيد ، فوجد منه وبين آخر فقال : والله لولا أنك
 أصغر مني لكانت لك ، فقال له ربه : يا من الزائدة .
 متى ينقُ لك ذمّ نجاته ؟

قال بعضهم : رأيت ساطراً يشرب بالقائس (١) ،
 وهو ينظر إلى الأرض . فلما راح الصرب منه قال له
 الوالي : ارفع رأسك فقال : يا سيدي ، يسي رأسها .
 قال . وما معنى « نفي رأسها » قال الجلاء : كنت

(١) القائس . من يخط من حال العين ، أو حل من اللفظ .

أَصْرَاهُ هُمُ الْمَسُورُ بِرَجَاهٍ فِي الْأَرْضِ بِطَنَةٌ وَقَدْ بَنِي
رَأْسَهَا .

قال إسحاق بن إبراهيم الموصلي . دخلتُ على
عُتْبَانَ بْنِ أَهْلِ الْمَدِينَةِ يَشْرِبُونَ ، وَإِذَا هُمْ مُتَكَثِّرُونَ عَلَى
كَلَابِ كُرْدِيَّةٍ . فقال بعضهم . هَاتُوا وَسَادَةَ لَأَنِّي مُحَمَّدٌ ،
فَجَاءُوا بِحَلَبٍ . فَمَا أَتَكَاتَ عَلَيْهِ قَالُوا : هَاتُوا لَهُ أَيْضاً
مَخْيَافَةً . فَجَاءُوا وَخَضِرُوا ، فَمَا تَنَاولُوا الْأَقْدَاحَ جَاءَ
عَلَامٌ وَفِي يَدِهِ قَدَاحٌ يَمْدَحُ فِي لَحْمِهِ مِنْ يَحْبِسُ الْقَدَحَ .

وَالْحَارِثُ بْنُ رَاحِدٍ . فَجَاءَ قَوْمٌ إِلَى الْمَعْرُوفِ
رَبِّهِمْ لَمْ يَكُنْ لَهُ . فقال بعضهم . أَوْ كَانَ عَرِيباً عَلُونَاهُ ،
مِنْ أَعْلَى الْمَعْرُوفِ أَنَّهُ أَخِيكَ . فقال . اعْذُرُوهُ فَإِنَّ الْمَلِكَ
يَسْتَوْفِيهِ . وَكَانَ عَقِيمٌ .

وَالْحَارِثُ بْنُ رَاحِدٍ . فَجَاءَ قَوْمٌ إِلَى الْمَعْرُوفِ
رَبِّهِمْ لَمْ يَكُنْ لَهُ . فقال بعضهم . أَوْ كَانَ عَرِيباً عَلُونَاهُ ،
مِنْ أَعْلَى الْمَعْرُوفِ أَنَّهُ أَخِيكَ . فقال . اعْذُرُوهُ فَإِنَّ الْمَلِكَ
يَسْتَوْفِيهِ . وَكَانَ عَقِيمٌ .

(١) الْإِثْلَاقُ : الْمَاءُ الْحَارُّ الشَّالِيءُ . رَأْيِي : أَوِيَةُ الْخَلِجِ الَّذِي يَدْخُلُ الْبَصْرَةَ ،
فِي أَوَّلِهَا .

بذلك أصدفائه وأصحابه . ويقول : إنَّ تعوَّدتُم النظر
إلى الماء والخروج إلى المتزهات جزعتم من الحبس ، لم تدفعوا
ضيمًا ، ولم تكسبوا مالاً .

كان يقول : لا يُعجبني الفتيَّ يكونُ لحاظًا . وكان
صاحبَ إيطراقٍ .

كان يقولُ : إياكم وفضولَ النظرِ ، يدعو إلى
فضولِ القولِ والعملِ .

ومنهم بابويه ، وكان شيخاً كبيراً ذا رأيٍ ونجدة ،
وصديق وأمانة وهمّةٍ بعيدة ، وأنفةٍ شديدة وكان
محبوساً بعدّة دماء فلما نَصَبَ حميرُ بنُ مالك السجّج وقام
على باب النقب يُشرب الناس ويحميهم ؛ ليستتم الكرامة ،
وجاء رسوله إلى بابويه ، فقال : أبو نعمة ينتظرك .
وليس له همٌّ سِوَاكَ ، وما برَدَتْ مِسْتِمَاراً ، ولا فككت
حلقةً ، وأنت قاعد غيرُ مكترثٍ ولا محتفلٍ وقد خرج
الناسُ حتى الصغفاء ؛ فقال بابويه . لبس متلي يخرجُ

في الغمار . وتَدْفَعُ عنه الرجالُ . لم أَشاور ولم أؤامر (١) .
ثم يقال لي الآن : كن كالظَّعِينَة (٢) . والآمة ، والشيخ
الفاني . والله لا أكون في الجنة تابِعاً ذليلاً .

فلم يبرح . وخرج سائرُ الناس — وإجرامه ومحداه
كإجرام الجميع — فاجأ جاء الأميرُ ودخل السجنَ فلم
يرَ فيه غيرَه قال للحرس : ما بالُ هذا ؟ . فقصُّوا عليه
القصةَ ، فضحك وقال له : خُذْ أي طريق شِئتَ ؛
فقال بابويه : هذا عاقبةُ الصَّبر .

« » »

(١) يؤامر . يشاور

(٢) والظَّعِينَة . الزَّوْحَة .

الباب الثالث عشر

العي ومكائبات الحمقى

كتب بعض الرؤساء إلى وكيل له في ضيعة : وقد وصلت النعاج ، هي : تسع نعاج . وتسع نعاج نصفها أربع ونصف نعاج .

قال بعضهم : ما من سر من دين ؛ فقبل له : ولم ذلك ؟ . قال : من جرأ يتعلقون .

قال قاسم الثمار في كلام له : بينهما كما بين السماء إلى قريب من الأرض .

وقال أيضاً : لو رأيت إيوان كسرى كأنما رفعت عنه الأيدي أول من أمس .

(١) أبقى المؤلف في هذا الباب على كلام الحمقى وذوي العي على الرغم من مخالفة بعضه لقواعد اللغة ، لأنه أراد أن يقدمه كما نطقوه .

قال أبو هفَّان : رأيت شيخاً بالكوفة قاعداً على باب دارٍ ، واه زِيَّ وهَيْئته وفي الدار صُراخ . فقلت : يا شيخ . ما هذا الصراخ ؟ فقال : هذا رجلٌ افتصد أمس فبلغ المضجع شادراً وأنه فمات . يريد : بلغ المضجع شريانه .

وصف بعضهم امرأةً ؛ فقال : عَيْنُها الأخرى أكبر من عَيْنِها الأخرى .

كتب بعضٌ من وَزَرَ بالريّ أنفاً كتاباً في معنى أبيه إلى صديق له ببغداد — وكان قد حج أبوه — : هذا الكتابُ يوصله فلانُ ابن فلان ، وهو والذي ، وقديمُ الصحة لي ، واجبُ الحق على ، ولي بأمره عناية .

ودخل أبو طالب صاحب الطعام على هاشمية جارية حمدونة بنت الرشيد ، على أن يشتري طعاماً من طعامهم في بعض البيادر ، فقال لها : إني قد رأيتُ متاعك . فقالت هاشميةُ : قُلْ طعامك . قال : وقد أدخلتُ به يدي فإذا متاعك قد خمَّ وحَمِيَ (١) . وقد صار مثل

(١) خم : أتنن .

الحقيقة . قالت : يا أبا طالب ، أليس قد قلبت الشعير ،
فأعطينا ما شئت ، وإن وجدته فأسيداً .

ودخل أبو طالب هذا على المأمون ، فقال : كان
أبوك يا أبا خير أ لنا منك ، وأنت يا أبا ليس تعدنا . وليس
تبعث إلينا . ونحن يا أبا تجارئك وجيرانك . والمأمون في
كل ذلك يتبسّم .

وكان ابن أسعدي الجوهري يقول : صالى الله
تبارك وتعالى على محمد صالى الله عليه وسلم .

وكان بالري ورّاق " حسن الخط ، وكان إذا كتب
اسم الله تعالى أو اسم النبي في القرآن أو الشعر كتب بعده ما
ما يكتبه الإنسان في سائر المواضع ، فكان يكتب في
القرآن : « إن الله عز وجل — يأمر بالعدل والإحسان » (١)
« وما محمد — صالى الله عليه وسلم — إلا رَسُولٌ »
قد خلت من قبله الرُّسُلُ » (٢) . وكان يكتب في الشعر :

(١) زائد في الآية . « عز وجل » والآية في سورة النحل : ٩٠ .
(٢) زائد في الآية صالى الله عليه وسلم ، والآية في سورة آل
صمران . ١٤٤ .

إِنْ تَقْوَى رَبَّنَا - عَزَّ وَجَلَّ - خَيْرٌ نَقَلُ
وبإذن الله - تبارك وتعالى - ربِّي وعجل (١)

ويكتب :

هجوت محمداً - صلى الله عليه وسلم - فأجبت عنه
وعند الله - تعالى - في ذاك الجزاء (٢)

وقال الجاحظ قلتُ لنفيس غلامي : بعثتك إلى
السوق في حاجة فلم تقضها ؛ فقال : يا مولاي ، أنا
ناقهٌ من مرضي ، وليس في ركبتي دماغ .

وقال الجاحظُ : قال الحجاجُ لأبي الجهمير الخراساني
النخاس : أتبيع الدوابَّ المعيبةَ من جُندِ السلطان ؟ فقال :
شريكائنا في هوازها وشريكائنا في مدائنها ، وكما يجيء
يكون . قال الحجاجُ : ما تقول ؟ . قال بعضُ من كان
قد اعتاد الخطأ وكلام العلوج بالعربية : يقولُ : شركاؤنا

(١) زاد في الشطر الأول : « عز وجل » . وفي الثاني « تبارك
وتعالى » والبيت لليد .

(٢) زاد في البيت : صلى الله عليه وسلم « في الشطر الأول و » تعالى «
في الثاني ، والبيت لحسان يرد به عل أبي سفيان .

بالأهواز وبالمداين يبعثون إلينا هذه الدواب ؛ فنحن
نبيعها على وجوهها .

قال ابن أبي فتن (١) : طلبتُ من عبد الله بن أحمد بن
الحصيب بخوراً ، فكتب إليه : فدتك نفسي من سوء
برحمته ، كتابي إليك وأنا وحدي ، والجواري عندي ؛
فأما البخور فإنَّ أبا العباس في الحمام إن شاء الله .

وكتب بعضُ الشيوخ الفضلاء إلى شيخ من العدول
بأري نفقت بغلته : نُبِّئتُ أنَّ الشيخ قد مات بغلته ،
هيات هيات .

١٠ ١١ ١٢

(١) أبو عبد الله أحمد بن أبي من ، شاعر مطبوع من شعراء العصر
العباسي .

الباب الأول

كلام للنساء والشرائف

فاطمة اسد رسول الله عليها السلام

قالوا : لما بلغ فاطمة عليها السلام إجماع أبي بكر منعها فذكر (١) لائت (٢) خمارها على رأسها ، واشتملت بجلابها ، وأقبلت في لمة من حفدة ثيابها ونساء قومها ، تطأ ذئولها ، ما تخرم (٣) مشيتها مشية رسول الله صلى الله عليه ، حتى دخلت على أبي بكر وهو في حشد من المهاجرين والأنصار وغيرهم ، فنيطت دُونها ملاءة ، ثم أتت أنةً أجهش لها القوم

-
- (١) فذك : قرية بينها وبين المدينة يومان ، أفامها الله على رسوله ، ذكرت فاطمة أن الرسول تصدق عليها بها . ولم تستطع الإتيان بشاهدين على ذلك ، فحرمها أبو بكر منها
- (٢) لائت الخمار تلوثه : أدارته .
- (٣) ما تخرم . حيتها . ما تنقص عنها .

بالبكاء ، وارتجّ المجلس ثم أمّهت هنيئة (١) حتى إذا سكنَ نشيجُ القوم ، وهدأتْ قورنُهم افتتحتْ كلامَها بحمد الله والثناء عابه والصلاة على رسوله صلى الله عليه ، ثم قالت :

« انْقَدُ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ » (٢) . فانْ تعرفوه تجدوه أبي دون آبائكم ، وأنحأ ابن عمّي (٣) دون رجالكم ، فبلغ الرسالة صادعاً بالإنذار ، بالغا بالرسالة ، مائلاً عن سنن المشركين ضارباً أشجعهم (٤) ، يدعو إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة ، آخذاً بأكظام (٥) المشركين ، يهشم الأصنام ويفلق الهام ؛ حتى انهزم الجمع وولّوا الدبر ، حتى تقرّى (٦) الليل عن صبحه ، وأسفر الحق عن

(١) هنة : بمعنى هنية ، تصغير هنة ، وهي القياس في التصغير .

(٢) سورة التوبة ١٢٨ .

(٣) إشارة إلى مؤاخاة رسول الله لعلي

(٤) الشج : الوسط

(٥) الأكظام : سبع كظم وجه محرّح النفس .

(٦) تقرّى : تشقق .

مَحْضِهِ (١) ، وَاَنْطَقَ زَعِيمُ الدِّينِ ، وَخَرَسَتْ شَقَاشِقُ (٢)
الشَّيْطَانِ ، وَتَمَّتْ كَلِمَةُ الْإِخْلَاصِ ، « وَكُنْتُمْ عَلَيَّ
شَفَا حُفْرَةَ مِيزَانِ النَّارِ (٣) » . نَهْزَةُ (٤) الطَّامِعِ ،
وَمَذْقَةُ الشَّارِبِ (٥) ، وَقَبْسَةُ الْعَجَلَانِ ، وَمَوَاطِيءُ
الْأَقْدَامِ ، تَسْرِبُونَ الطَّرِيقَ (٦) ، وَتَقْتَاتُونَ الْقَيْدَ ،
أَذَلَّةَ خَاسِئِينَ ، يَخْطِفُكُمْ النَّاسُ مِنْ حَوْلِكُمْ ، حَتَّى
أَنْقَذَكُمْ اللَّهُ بِرَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ بَعْدَ اللَّيْلِ وَاللَّيْلِ ،
وَبَعْدَ أَنْ مُنِيَ بِهِمْ الرِّجَالُ (٧) وَذُؤْبَانِ الْعَرَبِ ،
وَمَرَدَةِ أَهْلِ الْكِتَابِ « كَلِمًا أَوْ قَدُورًا نَارًا لِلْمُحَرَّبِ
أَطْفَاءَهَا اللَّهُ » (٨) . أَوْ نَجَمَ قَرْنٌ لِلشَّيْطَانِ ، أَوْ قَفَرَتْ



(١) المحض الخالص .

(٢) والشقائق القول فيه كذب .

(٣) سورة آل عمران : ١٠٣ .

(٤) نهضة الطامع : اسم للشيء المعرض لك كالغنيمة .

(٥) المذقة : الشربة من اللبن المخلوط بالماء . والي الأكل .

(٦) الطرق : ماء السماء الذي تبول فيه الإبل . والقيد : السير يقيد من

الجلد . والقيد : اللحم المجفف .

(٧) بهم الرجال : شجعانهم

(٨) سورة المائدة : ٦٤

فَأَغْرَةً لِلْمَشْرِكِينَ ، قَدَفَ أَخَاهُ فِي لَهَوَاتِهَا ، فَلَا
يُنْكَفِي حَتَّى يَطْلَأَ صِمَاخَهَا (١) بِأُخْمَصِهِ ، وَيُطْفِئُ
عَادِيَةَ لَهَبِهَا بِسَيْفِهِ . أَوْ قَاتَ وَيُخْمِدُ لَهَبَهَا بِحَدِّهِ
مَكْدُوداً فِي ذَاتِ اللَّهِ . وَأَنْتُمْ فِي رِفَاهَةٍ فَسَكِيهُونِ آمَنُونَ
وَادْعُونَ .

حتى إذا اختار الله لنبيه صلى الله عليه داراً أنبيائه
ظهرت حسكة (٢) النفاق ، وسمَل (٣) جلابُ الدين ،
ونطق كاظم (٤) الغاوين ، ونبغ خاملُ الأفتّين ،
وهدرَ فنيق (٥) المبطلين ، فخطر في عرصاتكم ،
وأطلع الشيطانُ رأسه صارخاً بكم ، فدعاكم فألفاكم
ادعوته مستجيبين وللميزة ملاحِظين ؛ ثم استنهضكم
فوجدكم خيفافاً وأحْمَشَكُمْ (٦) فألفاكم غِيضَابَا ؛

(١) الصماخ . فتحة الأذن الباطنة وفي المول استمارة .

(٢) الحسكة : الشوكة .

(٣) سمل الجلاب . بلى ورد .

(٤) الكاظم : المبطن الحقد .

(٥) الفنيق . الجمل الفعل .

(٦) أحْمَشَكُمْ : جعلكم تفضبون ، ومن معانيها : ساقكم يفضب .

فَوَسَّمْتُمْ غَيْرَ إِبْلِكُمْ ، وَأوردتم غير شِرْبِكُمْ ، هذا
والعهد قريب والكلم رحيب ، والجرح لَمَّا يَنْدَمَلُ .
أبماذا زَعَمْتُمْ : خَوْفَ الْفِتْنَةِ ؟ « أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا
وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ (١) » ، فبهيات فيكم ،
وَأَنْتَى بِكُمْ ، وَأَنْتَى تُؤْفَكُونَ ، وكتاب الله بين أظهركم ،
زواجيره بيّنة ، وشواهدُه لائحة ، وأوامره واضحة ،
أَرَغْبَةً عَنْهُ تُرِيدُونَ ؟ أم بغيره تَحْكُمُونَ ؟ « بِشَى
لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا » (٢) « وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا
فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ » (٣)
ثُمَّ قَلْبُشُوا إِلَّا رَيْثَ أَنْ تَسْكُنَ نَفَرْتُهَا تَشْرَبُونَ حَسُوا
فِي ارْتِفَاءِ (٤) ، وَتَصْبِرُ مِنْكُمْ عَلَى مِثْلِ حَزِّ الْمُدَى
وَأَنْتُمْ الْآنَ تَزْعُمُونَ لَا إِرْثَ لَنَا « أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ
يَبْغُونُ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ » (٥)

(١) سورة التوبة : ٤٩ .

(٢) سورة الكهف : ٥٠ .

(٣) سورة آل عمران : ٨٥ .

(٤) مثل يضرب لمن يظهر أمراً ويظن غيره .

(٥) سورة المائدة : ٥٠ .

لِهَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمَةِ الْمُهَاجِرَةِ ؛ أَلْبَتَرُ لَرِثَ أَبِيهِ ؟
 أَبَى اللَّهُ فِي الْكِتَابِ بِابْنٍ قُحَافَةً ، أَنْ تَرِثَ أَبَاكَ وَلَا
 أَرِثَ أَبِيهِ . لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا فَرِيئًا (١) . فِدُونَكُمَا مَخْطُومَةٌ
 مَرْحُومَةٌ ، تَلْقَاكَ يَوْمَ حَشْرِكَ ، فَنَعِمَ الْحَكَمُ اللَّهُ ،
 وَالزَّعِيمُ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ ، وَالْمَوْعِدُ الْقِيَامَةُ ، وَعِنْدَ
 السَّاعَةِ يَخْسِرُ الْمُبْطِلُونَ » وَلِيَكُلَّ نَبَأًا مُسْتَقَرًّا
 وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ » (٢) .

ثُمَّ انْكَفَتْ عَلَى قَبْرِ أَبِيهَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ فَقَالَتْ :
 قَدْ كَانَ بَعْدَكَ أَنْبَاءٌ وَهَيْئَةٌ (٣)

لَوْ كُنْتَ شَاهِدَهَا لَمْ تَكْثِرِ الْخُطْبُ
 إِنَّا فَقَدْنَاكَ فَقَدَ الْأَرْضُ وَابِلَهَا

وَاخْتَلَّ أَهْلُكَ فَاحْضُرْهُمْ وَلَا تَغِيبْ (٤)

* * *

هَقَاآت :

(١) الْفَرِيُّ : الْعَمَلُ الَّذِي لَمْ يَسْبِقْ إِلَيْهِ .

(٢) سُورَةُ الْأَنْعَامِ . ٦٧

(٣) الْهَيْئَةُ . الْإِخْتِلَافُ فِي الْكَلَامِ .

(٤) فِي الْبَيْتَيْنِ إِقْرَأْ .

عائشة أم المؤمنين (رضي الله عنها)

رَوِيَ أَنَّهُ لَمَّا كَانَ يَوْمُ الْجَمَلِ قَامَتْ عَائِشَةُ فَتَكَلَّمَتْ
فَقَالَتْ :

أيها الناس ؛ إنَّ لي عليكم حقَّ الأمومةِ وحقَّ
الموعظةِ ، لا يتَّهمني إلا من عَصَى رَبَّهُ . قُبِضَ
رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ سَاحِرِي (١)
وَنَاحِرِي ، وَأَنَا إِحْدَى نِسَائِهِ فِي الْجَنَّةِ ، إِيَّاهُ ادَّخَرَنِي
رَبِّي ، وَخَصَّنِي مِنْ كُلِّ بَضْعٍ (٢) وَبِي مِيَزَ مُؤْمِنُكُمْ
مِنْ مُنَافِقِكُمْ (٣) ، وَفِيَّ رَخِصَ الْكَمِّ فِي صَعِيدِ الْأَبْوَاءِ (٤)
وَأَبِي رَابِعَ أَرْبَعَةٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، وَأَوَّلُ مُسَمًّى صِدِّيقاً .
قُبِضَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ عَنْهُ
رَاضٍ فَوْقَ النِّفَاقِ (٥) ، وَأَغْضَضَ نَبْعَ الرُّدَّةِ ، وَأَطْفَأَ

(١) السحر : الرقعة . وقد توفي عليه الصلاة والسلام ورأسه على صدرها

(٢) البضع : الفرج . وربما أودت أنها الزوج البكر من بين أزواجه

(٣) إشارة إلى حديث الألفك .

(٤) الأبواء : المفازة .

(٥) وقد النفاق : كسره ودمغه .

مَاحَشَتَ (١) يَهْودَ ، وَأَنْتُمْ حَيْثُ جُحِظَ . تَنْتَظِرُونَ
 الْعَدُوَّةَ . وَتَسْتَمْعُونَ الصَّيْحَةَ ، فَرَأَبَ الثَّأْيِ (٢) ،
 وَأَوْذَمَ (٣) الْعَطِيلَةَ ، وَامْتَاخَ مِنَ الْمَهْوَاتِ ، وَاجْتَهَرَ
 دُفْنََ الرِّوَاءِ : فَقَمِضَهُ اللَّهُ وَاعْلَأَ عَلَى هَامَةِ النِّفَاقِ ،
 مَذَكِيًّا نَاراً لِحَرْبِ الْمُشْرِكِينَ ، يَقْظَانِ فِي نَصْرَةِ الْإِسْلَامِ ،
 صَفُوحًا عَنِ الْجَاهِلِينَ .

وَرَوِيَّ أَنَّهُ بَلَغَهَا أَنَّ نَاسًا يَتَنَاوَلُونَ أَبَا بَكْرٍ ، فَأَرْسَلَتْ
 إِلَى أَزْفَلَةٍ (٤) مِنَ النَّاسِ ، فَلَمَّا حَضَرُوا أَسْدَلَتْ
 أَسْتَارَهَا ، وَأَعْلَتْ وَسَادَهَا ، ثُمَّ دَنَتْ فَحَمِدَتْ اللَّهَ ،
 وَأَثْنَتْ عَلَيْهِ . وَصَلَّتْ عَلَى نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ،
 وَعَدَلَتْ وَقَرَّعَتْ وَقَالَتْ :

أَبِي وَمَا أَبِيئَهُ ! أَبِي وَاللَّهِ لَا تَعْطُوه (٥) الْأَيْدِي ،
 طَوْدٌ مُسْنِيفٌ ، وَظِلٌّ مُدِيدٌ ، هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ !

(١) حش الحرب . أشعلها .

(٢) رأب . أصلح ، والثأى : الفساد .

(٣) أوذم الشيء : جعل له وذاماً ، وهو سير للدلاء ، والمعطلة :
 الدلاء ، التي بلا أوذمه

(٤) أزفلة جماعة من الناس ، وسملها أجفلة

(٥) تعطوه . تناوله من قرب .

كذبت الظنون . أنجح (١) والله إذْ أكديتم ، وسبق
إذ ونيتم

• سبقَ الجواد إذا استولى على الأمد (٢) •
ففي قریش ناشئاً ، وكتفها كهلاً ، يريش
مُمْلِقَهَا ، وَيَمْلِكُ عَانِيَهَا وَيَلْمُ شَعْنَهَا وَيَرَأْبُ صَدْعَهَا
حتى حَلَّتْهُ قُلُوبُهَا ، ثم استسرى في دينه فما برحت
شكيمته في ذات الله ، حتى اتخذ بضائه مسجداً يُحْيِي فيه
ما أمات المبطلون .

وكان رحمةُ الله عليه غزيرَ الدمعة ، وقيدَ الجوانح (٣)
شَجِييَ النشيج ، فانفضت إليه نِسوانُ مَكَّةَ وولدانُها
يسخرون منه ، ويستهزئون به . ((اللهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ
وَيَمْلِكُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ)) (٤) وأكثرت

(١) أي أصاب إذ أعطأتم .

(٢) صدره .

إلا لثلك أو من أنت سابقه

والبيت للنابه .

(٣) وقيد الجوانح : عزوفاً كأنه مكسور القلب .

(٤) سورة البقرة . ١٥ .

ذلك رجالات قريش ، فمَحَنَّتْ إليه قِسيَّها ، وفَوَّقَتْ
له سهامها وامتثلوه غرضاً (١) فَمَا حَلَّوْا له صَفَاةً ،
ولا قَصَفُوا له قَنَاةً ، ومَرَّ على سِيسائه (٢) حتى إذا ضرب
الدين بجِراحه ، وألقى برُكِّه (٣) ، ورست أوتادهُ ،
ودخل الناسُ فيه أفواجاً ، ومن كل شِريعةِ أَشْتَاتَا
وأرسالا اختار الله جلَّ اسمُهُ لنبيه صلواتُ الله عليه وسلامه
وتحياته ما عنده ، فلما قَبَصَ اللهُ رِسالَه ضربَ الشَّيْطَانُ
برِواقه ، ومَدَّ طُنْبُجَه ، ونَصَبَ حَبَائِلَه ، وأَجْلَبَ
بِخِيَلِه ورِجْلَه ، واضطربَ حبلُ الإسلام ، ومَرَجَ عَهْدُه ،
وماجَ أَهْلُه وبَغَى العَوائِل ، وظنَّتْ رجالٌ أن قد أَكْثَبَتْ
نُهْزَها ، ولاتَ حينَ التي يَرْجُونَ ، وأنَّى والصَّدِّيقُ بينَ
أَظْهَرِهِمْ ؟ فقام حاسِيراً مَشْهُراً قد جَمَعَ حاشِيَتِيه ،
ورفعَ قَطْرِيَه ، فردَ نَشْزَ الدينِ على غَرَّه ، (٤) ولمَّ

(١) امتثلوه : نصبره . والقسي : جمع قوس ، وهو آلة رمي السهام .

(٢) السِساء من الدابة : ظهرها .

(٣) برك البعير : صدره .

(٤) حلَّ غره : على كسره ، والمراد تدبير أمر الدين ، وكسر الردة .

شعته بطيبه ، وأقام أوده بتقافيه ، فامدقّر (١) التفاق
بوطيه . وانتاش الدين فنعشه .

فلما أراح الحقّ على أهله ، وأقرّ الرؤوسَ على
كواهلها ، وحقّن الدماء في أهيها (٢) حَضَرْتُهُ مِنْتُهُ ،
نَصَرَ اللَّهُ وَجْهَهُ ، فَسَدَّ ثَلْعَتَهُ بِنَظِيرِهِ فِي الرَّحْمَةِ
وَمُقْتَفِيهِ فِي السَّيِّرَةِ وَالْمَعْدِلَةِ ؛ ذَلِكَ ابْنُ الْخَطَابِ ،
لِلَّهِ أُمَّ حَمَلَتْ بِهِ ، وَدَرَّتْ عَلَيْهِ . لَقَدْ أَوْحَدَتْ ،
فَقَمَنَخَ الْكَفْرَةَ وَدَنَخَهَا (٣) ، وَشَرَّدَ الشَّرْكَ شَدَرَ مَدَارَ
وَبَعَجَ الْأَرْضَ وَنَجَمَهَا (٤) ، فَقَاتَ أَكْأَهَا ، وَلَفَظَتْ
خَبَأَهَا ، تَرَأَّمَهُ وَيَصْدُفُ عَنْهَا ، وَتَصَدَّى لَهُ رَبَّاءُهَا ،
ثُمَّ وَزَعَ فَيَسِّثُهَا فِيهَا ، وَوَدَّعَهَا كَمَا صَحَّيْهَا . فَأَرُونِي
مَاذَا تَمَرَّتَوْنَ . وَأَيَّ يَوْمِي أَبِي تَنْقِيمُونَ ؟ أَيَوْمَ إِقَامَتِهِ
إِذْ عَدَلَ فِيكُمْ أَوْ يَوْمَ ظَلَعْنِي إِذْ نَظَرَ لَكُمْ . أَقُولُ
قُولِي هَذَا وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ .

(١) امدقّر اللبن . تفرق .

(٢) جمع إهاب : الجلد .

(٣) فَنَخَ : أَذَلَ وَقَهَرَ ، وَدَنَخَهَا : أَخَفَضَهَا

(٤) بَعَجَ الْأَرْضَ : شَقَّهَا ، وَنَجَمَهَا : أَذَلَّهَا .

وقالت : لو نزل بالجبال الراسياتِ ما نزلَ بأبي
لهاضها ، قبضَ رسولُ الله صلى الله عليه ، فاشربَ
النِّفَاقُ ، وارتدَّت العرب قاطبةً . وعادَ أصحابُ محمدٍ
كأنهم مِعْزَى مطيرة في خِفْش (١) ، فما اختافوا
فيه من أمرٍ إلا طار أبي بغلثة وغنائه .

ومن رأى ابنَ الخطَّاب علم أنه كان عموناً للإسلام ،
كان والله أخو ذِيَا (٢) نسيجٍ ومحدٍ ، قد أعدَّ للأُمورِ
أقرانها .

وقالت : مَنْ أَرْضَى الله بإسقاطِ الناسِ كَفَاهُ اللهُ
ما بينه وبين الناسِ ، ومن أَرْضَى الناسَ بإسقاطِ الله جلَّ
ذِكْرُهُ وَكَتَبَهُ اللهُ إِلَى الناسِ .

وقالت : إِنَّمَا النِّكَاحُ رِقٌّ فَلْيَنْظُرْ امْرُؤٌ مَنْ
يُرِقُّ كَرِيْمَتَهُ .

وقالت : خَرَجْتُ أَقْفُو آثارَ الناسِ يَوْمَ الحَنْدَقِ ،

(١) الخفش : البيت الدليل .

(٢) الأخوذي والأخوذي : الحسن السياق للأُمور .

فَسَمِعْتُ وَكِيدَ الْأَرْضِ (١) خَلَفَنِي ، فَالْتَضَتْ فَإِذَا أَنَا
بِسَعْدِ بْنِ مَعَاذٍ (٢) .

وَقَالَتْ لَهَا امْرَأَةٌ : أَأَقَيَّدُ جَمَلِي ؟ قَالَتْ : نَعَمْ ،
قَالَتْ : أَقَيَّدُ جَمَلِي ؟ فَلَمَّا عَامَت مَا تَرِيدُ قَالَتْ : وَجْهِي
مِنْ وَجْهِكَ حَرَامٌ ، تَعْنِي بِالْحَمَلِ زَوْجَهَا أَيْ أَوْحَدَهُ
عَنِ النِّسَاءِ .

وَقَالَتْ : لَا تُؤْدِي الْمَرْأَةُ حَقَّ زَوْجِهَا حَتَّى لَوْ سَأَلَهَا
نَفْسَهَا وَهِيَ عَلَى ظَهْرِ قَتَبٍ (٣) لَمْ تَمْنَعَهُ .

• • •

أُمُ كَلْثُومِ بِنْتُ عَلِيٍّ (٤)

رُوي عَنْ بَعْضِهِمْ قَالَ : رَأَيْتُ أُمَّ كَلْثُومِ بِنْتَ عَلِيٍّ

(١) وَلَيْدُ الْأَرْضِ : شِدَّةُ الْوُطْدِ ، يَسْمَعُ كَالِدَوِي مِنْ بَعِيدٍ .

(٢) سَعْدُ بْنُ مَعَاذٍ الْأَوْسِيُّ الْأَنْصَارِيُّ ، صَحَابِيُّ جَلِيلٌ ، وَهُوَ الَّذِي
حَكَّمَ عَلَى يَهُودِ بَنِي قَرِيطَةَ وَتَوَوَّعَ فِي نَفْسِ السَّنَةِ ، وَلَهُ مَوَاقِفٌ مَشْهُورَةٌ فِي
الْإِسْلَامِ .

(٣) أَيْ عَلَى ظَهْرِ جَمَلٍ . وَالْقَتَبُ : الرَّحْلُ الصَّغِيرُ عَلَى قَدَرِ مَنَامِ الْبَعِيرِ .

(٤) أُمُ كَلْثُومِ بِنْتُ عَلِيٍّ أُمُّتُ الْحُسَيْنِ وَلِدَتْ قَبْلَ وَفَاةِ الرَّسُولِ ،
تَزَوَّجَهَا عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ . وَلَهُ مِنْهَا ذُرِّيَّةٌ .

بالكوفة ، ولم أرتخفيرة" والله أنطقَ منها ، كأنما تنطق
وتُقرع عن لسانِ أميرِ المؤمنين رضي الله عنه ، وقد
أومأت إلى الناس وهم يبيكون على الحسين - رضي الله
عنه - أن اسكتوا فلما سكنت فورتهم ، وهدأت
الآجراسُ . قالت :

أبدأ بحمدِ الله والصلاة على أبيه . أما بعد ،
يا أهل الكوفة يا أهل الحِمْيَر (١) والحدل ؛ ألا فلا
رقات العبرة . ولا هدأت الرنة ، إنما مثلكم
كمثل التي ((نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثاً
تتخذون أيمانكم دخلاً بينكم)) (٢) ألا وهل
فيكم إلا الصلّافُ والشنفُ (٣) ، مائقُ الإمامِ
وغمرُ (٤) الأعداءِ وهل أنتم إلا كمرعى على دمنة ،
وكفضة على سلحودة . ألا ساء ما قدمت لكم
أنفسكم أن سخط الله عليكم وفي العذاب أنتم خالدون .

(١) الحمر : أسوأ القدر .

(٢) سورة النحل : ٩٢ .

(٣) الشنف : البفض .

(٤) الغمر : الحقد .

أَتَبْكُونَ ؟ لِمَ يَ وَاللَّهِ ، فَابْكُوا ، فَإِنَّكُمْ وَاللَّهِ أَحْرِيَاءُ
 بِالْبُكَاءِ ، فَابْكُوا كَثِيرًا وَاضْحَكُوا قَلِيلًا ، فَلَقَدْ فَرَزْتُمْ
 بَعَارِهَا ، وَشَنَارِهَا ، وَلَنْ تَرَحَضُوهَا (١) بِغُسْلٍ
 بَعْدَهَا أَبَدًا ، وَأَنْتَى تَرَحَضُونَ قَتْلَ سَلِيلِ نَحَاتِمِ النَّبِئَةِ ،
 وَمَعْدِنِ الرِّسَالَةِ ، وَسَيِّدِ شَبَابِ الْجَنَّةِ ، وَمَنَارِ
 مَحَجَّتِكُمْ ، وَمِيدَرِهِ (٢) حُجَّتِكُمْ . وَمَنْزَعِ
 نَازِلَتِكُمْ ؟ فَتَعَسَّأَ وَلُكِنَّا ! لَقَدْ خَابَ السَّعْيُ ، وَخَسِرَتِ
 الصَّفَقَةُ ، وَبُؤْتُمْ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ، وَضُرِبَتْ عَلَيْكُمْ
 الذُّلَّةُ وَالْمُسْكِنَةُ . ((لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا ، تَكَادُ
 السَّمَاوَاتُ بِتَفْطَرِنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ
 الْجِبَالُ خَرًّا)) (٣) .

مَا تَدْرُونَ أَيَّ كِبَادٍ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ فَرَزْتُمْ
 وَأَيَّ كَرِيمٍ لَهُ أُبْرَزْتُمْ ، وَأَيَّ دَمٍ لَهُ سُفِكْتُمْ . لَقَدْ جِئْتُمْ
 بِهَا شَوْهَاءَ نَحْرَقَاءَ طِلَاعِ (٤) الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ ،

(١) رَحَضَ الثَّوْبَ : غَسَلَهُ .

(٢) الْمَدْرَةُ : الْمَدَافِعُ عَنِ الْجَمَاعَةِ .

(٣) -سورة مريم : ٨٩ ، ٩٠ . وَالْإِدُّ : الْأَمْرُ الدَّاهِي الْمُنْكَرُ .

(٤) طِلَاعُ الْأَرْضِ : مَلَامَا

أَفَعَجِبْتُمْ أَنْ قَطَرَتْ السَّمَاءُ دُمًّا ، ((وَلَعَذَابُ
الْآخِرَةِ أَخْزَىٰ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ)) (١) .

حَفْصَةُ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ (٢)

خطبت حَفْصَةُ بنتُ عمر فقالت :

الحمد لله الذي لا نظير له والفرْد الذي لا شريك له .
وأما بعدُ ، فكلُّ العَجَبِ من قوم زَيَّنَ الشَّيْطَانُ
أفعالهم ، وارَعَوْا إلى صنيعهم ، ودَبَّ في الفِتْنَةِ لَهُمُ ،
ونَصَبَ حِبَائِلَهُ لِيُخْتَلِهُمُ ، حتَّى همَّ عَدُوُّ اللَّهِ بِإِحْيَاءِ
الْبِدْعَةِ ، وَنَبَشَ الْفِتْنَةَ ، وَتَجَدَّدَ الْجَوْرُ بعد
دُرُوسِهِ (٣) ، وإِظْهَارِهِ بعد دُثُورِهِ (٤) ، وإِرَاقَةَ
الدَّمَاءِ ، وإِباحَةَ الْحَمَى ، وانْتِهَاكَ مَسْحَارِمِ اللَّهِ عَزَّ
وَجَلَّ بعد تحصينها ، فتنصرَّم وهاجَ ، وتوغَّرَ وثارَ

(١) سورة فصلت : ١٦ .

(٢) حفصة بنت عمر بن الخطاب أم المؤمنين ، تزوجها الرسول

سنة ٨٣ . توفيت سنة ٤١ . أو سنة ٨٤٥ .

(٣) الدروس : البلى .

(٤) الدثور : الهلاك .

غَضَبًا لِلَّهِ وَنُصْرَةً لِلدِّينِ لِلَّهِ ، فَأَخْشَأَ الشَّيْطَانَ وَوَقَّمَ (١)
كَيْدَهُ ، وَكَفَّفَ إِرَادَتَهُ ، وَقَدَّعَ مَحْسَتَهُ ، وَصَغَّرَ خُذَّهُ
السَّبْقَةَ إِلَى مُشَايَعَةِ أَوَّلَى النَّاسِ بِخِلَافَةِ رَسُولِ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ ، الْمَاضِي عَلَى سُنَّتِهِ ، الْمُقْتَدِي بِدِينِهِ ،
الْمُقْتَضِ لَأَثَرِهِ ، فَلَمْ يَزَلْ سِرَاجُهُ زَاهِرًا ، وَضَوْؤُهُ لَامِعًا
وَنُورُهُ سَاطِعًا .

له من الأفعال الغررُ ، ومن الآراء المصاصُ (٢) ،
ومن التقدم في طاعة الله عزَّ وجلَّ اللُّبابُ ، إلى أنْ
قَبَضَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ ، قَالِيًا لِمَا خَرَجَ مِنْهُ ، شَانِيًا لِمَا نَزَلَ مِنْ
أَمْرِهِ ، شَنِيفًا (٣) لِمَا كَانَ فِيهِ ، صَبًّا إِلَى مَا صَارَ إِلَيْهِ ،
وَائِلًا (٤) إِلَى مَا دُعِيَ إِلَيْهِ ، عَاشِقًا لِمَا هُوَ فِيهِ .

فلما صَارَ إِلَى الَّتِي وَصَفْتُ ، وَعَايَنَ مَا ذَكَرْتُ
أَوْمَأَ بِهَا إِلَى أَخِيهِ فِي الْمَعْدَلَةِ وَنَظِيرِهِ فِي السَّيْرِ ،
وَشَقِيقِهِ فِي الدِّيَانَةِ ، وَلَوْ كَانَ غَيْرَ اللَّهِ أَرَادَ لَأَمَالَهَا إِلَى

(١) وقم الكيد : أذله وقهره .

(٢) المصاص . خالص كل شيء .

(٣) شنيفا . مبغضا كارها .

(٤) وائلا : لاجئا .

ابنهِ ، ولصيّرها في عقبهِ ، ولم يُخْرِجْهَا مِنْ
 ذُرِّيَّتِهِ ، فأخَذَهَا بِحَقِّهَا ، وقَامَ فِيهَا بِقِسْطِهَا ، لم
 يَتُودِّهِ ثِقَلُهَا ، ولم يَبْهِيظْهُ حِفْظُهَا ، مُشَرِّدًا لِلْكَفْرِ
 عَنْ مَوْطِنِهِ وَنَافِرًا لَهُ عَنْ وَكْرِهِ ، ومُثِيرًا لَهُ مِنْ مَجْثَمِهِ ،
 حَتَّى فَتَحَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى يَدَيْهِ أَقْطَارَ الْبِلَادِ ، وَنَصَرَ
 اللَّهُ يَقْدُمَهُ ، وَمَلَائِكَتُهُ تَكْنُفُهُ ، وَهُوَ بِاللَّهِ مُعْتَصِمٌ ،
 وَعَلَيْهِ مُتَوَكِّلٌ ، حَتَّى تَأْكُودَتْ عُرَا الْحَقِّ عَلَيْكُمْ
 عَقْدًا ، وَاضْمَحَلَّتْ عُرَا الْبَاطِلِ عَنْكُمْ حَلًّا ، نَوْرُهُ
 فِي الدُّجُنَاتِ سَاطِعٌ ، وَضَوْؤُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَامِعٌ ،
 قَالِيًا لِلدُّنْيَا إِذْ عَرَفَهَا ، لَافِظًا لَهَا إِذْ عَجَمَهَا ، وَشَانِيًا لَهَا
 إِذْ سَبَرَهَا ، تَخْطُبُهُ وَيَقْنُلَاهَا ، وَتُرِيدُهُ وَيَأْبَاهَا (١) ،
 لَا تَطْلُبُ سِوَاهُ بَعْلًا ، وَلَا تَبْغِي سِوَاهُ نُحْلًا (٢) أَخْبَرَهَا أَنْ
 الْيَ تَخْطُبُ أَرْغَادُ مِنْهَا عَيْشًا ، وَأَنْضَرُ مِنْهَا حُبُورًا ،
 وَأَدْوَمُ مِنْهَا سُرُورًا ، وَأَبْقَى مِنْهَا خُلُودًا ، وَأَطْوَلُ مِنْهَا
 أَيَّامًا ، وَأَغْدَقُ مِنْهَا أَرْضًا ، وَأَنْشَعَتْ مِنْهَا جَمَالًا ،

(١) تريد : عمر بن الخطاب .

(٢) النحل : العطاء .

وَأَتَمُّ مِنْهَا بُلْهَنِيَّةٌ ، وَأَعَذِبُ مِنْهَا رُفْهَنِيَّةٌ (١) فَبَشِعَتْ
نَفْسَهُ بِذَلِكَ لِعَادَتِهَا ، وَاقْشَعَرَّتْ مِنْهَا لِمُخَالَفَتِهَا ، فَعَرَّكَهَا
بِالْعَزْمِ الشَّدِيدِ حَتَّى أَجَابَتْ ، وَبِالرَّأْيِ الْجَلِيدِ حَتَّى
انْقَادَتْ ، فَأَقَامَ فِيهَا دَعَائِمَ الْإِسْلَامِ . وَقَوَاعِدَ السُّنَّةِ
الْجَارِيَةِ ، وَرَوَاسِيَ الْأَثَارِ الْمَاضِيَةِ وَأَعْلَامَ أَخْبَارِ
النُّبُوَّةِ الظَّاهِرَةِ ، وَظَلَّ خَمِيصًا مِنْ بَهْجَتِهَا ،
قَالِيًا لِأَثَائِهَا ، لَا يَرِغْبُ فِي زِبْرِجِهَا (٢) وَلَا تَطْمَحُ
نَفْسُهُ إِلَى جِدَّتِهَا ، حَتَّى دُعِيَ فَأَجَابَ ، وَنُودِيَ
فَأَطَاعَ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ ، فَاحْتَدَى فِي النَّاسِ بِأَخِيهِ
فَأَخْرَجَهَا مِنْ نَسْلِهِ ، وَصَيَّرَهَا شُورَى بَيْنَ إِخْوَتِهِ ،
فَبَإَيِّ أَفْعَالِهِ يَتَعَلَّقُونَ ؟ . وَبِأَيِّ مَذَاهِبِهِ يَتَمَسَّكُونَ ؟
أَبِطَرَائِقِهِ الْقَوِيَّةِ فِي حَيَاتِهِ ، أَمْ بَعْدْلِهِ فِيكُمْ عِنْدَ وَفَاتِهِ ،
أَلْهَمَنَا اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ طَاعَتَهُ ، وَإِذَا شِئْتُمْ فَقِي
حِفْظِ اللَّهِ وَكَلَامَتِهِ .

* * *

(١) الرهنية : رغد العيش وخصبه .

(٢) الزبرج : الوشي .

أَرْوَى بِنْتُ الْحَارِثِ

قيل : دخلت أَرْوَى بِنْتُ الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ الْمَطْلَبِ عَلَى معاويةَ بْنِ أَبِي سَفْيَانَ بِالتَّوَسُّمِ وَهِيَ عَجُوزٌ كَبِيرَةٌ ، فَلَمَّا رَأَاهَا قَالَ : مَرَّحَمًا بِكَ يَا عَمَّةُ . قَالَتْ : كَيْفَ أَنْتَ يَا بَنُّ أَخِي ، لَقَدْ كَفَرْتَنِي بِعَدِي بِالنَّعْمَةِ ، وَأَسَأْتَ لِابْنِ عَمَّتِكَ الصُّحْبَةَ ، وَتَسَمَّيْتَنِي بِغَيْرِ اسْمِكَ ، وَأَخَذْتَ غَيْرَ حَقِّكَ ، بِغَيْرِ بِلَاءٍ كَانَ مِنْكَ وَلَا مِنْ آبَائِكَ فِي الْإِسْلَامِ ، وَلَقَدْ كَفَرْتُمْ بِمَا جَاءَ بِهِ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ . فَأَتَمَّعَسَ اللَّهُ الْجُدُودَ ، وَصَغَّرَ مِنْكُمْ الْخُدُودَ ، حَتَّى رَدَّ اللَّهُ الْحَقَّ إِلَى أَهْلِهِ ، وَكَانَتْ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا . وَنَبِيُّنَا مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ هُوَ الْمَنْصُورُ عَلَى مَنْ نَاوَاهُ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ .

* * *

رُؤْيَا رُقَيْبَةَ (١)

قَالَ مَخْرَمَةُ بْنُ نُوفَلٍ (٢) : حَدَّثَنِي أُمِّي رُقَيْبَةُ بِنْتُ أَبِي صَيْفِيٍّ بْنِ هَاشِمٍ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ ، قَالَتْ :

(١) رقية بنت أبي صيفي بن هاشم ، قبل كانت صحابية .

(٢) مخرمة بن نوفل القرشي الزهري ، أمه رقبعة ، كان من مسلمة الفتح ، ومن المؤلفات قلوبهم شهد حنيننا مع النبي . توفي سنة ٥٤ هـ وعمره ١١٥ سنة .

تَتَابَعَتْ عَلَى قَرِيْشٍ سَنُوْنَ أَقْحَحَاتِ (١) الضَّرْعِ
وَأَرْقَتِ اللَّحْمَ ، وَأَدَقَّتِ الْعِظَمَ فَيِينَا أَنَا نَائِمَةٌ ، لَاهَمٌ
أَوْ مُهَوِّمَةٌ (٢) إِذَا أَنَا بِهَاتِفٍ يَهْتَفُ بِصَوْتِ صَحْلٍ (٣)
أَقْشَعْرٌ لَهُ جِلْدِي : مَعَاشَرَ قَرِيْشٍ إِنْ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الْمَبْعُوْثِ
مِنْكُمْ قَدْ أَظْلَتَكُمْ أَيَّامُهُ ، وَهَذَا أَوَّانٌ تُجْوِمُهُ (٤)
أَلَا فَحَيِّ هَلَا (٥) بِالْخَصْبِ وَالْحَيَا ، أَلَا فَانْظُرُوا مِنْكُمْ رِجَالًا
وَسَيْطًا (٦) عِظَامًا جُسَامًا أَيْضًا بَصَفًا أَوْ طَفَ الْأَهْدَابِ (٧)
أَشْمَ الْعَرْنَيْنِ (٨) سَهْلَ الْحَدَّيْنِ ، لَهُ نَجْرٌ يَكْظُمُ
عَلَيْهِ (٩) وَسُنَّةٌ تَهْدِي إِلَيْهِ . أَلَا فَايْدُلُّفْ هُوَ وَوَلَدُهُ ،

(١) أَقْحَحَاتِ الضَّرْعِ : أَيْبَسَتْهُ .

(٢) التَّهْوِيمُ : هَزُّ الرَّأْسِ مِنَ النَّعَاسِ ، وَالْمَقْصُودُ هُنَا : الْإِسْتِرَاقُ .
فِي النَّوْمِ .

(٣) صَحْلٌ : فِيهِ بَعَّةٌ .

(٤) النُّجُومُ : الظُّهُورُ .

(٥) حَيِّ هَلَا : أَسْرِعُوا .

(٦) الْوَسَيْطُ : النَّحِيبُ .

(٧) أَوْ طَفَ الْأَهْدَابِ : غَزِيرَهَا .

(٨) الْعَرْنَيْنِ : الْأَنْفُ . وَأَشْمَ الْعَرْنَيْنِ ، كَثَايَةُ مِنَ الرَّفْعَةِ .

(٩) الْمَرَادُ : لَا يَظْهَرُ .

وليدتُف معه من كل بطن رجل ، فليستُنُوا (١)
 من الماء ، وليمسُوا من الطيب ثم ليستلمُوا الركن ،
 وليرقُوا أبا قُبَيْس (٢) ، وليدع الرجل ، وليؤمن
 القوم على دعائه ، فغُثَّتُمْ ما شئْتُمْ (٣) .

قالت : فأصبحتُ - عَلمَ الله - مَذْعُورَةً قد
 وَلَهَ قلبي ، واقشعراً جلدي لما رأيتُ في منامي فقَصَصْتُ
 رؤيائي ، وتَمَتَّ في شعاب مَكَّة ، فوالْحُرْمَةِ والحَرَمِ ،
 ما بَقِيَ أَبْطَحِي إِلَّا قالَ : هذا شَيْبَةُ الحَمْدِ ، هذا
 عبدُ المطلبِ . فتَنَامَت (٤) إليه رجالاتُ قريش ، وهبطَ
 إليه من كل بطن رجل ، فشَنُوا ومسُوا واستلموا ،
 ثم ارتقوا أبا قُبَيْسٍ ، وطفقُوا يَزِفُون (٥) حواليه ،
 ما أن يبلغُ سعيهم مَهْلَهُ ، حتى إذا استووا بَدْرُوة
 الجبل قام عبد المطلب ، ومعه رسول الله صَلَّى الله

(١) شَنَ الماء : صبّه متفرقاً ، وسَنَهُ : صبّه مجتمعا .

(٢) جَبَلُ بَمَكَةَ .

(٣) أَتَاكُمُ الْغَيْثُ : وغُثَّتُمْ : فعل مبني للمجهول . .

(٤) تَنَامَتَ إِلَيْهِ : تَنَاهَتْ إِلَيْهِ .

(٥) يَزِفُون : يسرعون الخطو مع تقارب وسكون .

عليه ، غلامٌ قد أبيعَ أو كُربَ (١) ، فرفعَ يدهُ إلى
السماء وقال :

اللهم كاشفَ الكُربة ، وسادَّ الحَمَلَة ، أنتَ عالمٌ (٢)
غير معلّم ، مَسْئُولٌ غير مُبْتَخَلٍّ هذه عبدالك (٣)
ولماؤك بعذرَات (٤) حرَمَك ، يشكون إليك سنَّتَهُم
التي أذهبت الظِّلْفَ والخُفَّ (٥) ، فاسمعنَّ اللهم لنا ،
وأمطرنَّ غيثاً مُخَدِقاً مَرِيحاً (٦) . فما رامسوا الكعبةَ (٧)
حقّ تفجرتِ السماء بِمائها ، وكظَّ الوادي بشجيجهِ (٨)
فلَسَمِعْتُ شيخانَ قريشٍ وجُلَّتَنِيها : عبد الله بنَ
جُدعان ، وحَرْبَ بنَ أُمَيَّةَ ، وهشامَ بنَ المغيرةِ
يقولون لعبد المطلب : هَنِيئاً لكَ أبا البَطْحاءِ هَنِيئاً لك .

• • •

(١) كُرب . أو شك .

(٢) في أسد الغابة : أنت معلّم .

(٣) عبدالك : عبيدك .

(٤) عذرَات : أفنية .

(٥) المراد : الغنم والإبل .

(٦) مريح : ترقع فيه الدواب .

(٧) رام يريم : فارق .

(٨) الشجيج : السيل .

هِنْدُ بِنْتُ عُتْبَةَ (١)

قالت هندُ بنتُ عُتْبَةَ لِأَيُّهَا : إني امرأةٌ قد ملكْتُ
أمري ، فلا تزوجني رجلاً حتى تعرضه عليّ . فقال :
لكِ ذلك . وقال لها ذاتَ يومٍ : إنَّهُ قد خطَبَكَ رجلانِ
من قومك ، ولستُ مُسَمِّياً لكِ واحداً منهما ، حتى
أصِفَه لكِ ، أمّا الأولُ ففي الشَّرَفِ الصَّمِيمِ ، والحَسَبِ
الكَرِيمِ ، تخالين به هوجاً من غفلته ، وذلك إسْجَاحُ (٢)
من شيمته ، حَسَنُ الصَّحَابَةِ ، سريعُ الإجابة ، إن
تابعتِه تابعتِ ، وإنِ ملئتِ كان معكِ ، تقضين عليه
في ماله ، وتكتفين برأبكِ عن مشورته .

وأما الآخرُ ففي الحَسَبِ الحَسِيبِ ، والرأي
الأريب ، بَدْرُ أُرُومَةٍ ، وعزُّ عَشِيرَةٍ ، يُؤدِّبُ أهله
ولا يُؤدِّبُونه ، إن اتَّبَعُوهُ أسهلَ بهم ، وإنْ جَانَبُوهُ
توعَّرَ عنهم ، شديدُ الغَيَرَةِ ، سريعُ الطَّيَرَةِ ، ضَعِيبُ

(١) هند بنت عتبة القرشية الهاشمية زوج أبي سفيان ، أسلمت يوم
الفتح ، وعفا عنها الرسول . بعد تمثيلها بحمزة بعد أن قتل ، وتوفيت
في خلافة عمر بن الخطاب .

(٢) الإسْجَاحُ : حسن العفو .

حجَابِ الْقُبَّةِ ، إِنْ حَاجَّ فَفِير مَنزُور (١) ، وَإِنْ
نُوزِعَ فَفِيرٌ مَقْسُورٌ ، قَدْ يَنْتُ لَكَ كَلِيَهُمَا .

قَالَتْ : أَمَّا الْأَوَّلُ فَسَيُذْ مَضْيَاعٌ لِكَرِيمَتِهِ ، مُوَاتٍ
لَهَا ، فَمَا عَسَى إِنْ لَمْ تَعْتَصِرْ أَنْ تَلِينَ بَعْدَ إِبَائِهَا ،
وَتَضَيِّعَ تَحْتَ خِبَائِهَا ، إِنْ جَاءَتْهُ بُولَدٌ أَحْمَقَّتْ وَإِنْ
أَنْجَبَتْ فَعَنْ خَطَأً مَا أَنْجَبَتْ . اطْوِرْ ذَكَرَ هَذَا عَنِّي
لَا تُسَمِّهِ لِي .

وَأَمَّا الْآخَرُ فَبَعْلُ الْحُرَّةِ الْكَرِيمَةِ ، إِنِّي لِأَخْلَاقِ
هَذَا لَوَاقِفَةٌ ، وَإِنِّي لَهُ لَمُوَافِقَةٌ ، وَإِنِّي لِأَخْذِهِ بِأَدَبِ
الْبَعْلِ ، مَعَ أَرْوَمِي قُبَّتِي وَقَلَّةِ تَلَفَّتِي ، وَإِنَّ السَّلِيلَ
بَيْنِي وَبَيْنَهُ لَحَرِيٌّ أَنْ يَكُونَ الْمَدَافِغَ عَنْ حَرِيمِ
عَشِيرَتِهِ ، الذَّائِدَةَ عَنْ كَتَمِيتِهَا الْمُحَامَتِي عَنْ حَقِيقَتِهَا ،
الْمُثَبَّتَ لِأَرْوَمَتِهَا ، غَيْرَ مُتَوَاكِلٍ وَلَا زُهَيْلٍ (٢)
عِنْدَ صَعَصَعَةٍ (٣) الْحُرُوبِ .

(١) غير متزور : غير قليل في حجه .

(٢) الزميل : الضعيف .

(٣) صعصة الحروب : حركتها أو اضطرابها .

قَالَ : ذَلِكَ أَبُو سُفْيَانَ بْنُ حَرْبٍ . قَالَتْ : فزوجه
ولا تُلْقِنِي إِيَّاهُ إِقَاءَ الشُّكْسِ وَلَا تَسْمُهُ سَوْمَ
الضَّرْسِ (١) ، ثُمَّ اسْتَخَرِ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ فِي السَّمَاءِ
بِخَرْكَ فِي الْقَضَاءِ . فزوجهَا أَبَا سُفْيَانَ . وَكَانَ الْآخِرُ
سُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو (٢) .

* * *

رُؤْيَا عَاتِكَةَ بِنْتِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ (٣)

كَانَتْ عَاتِكَةُ بِنْتُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ عَمَّةُ رَسُولِ
اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ ، سَاكِنَةً بِمَكَّةَ مَعَ أَخِيهَا الْعَبَّاسِ بْنِ
عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ، فَرَأَتْ رُؤْيَا قَبْلَ يَوْمِ بَدْرٍ ، وَقَبْلَ قُدُومِ
ضَمْنَمٍ عَلَيْهِمْ ، فَفَزَعَتْ مِنْهَا ، فَأَرْسَلَتْ إِلَى أَخِيهَا
الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ مِنْ لَيْلَتِهَا ، فَجَاءَهَا فَقَالَتْ :

(١) الضرس : السيم الخلق .

(٢) سهيل بن عمرو القرشي أحد أشراف قريش ، وهو الذي منع
قريشاً عن الارتداد بعد وفاة الرسول ، خرج إلى الشام مجاهداً واستشهد
سنة ٥١٤ .

(٣) عاتكة بنت عبد المطلب ، اختلف في إسلامها ، فقال بعض
العلماء : لم يسلم من عمات النبي غير صفية .

رَأَيْتُ اللَّيْلَةَ رُؤْيَا قَدْ أَشْفَقْتُ مِنْهَا ، وَخَشِيتُ عَلَى قَوْمِكَ
الْمُلْكَةَ . قَالَ : وَمَاذَا رَأَيْتِ ؟ قَالَتْ : لَنْ أَحْدُثُكَ
حَتَّى تَعَاهِدَنِي أَلَّا تَذْكُرَهَا لِقَوْمِكَ ، فَإِنَّهُمْ إِنْ سَمِعُوهَا
أَذَوَّنَا وَأَسْمَعُونَا مَا لَا نُحِبُّ . فَعَاهَدَهَا الْعَبَّاسُ فَقَالَتْ :

رَأَيْتُ رَاكِبًا أَقْبَلَ عَلَى رَاحِلَةٍ مِنْ أَعْلَى مَكَّةَ يَصْبِحُ
بِأَعْلَى صَوْتِهِ : يَا آلَ غُدَرٍ (١) ، اخْرُجُوا فِي لَيْلَتَيْنِ
أَوْ ثَلَاثٍ ، ثُمَّ أَقْبَلَ يَصْبِحُ حَتَّى دَخَلَ الْمَسْجِدَ عَلَى رَاحِلَتِهِ
فَصَاحَ ثَلَاثَ صَيِّحَاتٍ ، وَمَالَ عَلَيْهِ الرِّجَالُ وَالنِّسَاءُ
وَالصَّبِيَّانُ ، وَفَزَعَ النَّاسُ لَهُ أَشَدَّ الْفَزَعِ . قَالَتْ :
ثُمَّ أَرَاهُ مَثَلًا عَلَى ظَهْرِ الْكَعْبَةِ عَلَى رَاحِلَتِهِ فَصَاحَ
ثَلَاثَ صَيِّحَاتٍ فَقَالَ : يَا آلَ غُدَرٍ ، يَا آلَ فُجَرٍ (٢)
اخْرُجُوا فِي لَيْلَتَيْنِ أَوْ ثَلَاثٍ . ثُمَّ أَرَاهُ مَثَلًا عَلَى أَبِي
قُبَيْسٍ كَذَلِكَ يَقُولُ يَا آلَ غُدَرٍ وَيَا آلَ فُجَرٍ حَتَّى أَسْمَعَ
مَنْ بَيْنَ الْأَخْشَبِيِّينَ (٣) مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ ، ثُمَّ عَمَدَ
لِصَخْرَةٍ عَظِيمَةٍ فَنَزَعَهَا مِنْ أَصْلِهَا ثُمَّ أَرْسَلَهَا عَلَى أَهْلِ

(١) غدر : معدول عن فادر .

(٢) فجر : معدول عن فاجر .

(٣) الأخشبان : جبلان يضافان تارة لمكة وتارة لمي .

مكة ، فأقبلت الصخرة لها حسٌ شديدٌ ، حتى إذا كانت عند أصلِ الجبلِ ارفضتْ ، فلا أعلمُ بمكة بيتاً ولا داراً إلا وقد دخلتها فلقية من تلك الصخرة ، فقد خشيتُ على قومك .

ففزع من رؤياها العباسُ ثم خرج من عندها ، فلقى الوايد بن عتبة بن ربيعة من آخر تلك الليلة ، وكان خليلاً للعباس ، فقص عليه رؤيا عائكة وأمره ألا يذكرها لأحد ، فذكرها لأبيه عتبة ، وذكرها عتبة لأخيه شيبه ، فارتفع الحديث حتى بلغ أبنا جهل واستفاض في أهل مكة .

• • •

فاطمة بنت عبد الملك بن مروان

روي عن عطاء ، قال : قلت لفاطمة بنت عبد الملك : أخبريني عن عمر بن عبد العزيز . قالت : أفعل ، ولو كان حياً ما فعلت . إن عمر - رحمه الله - كان قد فرغ للمسامين نفسه ، ولأموورهم ذهنه ، فكان إذا أمسى مساءً لم يفرغ فيه من حوائج الناس في يومه دعا

بسراجہ الذي كان يُسَرَّجُ له من مائه ثم صلى ركعتين ،
ثم أقعَى واضعاً رأسه على يديه ، تسيلُ دموعه على
خديّه يَشْهَقُ الشَّهَقَ تَكَادُ يَنْصَدِعُ لها قلبه ، أو تخرجُ
لها نفسه ، حتى يرى الصُّبْحَ .

وأصبحَ صائماً فدنوتُ منه فقلت : يا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ،
أشياء كان منك ما كان ؟ قال : أجل ، فعليكِ بشأنكِ ،
وخلّيني وشأني . فقلت : إني أرجو أنْ أتعظَ . قال :
إذاً أخبركِ ، إني نظرتُ قد وجدتُني وليتُ أمرَ هذه
الأمّةِ أحمرِها وأسودِها ، ثم ذكرتُ الفقيرَ الجائعَ ،
والغريبَ الضائعَ ، والأسيرَ المقهورَ ، وذا المالِ القليلِ
والعيالِ الكثيرِ ، وأشياءَ من ذلك في أقاصي البلادِ ،
وأطرافِ الأرضِ ، فعلمتُ أن الله عزَّ وجلَّ سائلي
عنهم ، وأنَّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم حتّيجي (١) ،
لا يقبلُ الله مني فيهم متعذّرةً ، ولا يقومُ لي مع رسول
الله صلى الله عليه وسلم حُجّةٌ ، فرحمتُ واللهِ يافاطمةُ

(١) حتّيج المرء : من يحاجه ويحاجله .

نَفْسِي رَحْمَةً دَمَعَتْ لَهَا عَيْنِي ، وَوَجِنَعَ لَهَا قَلْبِي ، فَأَنَا
كَلِّمًا اَزْدَدْتُ ذِكْرًا اَزْدَدْتُ خَوْفًا فَأَيُّظِي أَوْدَعِي .

* * *

أُمُّ سَلَمَةَ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ

في حديث أم سلمة أنها أتت عائشة لما أرادت
الخروج إلى البصرة فقالت لها :

إِنَّكَ سُدَّةُ بَيْنِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ،
وَحِجَابُكَ مَضْرُوبٌ عَلَى حُرْمَتِهِ ، وَقَدْ جَمَعَ الْقُرْآنُ
ذَلِكَ فَلَا تَنْدَحِيهِ (١) وَسَكِّنْ عَقِيرَكَ فَلَا تُصْخَرِيهَا .
اللَّهُ مِنْ وَارِءِ هَذِهِ الْأُمَّةِ ، لَوْ أَرَادَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ أَنْ يَعْهَدَ إِلَيْكَ عَهْدًا . عَلَّتِ عَلَتِ (٢) بَلَى
قَدْ نَهَاكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الْفُرْطَةِ (٣) فِي
الْبِلَادِ ، إِنَّ أَعْمُودَ الْإِسْلَامِ لَا يُثَابُ (٤) بِالنِّسَاءِ إِنْ مَالَ

(١) لَا تَدَحِيهِ : لَا تَوْسِعِيه بِالْحَرَكَةِ وَالْخُرُوجِ . وَعَقِيرَكَ : مِنْ
عَقَرِ الدَّارِ .

(٢) عَلَتِ : مِنْ الْعَوْلِ ، وَهُوَ الْخَلِيلُ .

(٣) الْفُرْطَةُ : مِنَ الْفَرْطِ وَهُوَ السِّبْقُ وَالتَّقْدِمُ .

(٤) لَا يُثَابُ : لَا يَصْلَحُ ، مِنْ ثَابِ الرَّجُلِ . إِذَا صُلِحَ بَدَنُهُ .

ولايُرْأَب (١) بهن أن صُدع ، حُمَادَيَاتُ النساءِ غَضُ
الأطرافِ ، وَخَفَرُ الأعْراضِ ، وَقَصْرُ الوَهَاذَةِ (٢) .

* * *

مُلْتَقَطَاتُ مِنْ كَلَامِهِنَّ

قالت هندُ بنتُ عتبةَ وقد عُرِّيتُ عن يزيدَ بنِ
أبي سفيانَ (٣) لما مات فقيل لها : إنا لنرجو أن يكون في
معاويةَ خلفاً منه . قالت : أو مثلُ معاويةَ يكون خلفاً من
أحد ؟ والله لو جُمعت العربُ من أقطارها ثم رُمي به فيها
لخرجَ من أيّها شاء .

قالت خالدةُ بنتُ هاشمٍ بنِ عبدِ منافٍ لأخٍ لها - وقد
سمعتَه تَجْهَمُ صديقاً له : أيُّ أَخِيَّ ، لا تطلع من الكلام
إلا ما قد رَوَّاتَ (٤) فيه قبل ذلك ، ومزجته بالحلم ،

(١) يرأب : يصلح .

(٢) الوهازة : مثية الخفرات .

(٣) يزيد بن أبي سفيان صحابي ، أسلم يوم الفتح ، وشهد غزوة
حنين ، وهو أحد القادة الذين وجههم أبو بكر إلى الشام ، وولي فلسطين
لعمر ، وتوفي سنة ٥١٨ هـ .

(٤) رَوَّأَ في الشيء : نظر إليه وعرف عاقبته .

وداويته بالرَّفْقِ ، فإن ذلك أشبهُ بك . فسمعها أبوها
هاشمٌ فقامَ إليها فاعتنقها وقبّلها وقال : واهاً لك
ياقُبّةَ الديباجِ فلُقِّبتَ بذلك .

قالت عائشةٌ للنبي عليه السلام وقد دخل عليها :
أين كنتَ يا رسولَ الله ؟ قال : « كنتُ عندَ أمِّ سلمة . »
قالت : أما تشيعُ ؟ فتبسّم . وقالت : يا رسولَ الله ،
لو مررتَ بعدُ وتين (١) لإحداهما عافيةٌ لم يرعَها أحدٌ ،
وأخرى قد رعّاها الناسُ ، أيّها كنتَ تنزلُ ؟ قال :
« بالعافيةِ الّتي لم يرعَها الناسُ » قالت : فليستُ كأحدٍ
من نسائك .

روِيَ أن عمرَ نَهى أبا سفيانَ عن رشِّ بابِ منزله
لئلا يمرَّ به الحاجُّ فيزلقون فيه . فأم يثته . ومرَّ عمرُ
فزائقَ ببابه فعلاه بالدرةِ وقال : ألم آمرُك ألا تفعلَ هذا .
فوضعَ أبو سفيانَ سبّابته على فيه . فقال عمرُ : الحمدُ لله
الذي أراني أبا سفيانَ ببطحاءِ مكةَ أضربُه فلا ينتصرُ ،
وأمْرُه فيأتمرُ . فسمعتُه هندُ بنتُ عتبةَ فقالت : إحْمَدُه
يا عمرُ فإنك إن تحمّدهُ فقد أراك عطيماً .

« * »

(١) العذرة : شاطئ الوادي أو حائبه .

الباب الثاني

نكت من كلام نساء ومتحن جواباتهن وألفاظهن

مرت امرأة جميلة على مسجد بني نُمَيْرٍ بالبصرة
وعليه جماعة منهم فقال بعضهم : ما أكبرَ عَجِيزَتِها ،
وقال آخرُ : إنها مَلْفُوفَةٌ . وقال آخرُ : أنا أُجِيشُكُمْ
بخبيرها . فتبعها وضربَ يده على عَجِيزَتِها . قال :
فالتفت إليه وقالت : ((الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ
مِنَ الْمُسْتَرِينَ)) (١) ثم انصرفت إلى بني نُمَيْرٍ فقالت :
يا بني نُمَيْرِ - والله ما حفظتُمْ في قول الله جلَّ وعزَّ ،
ولا قولَ الشاعر ، قال الله تبارك وتعالى : ((قُلْ
لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ)) (٢) وقال الشاعر :

(١) سورة البقرة : ١٤٧ .

(٢) سورة النور : ٣٠ .

فَنَقَضَ الطَّرْفَ لِنِكَ مِنْ نُسْمِيرٍ

فَلَا كَعْبًا بَاغَتْ وَلَا كِيلَابًا (١)

قالت امرأة من نُسْمِيرٍ وحضرته الوفاء ، وأهلها
يجتمعون : من الذي يقول :

لَعَمْرُكَ مَارْمَاحُ بَنِي نُسْمِيرٍ
بطائشة الصدور ولا قِصار (٢)

قالوا : زياد الأعجم (٣) . قالت : فإني أشهدكم
أن له الدُّائِثَ من مالي . وكان كثيراً .

وقالت امرأة لزوجها : إن أكلتك لاقتِفَافُ ، (٤) ،
وإن شربتك لاشتِفَافُ ، وإن ضجعتك لاكتِفَافُ ،
تنام ليلة تخافُ ، وتشبع ليلة تُضِفافُ .

(١) البيت لجرير . البيان والتبيين : ٢٤٣/٢ ، وذكر الجاحظ
بعدها : وأخلق بهذا الحديث أن يكون ، ولداً .

(٢) مختار الأغاني : ١٣٧/٣

(٣) زياد بن سليمان ، لقب بالأعجم لغلبة العجمة على لسانه ، شاعر
جزل اللفظ ، ولد ونشأ بأصفهان ، وأقام بخراسان إلى أن مات .

(٤) الاقتفاف : الاتيان على جميع الطعام شرها .

طَلَّقَ أَعْرَابِي امْرَأَتَهُ فَقَالَتْ لَهُ : جَزَاكَ اللَّهُ خَيْرًا ؛
لَقَدْ كُنْتُ كَثِيرَ الْمَرْقِ طَيِّبِ الْعَرَقِ ، قَلِيلَ الْأَرْقِ ،
قَالَ : وَأَنْتِ فَجَزَاكَ اللَّهُ خَيْرًا ؛ لَقَدْ كُنْتُ لِلذِّمَّةِ
الْمُعْتَنَقِ ، عِنْدَ الْكَرِيِّ وَالْأَرْقِ ، وَابْنٌ مَا قَضَى اللَّهُ
قَدْ سَبَقَ .

تَزَوَّجَ أَعْرَابِي امْرَأَةً أَشْرَفَ مِنْهُ حَسَبًا وَنَسَبًا فَقَالَ :
يَا هَذِهِ : إِنَّكَ مَهْزُولَةٌ . فَقَالَتْ : هُزُلِي أَوْ بَلْحَنِي بِبَيْتِكَ .
قَالَتْ أَعْرَابِيَّةٌ وَقَدْ دُفِعَ إِلَيْهَا عَلَيْكَ ائْتَمِضْغِهِ :
مَا فِيهِ إِلَّا تَعَبُ الْأَصْرَاسِ وَخَبِيئَةُ الْحَنْجَرَةِ .

نَظَرَ رَجُلٌ إِلَى امْرَأَتَيْنِ يَتَلَاَعَبَانِ فَقَالَ : مُرًّا لَعْنُكُمَا
اللَّهُ فَإِنَّكُنِ صَوَاحِبَاتُ يَوْمِئِذٍ . فَقَالَتْ إِحْدَاهُمَا :
يَا عَمِّي فَمَنْ رَمَى بِهِ فِي الْجُبِّ . نَحْنُ أَوْ أَنْتُمْ ؟
وَمَرَّتْ جَارِيَةٌ بِقَوْمٍ وَمَعَهَا طَبَقٌ مَغْطَى فَقَالَ
بَعْضُهُمْ : أَيُّ شَيْءٍ مَعَكَ عَلَى الطَّبَقِ ؟ قَالَتْ : فِلِمَ
غَطَّيْنَاهُ ؟ .

قَالَ الْجَاهِلُ : وَمِنْ الْأَسْجَاعِ الْحَسَنَةِ قَوْلُ
الْأَعْرَابِيَةِ حِينَ خَاصَمَتْ ابْنَهَا إِلَى عَامِلِ الْمَاءِ : أَمَا كَانَ

بطيني لك وعاء ؟ أما كان حيجري لك فناء ؟ أما كان
نديبي لك سقاء .

وقالت امرأة : أصبحنا ما برقنا لنا فرس ، ولا ينام
لنا حارس .

مر رجل بامرأة من غاضرة ، وزدا ابن لها مسجى
بين يديها . وهي تقول : يرحمك الله يا بني . فوالله ما كان
مالك لبطنك . ولا أمرك لعريك ، ولا كنت إلا لين
العطفة . يرضيك أقل مما يسخطك . قال : فقلت
لها : يا أمه ، ألك منه خلفة ؟ قالت : بلى ما هو خير
منه . ثواب الله والصبر على المصيبة .

ولما قتل الفضل بن سهل (١) دخل المأمون
إلى أمه يعزيها فيه . وقال : يا أمه ، لا تحزني على الفضل ،
فلاني خلف لك منه . فقالت له : وكيف لا أحزن على
ولد عوضني خلفاً مثلك ؟ فتعجب المأمون من جوابها .
وكان يقول : ما سمعت جواباً قط كان أحسن منه ولا
أخلب للقلب .

(١) الفضل بن سهل ذو الرياستين وزير للمأمون كان عادلاً حكيماً .

توفي سنة ٨٢٠٢

حُكي أنَّ عَجُوزاً من الأعرابِ جَلست في طريق
مَكَّةَ إلى فتيانٍ من قُرَيْشٍ يشربون نبيذاً لهم ، فسقوها
قَدْحاً فطابت نفسها وتبسَّمت ثم سقوها قَدْحاً آخرَ ،
فاحمرَّ وجهُها وصحكت فسقوها قَدْحاً ثالثاً ، فقالت :
أخبروني عن نسائكم بالعراق ، أَيَشْرَبْنَ من هذا
الشرابِ : قالوا : نعم . قالت : زَنَيْنَ وربَّ الكعبةِ .
سُئِلت أعرابيةٌ فقيل لها : أتعرفين النُّجُومَ ؟ قالت :
سبحان الله أَمَا أعرفُ أَشْيَاحاً وقوفاً عليَّ كلَّ ليلةٍ ؟
قِيلَ لامرأةٍ أَصِيبَتْ بولدها : كيفَ أَنتِ والجزعُ ؟ .
قالت : لو رأيتُ فيه دَرَكَاً ما اخترتُ عليه ، ولو دامَ
لي لدُمْتُ له .

خَطَبَ رجلٌ ابنةَ عمِّ له فأخبرها أبوها بذلك
فقالت : يا أَبَهْ ، سألَهُ مالي عنده ؟ فسأله فقال :
الطفُ برَّها ، وأَحْمِلْ ذِكْرَها ، وأَعْصِي أمرَها . فقالت :
زَوَّجْنِيه .

لَمَّا أَهْدِيَتْ ابنةُ عبدِ الله بنِ جَعْفَرٍ إلى الْحِجَّاجِ
نَظَرَ إليها في تلكَ اللَّيلةِ وعَبَّرَتْهَا نَجُولٌ في خَدَّها ،

فقال ممّ بأبي أنت ؟ . قالت : من شرفٍ اتّضع ،
ومن ضعة شرفت .

ولما كتب عبدُ الملكِ إلى الحجاج بطلاقها قال لها :
إنّ أميرَ المؤمنين أمرني بطلاقكِ قالت : هو أبرُّ بي ممّن
روّجنيك .

حكّم بلالُ بنُ أبي بردة (١) بالتفريق بين رجل
وامرأته . فقالت له المرأة : يا بنَ أبي موسى
إنما بُعِثْتُم بالتفريق بين المسلمين .

نزلَ رجلٌ بامرأة من العرب فقال لها : هل من
لبنٍ أو طعام يُباع ؟ فقالت : إنكَ للثيم أو حديثُ عهد
باللثام . فاستحسن ذلكَ منها وخطبها فتزوجها .

حدثَ بعضهم قال : خرجتُ إلى ناحية الطّفاوة (٢)
فلما أنا بامرأةٍ لم أر أجملَ منها . فقالت : أيتها المرأة ،
إن كان لكِ زوجٌ فباركَ اللهُ له فيكِ ، وإلاّ فأعلميني .

(١) بلال بن أبي بردة يتصل بسه نأبى موسى الأشعري ، ولله خالده
إلى العسري قضاء المصرة .

(٢) الطفاوة : حي من قيس بن عيلان .

قال : فقالت : وماتصنعُ بي وفيّ شيءٌ لا أراكَ ترتضيه .
قلت : وما هو ؟ قالت : شيبٌ في رأسي . قال : فثنيْتُ
عنانَ دابَّتِي راجعاً . فصاحتُ بي : على رِسْلِكَ
أخبرك بشيء . فوقفْتُ وقلتُ : ما هو يرحمك الله ؟
فقالت : والله ما بلغتُ العشرين بعدُ ، وهذا رأسي -
لكشفت عن عناقيدَ كالْحُمَم - وما رأيتُ في رأسي
بياضاً قط ، ولكن أحببتُ أن تعلمُ أنا نكرهُ مثلَ ما يُكره
منّا . وأنشدت :

أرى شَيْبَ الرِّجَالِ من الغواني
بموضع شِيْهِنٍّ من الرِّجَالِ

قال : فرجعتُ نخجلاً كاسفَ البال .

وصفت امرأة نساءً فقالت : كنَّ صُدُوعاً في
صفاً ليسَ لعاجز فيهنَّ حظٌّ .

قيل لابنة الخُص (١) : من تريدين أن تزوّجي ؟
فقالت : لا أريدُهُ أنا فلان ولا ابنَ عمِّ فلان ، ولا الظَّرِيفَ

(١) هي هند بنت الحُص ، لها أخبار مروية في كتب الأدب .

ولا المتظرف ، ولا السمين اللحم ولكني أريدُه كسوباً
إذا غدا ، ضحوكا إذا أتى .

وقيل لها : مَنْ أعظمُ الناس في عينك ؟ قالت : مَنْ
كانت لي إليه حاجة .

قيل لأعرابية قد حملت شاةً تبيعُها : بكم ؟
قالت : بكذا . قيل لها : أحسني . فتركت الشاةَ
ومرّت لتنصرف . فقيل لها : ماهذا ؟ قالت : لم تقولوا :
أنقصي ، وإنما قلتم : أحسني . والإحسان تركُ الكل .
قالت قرية الأعرابية : إذا كنت في غير قومك
فلا تنس نصيبك من الدّل .

قيل لأعرابية : ما أطيبُ الروائح ؟ قالت : بَدَنٌ
تُحِبُّه ، وولَدٌ تُرَبُّه .

سأل رجلٌ الحيزران (١) حاجة ، وأهدى إليها
هديةً فردَّتْها وكتبت إليه : إن كان الذي وجهته ثمنا
لرأي فيك فقد بخستني في القيمة ، وإن كان استزادةً
فقد استغششتني في النصيحة .

(١) الحيزران : أم هانئ الرشيد .

قتل قتيبة^(١) أبا امرأة وأخاها وزوجها ثم قال لها :
أتعرفين أعدى لك مني ؟ قالت : نعم : نفسي طالبتني
بالغداء بعد من قتلت لي .

تقدمت امرأة إلى قاضٍ فقال لها القاضي : جئأمعك
شهودك كإثهم ؟ فسكتت فقال كاتبه : إن القاضي
يقول : جاء شهودك معك ؟ قالت : نعم . ثم قالت
للقاضي : ألا قلت كما قال كاتبك . كبر سنك ،
وذهب عقلك . وعظمت لحيثك فغطت على عقلك ،
وما رأيت ميتاً يحكم بين الأحياء غيرك .

قالت أعرابية لزوجها ، وراثة مهملوما : إن
كان همك بالدنيا فقد فرغ الله منها ، وإن كان للآخرة
فزادك الله همًا بها .

قال الأصمعي : سمعت أعرابية تقول : إلهي ،
ما أضيق الطريق على من لم تكن دليلته ، وأوحشه على
من لم تكن أنيسه !

قالت عائشة للخنساء : إلى كم تبكين على صخر ،

(١) قائد أمير ولي خراسان .

وإنّما هو جَمْرَةٌ في النار ؟ قالت : ذاك أشدُّ لجزعي عليه .

جاءت امرأةٌ إلى عديّ بن أرطأة (١) تستعديه على زوجها ، وتشكو أنّه عنينٌ لا يأتيها ، فقال عدي :
إنّي لأستحيي للمرأة أن تستعدي على زوجها من مثل هذا ،
فقلت : ولم لأرغبُ فيما رغبتُ فيه أمّك فلعلّ الله
أنّ يرزقني ابناً مثلك .

وقالت أعرابيةٌ لرجلٍ : مالك تُعطي ولا تُعِدُّ ؟
فقال لها : مالك وللوعد ؟ قالت : ينفسُ به الصبرُ ،
ويُنتشر فيه الأمل ، ونطيّبُ بذِكره النفسُ ، ويُرجي
به العيشُ ، وتربحُ أنت به المرح بالوفاء .

قيل لامرأة : صيفي لنا الناقةَ النجيبة ، قالت :
كالعقرب إذا هوت ، وكالحية إذا التوت ، تطوي
الفلاة وما انطوت .

خطب أعرابي امرأةً وكان قصيراً فاحش القصر ،
عظيم الأنف جداً فكرهتهُ فقال : يا هذه ، قد عرّفتِ

(١) عدي بن أرطأة الفزاري ، ولي البصرة لعمر بن عبد العزيز .

شَرَفِي وَأَنَا مَعَ ذَلِكَ كَرِيمُ الْمَعَاشِرَةِ ، مُحْتَمِلُ الْمَكْرُوهِ .
فَقَالَتْ : صَدَقْتَ مَعَ حَمَلِكَ هَذَا الْأَنْفَ أَرْبَعِينَ سَنَةً .
اسْتَعْمَلَ الْمَنْصُورُ رَجُلًا عَلَى خِرَاسَانَ فَأَتَتْهُ امْرَأَةٌ
فِي حَاجَةٍ فَلَمْ تَرَ عِنْدَهُ غَنَاءً ، فَقَالَتْ : أَتَدْرِي لَمْ وَلَاكَ
أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ؟ قَالَ : لَا : قَالَتْ : لِيَنْظُرَ هَلْ يَسْتَقِيمُ
أَمْرُ خِرَاسَانَ بِلَا وَالٍ .

قَالَ بَعْضُهُمْ : خَطَبْتُ امْرَأَةً فَأُجَابَتْ ، فَقُلْتُ :
إِنِّي سَيِّئُ الْخُلُقِ : فَقَالَتْ : أَسْوَأُ خُلُقًا مِنْكَ مَنْ يُلْجِئُكَ
إِلَى سُوءِ الْخُلُقِ .

قِيلَ : إِنَّ الْحَسَنَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ طَلَّقَ امْرَأَتَيْنِ
قُرَشِيَّةً وَجُعْفِيَّةً وَبَعَثَ إِلَى كُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا عَشْرِينَ
أَلْفًا . وَقَالَ لِلرَّسُولِ : احْفَظْ مَا تَقُولُ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا
فَقَالَتِ الْقُرَشِيَّةُ : جَزَاهُ اللَّهُ خَيْرًا . وَقَالَتِ الْجُعْفِيَّةُ :
مَتَاعَ قَلْبٍ مِنْ حَبِيبٍ مَفَارِقٍ . فَرَاغَتْهُمَا وَطَلَّقَ الْأُخْرَى .

وكَانَتْ عِنْدَ الْحَسَنِ بْنِ الْحُسَيْنِ امْرَأَةٌ فَضَجِرَ
يَوْمًا وَقَالَ : أَمْرُكَ فِي يَدِكَ . فَقَالَتْ : أَمَا وَاللَّهِ لَقَدْ
كَانَ فِي يَدِكَ عَشْرِينَ سَنَةً فَحَفِظْتَهُ ، أَفَأَضِيعُهُ فِي سَاعَةٍ

صارَ في يدي . قد رددتُ إليك حقَّك . فأعجبه قولها
وأحسن صحبتها .

قالت الخيزران : قبح اللهُ الخدمَ ليس لهمُ حزمُ
الرجالِ ولا رِقَّةُ النساءِ .

كتب المأمونُ إلى شيكِّلة (١) أمَّ إبراهيمَ بنِ المهدي (٢)
يتوصدُّها فأجابته : أنا يا أميرَ المؤمنين أمُّ من أمهاتِكَ ،
فلن كان ابني عَصَى اللهَ فيكَ فلا تعصَّه فيَّ ، والسلام .
عُرِضَتْ عَنَّا ، جاريةُ الناطقي على الرشيد وهو
يتبخَّر ، فقال لها : أتُحبِّين أن أشتريكَ ؟ فقالت : ولمَّ
لا يا أحسنَ الناسِ خُلُقًا وخُلُقًا ؟ فقال : أمَّا الخلقُ
فقد رأيتُه ، فالخلقُ أنَّى عَرَفْتِه ؟ قالت : رأيتُ
شرارةً طاحتُ من المِجْمرة فلمعتُ في خدِّك فما
قطَّبتُ لها ولا عاتبتُ أحداً .

(١) شكِّلة أم إبراهيم بن المهدي ، سبيت ، وحملت إلى المنصور
فوهبها لأم ولده ، أخذها المهدي فولدت له إبراهيم .

(٢) إبراهيم بن المهدي أديب شاعر له صنعة في الفناء ، ولي الخلافة
بعد قتل الأمين ، ولما جاء المأمون استتر ثم استعطفه فمعا عنه .

كان معاويةُ يمشي مع أمه فعَثَرَ ، فقالت له :
قمْ لا رفَعَكَ الله — وأعرابيٌّ ينظر إليه — فقال : لم
تقولينَ له هذا ؟ فوالله إنني لأظنه سيُسدُّ قومه .
فقالت . لا رفَعَهُ الله إن لم يسُدْ إلا قومه .

قال محمدُ بنُ عبدِ الله بنِ عمرو بنِ عثمانَ :
جَمَعَتْنَا أمُّنا فاطمةُ بنتُ الحُسينِ عليه السلام فقالت :
يا بَنِيَّ إِنَّه والله ما نالَ أحدٌ من أهل السِّفَةِ بسفهِهم
شيئاً ، ولا أدركوهُ من لذَّاتهم إلا وقد ناله أهلُ
المروءات بمروءاتهم . فاستتبروا بيسْتَرِ الله .

لما قَصَدَ المعتضدُ (١) بني شيبانَ اصطَفَى منهم
عجوزاً سريعةَ الجوابِ فصيحَةً ، فكان يُغري بينها
وبين الجلساءِ . فجاءت يوماً فقعدت بلا إذْنٍ فقال لها
خفيفُ السَّمِرقندي الحَاجِبُ : أجلسينَ بين يدي أميرِ
المؤمنينَ ، ولم يأذنْ لكِ ؟ فقالت : أنت جَارٌ ذلك وحاجبه ،
كان يجبُ أن تعرفي ما أعملُ قبل دخولي إذْ لم تَكُنْ

(١) هو أحمد بن الموصي ، الخليفة العباسي ، تولى الخلافة سنة ٢٧٩ هـ
وتوفي سنة ٢٨٩ هـ ، وكان شجاعاً فاضلاً .

لي عادة" بمثله . ثم قامت . فتغافل المعتضد عنها فقالت :
يا سيداهُ ؛ أقيامٌ إلى الأبد ، فمضى بنقضي الأمد ؟
فضحك وأمرها بالجلوس . .

قالت هند بنت عتبة لأبي سفيان بن حرب لما
رجع مسلماً من عند رسول الله صلى الله عليه إلى مكة
في ليلة الفتح فصاح : يا معشر قريش ، ألا إنني قد
أسلمتُ ، فأسلموا ، فإن محمداً قد أتاكم بما لا قبيل
لكم به . فأخذت هند رأسه وقالت : بشس طليعة القوم .
والله ما خدشتُ خدشاً . يا أهل مكة . عليكم
الحمية (١) الدسم فاقتلوه .

وقالت هند : إنكما النساء أغلالٌ ، فليخزرج الرجل
غلاً ليده .

وذكرت هند بنت المهلب النساء فقالت : مازين
بشيء كأدب بارع تحته لب ظاهر .

وقالت أيضاً : إذا رأيتم النعم مستدرة فبادروا
بالشكر قبل حلول الزوال .

(١) الحميت : الزق . شبهته به إعظاماً لما قال .

قدمت ليلى الأخيائية على الحجاج ومدحته . فقال :
يا غلام ، أعطيتها خمسمئة ، فقالت : أيها الأمير ،
اجعلها أدماً (١) . فقال قائل : إنما أمر لك بشيء
قالت : الأمير أكرم من ذلك . فجعلها إبلاً إنثاء ،
استحياء . وإنما كان أمر لها بشيء أولاً .

كانت آمنة بنت سعيد بن العاص عند الوليد بن
عبد الملك ، فلما مات عبد الملك سعت بها إحدى
صرااتها إلى الوليد . وقالت : لم تبك على عبد الملك
كما بكّت نظائرها . فقال لها الوليد في ذلك : فقالت :
صدق القائل لك . أكنت قائية : يا ليتني بقي حتى
نقتل أخا لي آخر كعمرو بن سعيد .

كانت ابنة هانيء بن قسيصة عند لقيط بن زُرارة ،
فقتل عنها وتزوجها رجل من أهلها ، فكان لا يزال
سراها تذكر لقيطاً . فقال لها ذات مرة : ما استحسنت
من لقيط ؟ فقالت : كل أموره كانت حسنة . ولكنني
أحدثك إنه خرج مرة إلى الصيد وقد انتشى ، فرجع

(١) الأدم . البيض من الجمال ، وهي بما تدح .

إليّ وبضميصة تَضَحُّ من دَمِ صيده والمِسْكُ يَضُوعُ
 من أعطافه ، ورائحةُ الشرابِ من فيه . فضمي ضمةً
 وشمي شمةً ، فليتي كنت ميتاً ثمةً . قال : ففعل
 زوجها مثل ذلك تم ضمّها إليه وقال : أين أنا من لَقِيْط ؟
 فقالت : مالا ولا كصداء ، ومرعى ولا كالسعدان .

قالوا : كان ذو الإصبع العدواني (١) غيُوراً ،
 وكان له بنات أربع لا يزوجهنَّ غيرةً ، فاستمع عليهنَّ
 مرةً وقد خلَوْنَ يتحدثن . فذكرن الأزواجَ حتى
 قالت ، الصغرى منهنَّ : زَوْجٌ من عودٍ خيرٌ من قُعود .
 فخطبن فزوجهن .

ثم أمهلنَّ حَوَلاً ، ثم زارَ الكبرى فقال لها : كيف
 رأيتِ زوجك ؟ قالت : خيرٌ زوجٍ يُكرمُ أهله ، ويتنسى
 فضله . قال : حظيت ورضيت . فامألكُم ؟ قالت : خيرُ
 مال . قال : وما هو ؟ قالت : الإبلُ ، نأكل لحماًها
 مِرْعاً ، ونشرب ألبانها جُرْعاً ، وتحملنا وضعفَتنا معاً .
 فقال : زوج كريمٌ ومال عَمِيمٌ .

(١) ذو الإصبع العدواني . خرثان بن عمرو ، شاعر فارسي .
 شعراء الجاهلية .

ثم زار الثانية فقال : كيف رأيت زوجك ؟ قالت :
يكرمُ الحليّةَ ويقرب الوسيلة (١) ، قال : فما مالكم ؟
قالت : التقصّرُ قال : وما هي ؟ قالت : تألفُ الفينة ،
وتملأُ الإناء ، وتودك السقاء (٢) ، ونساءٌ مع نساء . قال :
رضيتِ وحظيتِ .

ثم زار الثالثة فقال : كيف رأيت زوجك ؟ فقالت :
لا سَمَحٌ بَدِرٌ ، ولا بَخِيلٌ حَكِيرٌ (٣) . قال : فما لكم ؟
قالت : المِعْزَى . قال : وما هي ؟ قالت : لو كنّا
نولدُها فُطْطَمًا ، ونسلخها أدمًا . لم نَبْعِ بِها نَعَمًا .
فقال : جَنُوةٌ مُغْنِيَةٌ (٤) .

ثم زار الرابعة فقال : كيف رأيت زوجك ؟
فقالت : شَرُّ زَوْجٍ ، يُكْرِمُ نَفْسَهُ ، وَيُهِنُ عِرْسَهُ .
قال : فما مالكم ؟ قالت : شَرُّ مالٍ ، الضَّانُ . قال :
وما هي ؟ قالت : جَوْفٌ يَشْبَعُنْ ، وَهَيْمٌ لَا يَنْقَعُنْ ،

(١) الوسيلة . الحاحه .

(٢) تودك : من الودك ، وهو الدم .

(٣) الحكير : السوء العشرة .

(٤) جَنُوةٌ : قطعة .

وصمُّ لا يسمعنَ ، وأمرَ مغويَّتهنَّ يتَّسعنَ (١) . فقال :
أشَّمةَ امرأَ بعضُ بزَّه (٢) . فارساها مثلاً

قال الأصمعي : قيل لامرأة : علامَ تمنعينَ زوجك
القيضة (٣) ؟ فإنه بعثلُ بك . فقالت : كذَّبتُ واللَّه ،
لني لأطاطيئُ الويسادَ وأرُخبي اللِّبادَ (٤) .

قال بعضهم : سمعتَ أعرابيةً بالحجاز ترقي رجلاً
من العين فقالت :

أعيذكَ بكلماتِ الله التامةَ ، التي لا تجورُ عليها
حامةٌ (٥) ، من شرِّ الجنِّ وشرِّ الإنسِ عامة ، وشرِّ
النظرةِ واللامَّة (٦) . أعيذكَ بمطلعِ الشَّمسِ ، من
شرِّ ذي مَشْيٍ هَمَسَ ، وشرِّ ذي نظري خَلَسَ ،

(١) أي إن الشاة الواحدة قد تمع فيمع ورامها باقي القطيع .

(٢) البز : الثياب .

(٣) القضة : أفرع العذراء

(٤) نوع من القباء ؛ أو هو اللود التي تمرس كاللباط .

(٥) الحامة : الواحدة من خناش الأرض نحو العقرب

(٦) اللامه . العين تصيب بالسوء

وشرُّ ذي قولٍ دسٍّ ، من شرِّ الحاسدينَ والحاسداتِ ،
والنَّافِسينَ والنَّافِساتِ ، والكائدينَ والكائداتِ .

نَشَرْتُ عَنْكَ بِنُشْرَةٍ نَشَّارٍ (١) ، عن رأسِكَ ذي
الأشعار ، وعن عَيْنَيْكَ ذَوَاتِي الْأَشْفَار ، وعن فِكَ
ذِي الْمَحَار (٢) ، وَظَهْرِكَ ذِي الْفَقَار ، وَبَطْنِكَ ذِي
الْأَسْرَار ، وَفَرْجِكَ ذِي الْأَسْتَار ، وَيَدَيْكَ ذَوَاتِي
الْأَظْفَار ، وَرَجْلَيْكَ ذَوَاتِي الْآثَار ، وَذِيكَ ذِي الْغُبَار ،
وعنكَ فَضْلاً وَذَا إِزَار ، وعن بَيْتِكَ فَرْجاً وَذَا أَسْتَار .
رَشَشْتُ بِمَاءٍ بَارِدٍ نَاراً ، وَعَيْنِينَ وَأَشْفَاراً ، وَكَانَ
اللَّهُ لَكَ جَاراً .

ذُكِرَ أَنَّ الْجُمَانَةَ بِنْتَ الْمَهَاجِرِ بْنِ خَالِدِ بْنِ الْوَالِيدِ
نَظَرَتْ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ وَهُوَ يَرْقَى الْمَنِيرَ ،
يَخْطُبُ بِالنَّاسِ فِي يَوْمِ جُمُعَةٍ فَقَالَتْ حِينَ رَأَتْهُ رَقَى الْمَنِيرَ :
أَيَا نَقَّارُ انْقُرْ . أَمَا وَاللَّهِ لَوْ كَانَ فَوْقَهُ نَجِيبٌ مِنْ
بَنِي أُمَيَّةَ ، أَوْ صَقَرٌ مِنْ بَنِي مَخْزُومٍ لَقَالَ الْمَنِيرُ :

(١) النشرة : الرقية ، ونشر عنه : رقاها .

(٢) المحار : إما بمعنى الصدف تشبيهاً للأستان به وإما بمعنى باطن الحنك

طَيْقُ طَيْق . قال : فَأُنْمِي كَلَامُهَا إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ
الزُّبَيْرِ ، فَبَعَثَ إِلَيْهَا فَأَتَى بِهَا فَقَالَ لَهَا : مَا الَّذِي بَلَغَنِي
عَنْكَ يَا لِكَتَّاعٍ ؟ قَالَتْ : الْحَقُّ أَبْلَغْتَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ،
قال : فَمَا حَمَلَكِ عَلَى ذَلِكَ ؟ قَالَتْ : لَا تَعْدُمُ الْحَسَنَاءُ
ذَا مَا (١) . وَالسَّخَطُ لَيْسَ بِرَاضٍ . وَمَعَ ذَلِكَ فَمَا عَدَوْتُ
فِيمَا قُلْتُ لَكَ أَنْ نَسْبُتُكَ إِلَى التَّوَاضُعِ وَالِدِينِ ،
وَعَدَوْتُكَ إِلَى الْخِيَلَاءِ وَالطَّمَعِ . وَلَئِنْ ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ
لَتَحْمَدَنَّ عَاقِبَةَ شَانِكَ ، وَلَيْسَ مَنْ قَالَ فَكَذَبَ كَمَنْ
حَدَّثَ وَصَدَّقَ . وَأَنْتَ بَالْتَجَاوَزِ جَدِيرٌ ، وَنَحْنُ لِلْعَفْوِ
أَهْلٌ ، فَاسْتُرْ عَلَيَّ الْحُرْمَةَ ، تَسْتَتِمُ النِّعْمَةَ ، فَوَاللَّهِ
مَا يَرْفَعُكَ الْقَوْلُ وَلَا يَضَعُكَ . وَإِنْ قَرِيشًا لَتَعْلَمُ
إِنَّكَ عَابِدُهَا وَشَجَاعُهَا ، وَسِنَانُهَا وَلِسَانُهَا ، حَاطَ
اللَّهُ لَكَ دُنْيَاكَ ، وَعَصَمَ أَخْرَاكَ ، وَاللَّهِمَّ شَكَرَ
مَا أَوْلَاكَ .

ذكر الأصمعي عن أبان بن تغليب (٢) قال : خرجتُ
في طلبِ الكتَّاءِ ، فأنتهيتُ إلى ماءٍ من مياهِ كَلْبٍ ،

(١) الذَّام : العيب ، والقول من الأمثال .

(٢) أبان بن تغلب ، فيه معروف وقارىء مشهور .

وإذا أعرابيٌّ على ذلك الماء ومعه كتابٌ منشورٌ يقرؤه
 عليهم ، وجعل يتوعدّهم . فقالت له أمّه وهي في خباثتها .
 وكانت مُتَعَدَّةً كِبَرًا : ويلَكَ ! دعي من أساطيرك .
 لا تحمِلْ عُقوبَتَكَ على من لمْ يحْمِلْ عليك ، ولا تتطاولْ
 على من لا يتطاولْ عليك . فإنك لا تدري ما يُقَرِّبك إليه
 حوادثُ الدهور ، ولعلَّ من صَيَّرَكَ إلى هذا اليوم أن
 يُصَيِّرَ غيرَكَ إلى مثله غدًا ، فينتقم منك أكثر مما
 انتقمت منه ، فاكفُفْ عما أسمع منك ألم تسمع إلى
 قول الأول (١) .

لا تحقِرَنَّ الفقيرَ عَمَلَكَ أن
 ترْكَمَ يوماً والدَّهْرُ قد رَفَعَهُ

قال مهدي بن أبان : قلت لولادة العبدية — وكانت
 من أعقل النساء — إنى أريد الحجّ فأوصيني . قالت :
 أوجِزْ فأبْلِغْ ، أم أطيلْ فأحْكِمْ . فقلت : ما شئت .
 قالت : جُدْ تَسُدْ . واصبرْ تَفز . قلت : أيضا قالت :
 لا يتعدَّ غضبك حِلْمَكَ ، ولا هواك عِلْمَكَ ، وقِ

(١) هو الأضبط بن قريع . شاعر جاهلي .

دينك بدنياك ، وفير عيرضك بعرضك ، وتفضل
تخدم ، واحلم تقدم .

قلت : غم استعين ؟ قالت : الله . قلت : من
الناس ؟ قالت : الجند النسيطة ، والناصح الامين .

قلت : ممن استشير ؟ قالت : المجرب الكيس ،
أو الأديب الصغير .

قلت : فدن استصحب ؟ قالت : الصديق المسلم ،
أو المداجي المتكرم . ثم قالت : يا أبتاه ، إنك تفيد
إلى ملك الملوك ، فانظر كيف يكون مقامك بين يديه .

روى أن رسول الله صلى الله عليه خرج ليلة هاجر
من مكة إلى المدينة وأبو بكر رحمه الله وعامر بن
فهيضة (١) ودلياهما اللائي عبد الله بن أريقط .
فمروا على خيمة أم معبد الخزاعية (٢) - وكانت
امراة برزة جلدة نحتني بفناء الكعبة ، ثم تسقي

(١) عامر بن فهيرة مولى أبي بكر ، من السابقين إلى الإسلام ، شهد
بدرأ واحداً ، وقتل يوم بدر معونة .

(٢) اسمها عائكة ، وهي أخت حبيش بن خالد .

وَتُطْعَمُ — فَسَأَلُولَهَا لَحْمًا وَتَمْرًا لِيَشْتَرَوْهُ مِنْهَا ، فَلَمْ يَعْصِيْبُوا
عِنْدَهَا شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ ، وَكَانَ الْقَوْمُ مُرْمِلِينَ مُسْنِينَ (١) ،
فَنَظَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ إِلَى شَاةٍ فِي كَيْسَرِ الْحَيْثَمَةِ .
فَقَالَ : مَا هَذِهِ الشَّاةُ يَا أُمَّ مَعْبُدٍ ؟ قَالَتْ : شَاةٌ خَلَّفَتْهَا
الْجَهْدُ عَنْ الْغَنَمِ . قَالَ : هَلْ بِهَا مِنْ لَبَنٍ ؟ قَالَتْ : هِيَ
أَجْهَدُ مِنْ ذَلِكَ . قَالَ : أَتَأْذَنِينَ لِي أَنْ أَحْلُبُهَا . قَالَتْ :
بِأَبِي وَأُمِّي أَنْتَ . نَعَمْ ، إِنْ رَأَيْتَ بِهَا حَلَبًا فَأَحْلُبْهَا . فَدَعَا
رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ بِالشَّاةِ فَمَسَحَ خَرْعَهَا ، وَسَقَى
اللَّهُ وَدَعَا لَهَا فِي شَاتِيهَا ، فَتَفَاجَّتْ (٢) عَالِيَهُ وَدَرَّتْ
وَأَخْتَرَتْ (٣) ، وَدَعَا بِإِنَاءٍ يُرْبِضُ الرَّهْطَ (٤) فَحَنَبَ
فِيهِ ثَجًّا (٥) حَتَّى غَلَبَهُ الشَّمَالُ (٦) . ثُمَّ سَقَاهَا حَتَّى
رَوَيْتَ ، وَسَقَى أَصْحَابَهُ حَتَّى رَوَوْا ، ثُمَّ شَرَبَ آخَرَهُمْ

-
- (١) أصابتهم السنة أي الفقر .
(٢) تفاجت : بالغت في تفريج رجلها .
(٢) اخترت : أكثرت .
(٤) يربض الرهط : يروهم ويشبعهم .
(٥) ثجا : لبنا سائلا كثيرا .
(٦) الشمال : جمع ثمالة وهي الرنوة .

وقال : سَأَتِي الْقَوْمُ آخِرُهُمْ شَرُّبًا . فشرَبوا جميعاً علَّالاً
بعدنَّهَل ، ثم أراضُوا (١) ، ثم حَلَب فيه ثانياً عَوْداً على
بَدْنٍ حتَّى مَلَأ الإِنَاء ، ثم غادره عندهما وباعِها وارْتَحَلوا
عنها .

كانت حميلةُ بنتُ النعمانِ (٢) بنِ بَشِيرِ بنِ سعدٍ
تحتَ رَوْحِ بنِ زَيْبَاعِ (٣) فنظر إليها يوما تنظرُ إلى قومه
جُلُام وقد اجتمعوا عنده فلامها . فقالت : وهل أرى
إلا جُلُداماً ؟ فوالله ما أحبُّ الحلالَ منهم فكيف الحرام .

قالت الجُمَانَةُ بنتُ قَيْسِ بنِ زُهَيْرِ العَبْسِيِّ لِأَبِيهَا
لَمَّا تَرَقَّ ما بَنَتْهُ (٤) وبين الربيعِ بنِ زيادِ (٥) في الدَّرْعِ :
دعني أناظرُ جدي ، فإن صلُح الأمرُ بينكما ، وإلا كنتُ
من وراء رأيك . فأذن لها ، فأثت الربيعُ فقالت : إن كان

(١) أراضه : صب اللبن على اللبن وروي .

(٢) شاعرة مجيدة ، كانت تهجو زوجها رَوْحَ بنِ زَبَاعِ .

(٣) رَوْحُ بنِ زَبَاعِ أميرُ فلسطين ، كان ذا رأيٍ مقدما عند
الخلفاء توفي سنة ٥٨٤ .

(٤) شرق : اختلط واضطرب .

(٥) الربيعُ بنُ زيادِ العبسي أحدُ شُجَمانِ العرب .

قَيْسٌ "أَبِي فَإِنَّكَ يَا رَبِيعُ جَدِّي ، وما يجبُ له من حقِّ
الأبوة عليَّ إلا كالذي يجب عليك من حقِّ البنوة لي .
والرأيُ الصحيحُ تبعثُهُ العنايةُ ، وتُجَلِّي عن متحضرٍ
النصيحةُ . إِنَّكَ قد ظلمتَ قيساً بأخذِ درْعِهِ ، وأجد
مكفأته إِيَّاكَ سوءَ غرمه ، والمُعَارِضُ مُنْتَصِرٌ ،
والبادي أظلم ، وليس قيسٌ ممَّنْ يخوَّفُ بالوعيد ولا
يردِّعُهُ التهديد ، فلا تركنْ إلى مُنْتابِلَتِهِ ، فالخزمُ في
مُتَارَكْتِهِ ، والحربُ مُتَشَلِّفَةٌ للعباد ، ذَهَابَةٌ بالطَّارِفِ
والتَّلَادِ ، والسَّلامُ أرخى للدا . وأبقى لأنفسِ
الرجالِ . وبحقِّ أقول ، لقد صدَّعتُ بِحُكْمٍ ، وما يدفعُ
قولي إلا غيرُ ذي فهم .

دخل عبد الله بن الزبير على أمِّه أسماءَ بنتِ أبي بكرٍ
في اليوم الذي قُتل فيه ، فقال : يا أُمّةُ : خذاني الناسُ
حتى أهلي وولدي ولم يبقَ معي إلا اليسيرُ ومن لا دَفْعُ
عنده أكثرَ من صبرِ ساعةٍ من النَّهارِ . وقد أعطاني القومُ
ما أردتُ من الدنيا فما وأيلُك ؟ قالت : إن كنتَ على
حقٍّ تدعو إليه فامضِ عليه ، فقد قُتل عليه أصحابُك ،
ولا تُمكنَنَّ من رقبَتِكَ غِلْمانُ بني أُمَيَّةَ فيتأخَّروا بك .

وإن قلت : إني كنتُ على حقٍّ فإمامًا ومِن أصحابي
صعفتُ نيتي فليسَ هذا فعلَ الأحرارِ ، ولا فعلَ
من فيه خير ، كم خلودك في الدنيا ؟ القتلُ أحسنُ ما تقعُ
به يا بنَ الزبير . والله لضربةٌ بالسيف في عزٍّ أحبُّ إليَّ من
ضربةٍ بسوطٍ في ذلٍّ .

قال لها : هذا والله رأيي ، والذي قمتُ به داعيًا إلى
الله . والله ما دعاني إلى الخروجِ إلاَّ الغضبُ لله عز وجل
أن تهتك محارمه . ولكني أحبتُ أن أطلعَ رأيك
فيزيدني قوةً وبصيرةً مع قوتي وبصيرتي . والله ما
تعمدْتُ إتيانَ مُنكرٍ ولا عملاً بفاحشة ، ولم أجُرْ
في حُكْمٍ ، ولم أغسرَ في أمان ، ولم يبلغني عن عمالي
فرضيتُ به . بل أنكرتُ ذلك ولم يكن شيءٌ عندي أثر
من رضا ربِّي .

اللهم إني لا أقول ذلك تزكيةً لنفسِي ، ولكن أقوله
تعزيةً لأنَّمي لتسلو عني . قالت له : والله إني لأرجو أن
يكون عزائي فيك حسناً بعد أن تقدمتني أو تقدمتك ،
فإن في نفسي منك حرجاً حتَّى أنظرَ إلى ما يصيرُ أمرك .

قَالَتْ : اللَّهُمَّ ارْحَمْ طَوْلَ ذَلِكَ النَّحِيبِ وَالظُّمَأِ
 فِي هَوَاجِرِ الْمَدِينَةِ وَمَكَّةَ وَبِرَّهُ بِأُمِّهِ . اللَّهُمَّ إِنِّي قَدْ سَلَّمْتُ
 فِيهِ لِأَمْرِكَ ، وَرَضِيتُ فِيهِ بِقَضَائِكَ ، فَأَتَيْبْنِي فِي عَبْدِ اللَّهِ
 ثَوَابَ الشَّاكِرِينَ . فَوَدَّعَهَا وَقَالَ : يَا أُمُّهُ لَا تَدَّعِي الدَّعَاءَ
 لِي قَبْلَ قَتْلِي وَلَا بَعْدَهُ . قَالَتْ : إِنْ أَدَّعَاهُ لَكَ . فَمَنْ قَتَلَ
 عَلَى بَاطِلٍ فَقَدْ قَتَلْتَ عَلَى حَقٍّ . فَخَرَجَ وَهُوَ يَقُولُ :
 فَلَسْتُ بِسُبُّتَاعٍ الْحَيَاةِ سُبَّةٍ

وَلَا مُرْتَقٍ مِنْ نَحْشِيَّةِ الْمَوْتِ سَلَامًا (١)
 وَقَالَ لِأَصْحَابِهِ : احْمِلُوا عَلَيَّ بِرَكَّةٍ اللَّهُ . وَحَارِبٍ
 حَتَّى فُتِلَ .

وَرُوِيَ أَنَّهُ دَخَلَ عَلَى أُمِّ أَسْمَاءَ وَهِيَ عَلِيَّةٌ ، فَقَالَ :
 يَا أُمُّهُ . إِنَّ يَ الْمَوْتَ لِرَاحَةٍ . فَقَالَتْ : يَا بَنِي ، أَعَلَيْكَ
 تَسْمَنِي مَوْتِي فَوَ اللَّهُ مَا أَحَبُّ أَنْ أَمُوتَ حَتَّى تَأْتِيَ عَلَيَّ أَحَدٍ
 لِرَفَائِكَ ، فَإِنَّمَا أَنْ تَنْظُرَ بَعْدُوكَ فَتَقَرَّ عَيْنِي وَإِنَّمَا أَنْ تُقَتِّلَ
 فَأَحْتَسِسَ . قَالَ : فَالْتَمَسْتُ إِلَى أَخِيهِ عُرْوَةَ (٢) وَضَحَكَ .

(١) البیت الحصین بن الحمام المری .

(٢) عروۃ بن الزبیر ، المدنی الفقیہ ، جمع العلم
 والسیادة وكان یسوم الدهر ، ولد سنة ٢٩ هـ وتوفي
 سنة : ٩٤ هـ .

فلما كان في الليلة التي قُتِلَ في صبيحتها دخل في
السحر عليها فشاورها ، فقالت : يا بُني لا تجيبن إلى
خُطَّة تخافُ على نفسك القتل . قال : إنما أخافُ
أن يُسمَّئوا بي . قالت : يا بني ، زِنِ الشاةَ لا تألَمِ
السَّخَّ بعد الذَّبْحِ .

حجَّت أمٌ حبيب بنتُ عبد الله بن الأَهْتَم فبعث
إليها الحسنُ بنُ علي بن أبي طالب عليهما السلام فخطبها ،
فقالت : إنني لم آتِ هذا البلد للتزويج ، وإنما جئت لزيارة
هذا البيت فإذا قدمت بالدي وكانت لك حاجةٌ فشاؤك .
قال : فازداد فيها رَغْبَةً ، فلما صارت إلى البصرة أرسل
إليها فخطبها ، فقال لإخوتها : إنها امرأة لا بُفَّتَاتُ
على مثلها برأي ، وأتوها فأخبروها الخبر ، فقالت : إن
تزوَّجني على حُكْمِي أجنته . فأدوا ذلك إليه فقال :
امرأةٌ من تميم ، أتزوجها على حُكْمِها . ثم قال : وما
عسى أن يبلغَ حُكْمُها لها ؟ قال : فأعطاها ذلك . فقالت :
قد حكمتُ بصادقِ أزواج النبي صلى الله عليه وبناته ؛
إنني عَشْرَ أوقية . فتزوجها على ذلك ، وأهدى لها مائة
ألفِ درهم . فجاءت إليه فبَسَنَى بها في ليلة قائظَةٍ على سطح

لا حظّارَ (١) عليه ، فلمّا غلبته عينه أخذت خيماها
فشدّته في رجله ، وشدّت الطرف الآخر في رجلها .

فلما انتبه من نومه رأى الحمار في رجله . فقال :
ما هذا ؟ قالت : أنا على سطح ليس عليه حظّار ، ومعي
في الدار ضرائر ، ولم آمن عليك وسنّ النوم ، ففعلتُ
هذا حتى إذا تحركت تحركت معك . قال : فازداد فيها
رغبة ، وبها عجباً . ثم لم يلبث أن مات عنها فكلّموها في
الصلح عن ميراثه . فقالت : ما كنت لأخذه له ميراثاً أبداً ،
وخرجت إلى البصرة ، فبعث إليها نفر يخطبونها منهم
يزيد بن معاوية وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص (٢)
وعبد الله بن عامر (٣) فاتّاهوا إخوانها فقالوا لها : هذا ابنُ
أمير المؤمنين ، وهذا ابن عمّة رسول الله صلى الله عليه ،
وهذا ابن حواريّه ، وهذا ابنُ عامر أمير البصرة .

(١) الحظّار بفتح الحاء وكسر ها : بناء يمنع السقوط من السطح .

(٢) سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص الأموي ، قائد وأمير شجاع
افتتح طبرستان ، توفي سنة ٥٥٩ .

(٣) عبد الله بن عامر الأموي أمير قائد ولاء عثمان على العراق وافتتح
خراسان وأطراف فارس وتوفي سنة ٥٥٩ .

المختاري من شئت منهم . قال : فردّتهم جميعاً . وقالت :
« ما كنت لأتخذ حماً بعد ابن رسول الله صلى الله عليه .

وقال المدائني : أتى عبيد الله بن زياد (١) بامرأة
من الخوارج ، فقطع رجلها وقال لها : كيف ترين ؟
فقلت : إن في الفكر في هول المطلق لشغلاً عن
حد يدتك هذه . ثم قطع رجلها الأخرى وجدّ بها ،
فوضعت يدها على فرجها . فقال : إنك لتسترينه .
فقلت : لكن سميّة أمك (٢) لم تكن تستره .

قال المهدي للخيزران أم موسى وهارون ابنيه :
إن موسى ابنك يتيه أن يسألني حوائجه . قالت : يا أمير
المؤمنين ، ألم تك أنت في حياة المنصور لا تبدئه بحوائجك
وتحب أن يتدلك هو ؟ فموسى ابنك كذلك يحب
منك . قال : لا ، ولكن التيه يمنعه . قالت : يا أمير
المؤمنين ، فمن أين أتاه التيه ؟ أمن قبلي أم قبلك ؟

(١) عبيد الله بن زياد ، الذي أرسل الجيش للبعين فقتله ، ولي العراق
بعد أبيه ، قُتل بالمختار الثقفي سنة ٨٦٧ هـ .
(٢) تريد : أم أبيه زياداً .

روي عن بعضهم أنه قال : بينا أنا ذات يوم بالبادية ،
فخرجت في بعض الليالي في الظَّأَم ، فإذا أنا بجاريةٍ
كانتَها عَلم ، فأردتها على نفسها فقالت : ويحك !
أمالك زاجرٌ من عقلٍ إذ لم يكن لك ناهٍ من دينٍ ؟
قلت لها : والله ما يرانا شيءٌ إلا الكواكب . قالت :
ويحك . وأين مكوكبها ؟ !

قال الحافظ : لما مات رَقَبَةُ بن مَصْقَلَةَ (١) أوصى
إلى رجلٍ ودفع إليه شيئاً . فقال : ادفعه إلى أختي .
فسأل الرجلُ عنها فخرجت إليه فقال لها : أحضريني
شاهدين يشهدان أنك أخته . فارتلت جارتها إلى الإمام
والمؤذن ليشهدا لها . واستندت إلى الحائط . فقالت :
الحمد لله الذي أبرزَ وجهي ، وأنطقَ عني ، وشهرَ
بالفاقة اسمي . فقال الرجل : شهدت أنك أخته حقاً .
ودفع الدنانير إليها ، ولم يتحشجْ إلى شهادةٍ من يشهد لها .
خطب سعيدُ بن العاص عائشةَ بنتَ عثمان . فقالت :
لا أتزوجُ به والله أبداً ، فقيلَ لها : ولم ذلك ؟ قالت :

(١) رَقَبَةُ بن مَصْقَلَةَ العبدِي الكوفي ، من سادات العرب ، كان ثقة

مفوهاً ، توفي بعد سنة ٥١٤٠ .

لأنه أحرق ، له برذونان أشهبان ، فهو يتحمل مؤونة
اثنين واللون واحد .

ذكر رجل من قريش سوء خلق امرأته بين يدي
جارية له كان يستحفظها فقالت له : إنما حُظوظُ
الإماء لسوء خلأئقِ الحرائر .

اختلف الحجاج وهند بنت أسماء بن خارجة
في بنات قَيْنٍ ، فعث إلى مالك بن أسماء (١) فأخرجه
من الحبس ، وسأله عن الحديث فحدثه ثم أقبل على هند .
فقال لها : قومي إلى أخيك . فقالت : لأقوم إليه وأنت
ساخطٌ عليه . فأقبل الحجاجُ على مالك فقال : إنك والله -
ما علمت - للخائن لأمانته ، اللئيم حسنه ، الزاني
فرجه . فقالت هند : إن أذن الأميرُ تكلمت فقال :
تكلمي . فقالت : أما قول الأمير : الزاني فرجه ،
فوالله لهو أحقرُ عند الله وأصغرُ في عين الأمير من أن
يتجيبَ الله عليه حدٌ فلا يقيمه .

(١) مالك بن أسماء بن خارجة الفزاري شاعر من الأشراف ،
توفي سنة ثيف ومائة هجرية .

وأما قول الأمير : اللئيمُ حسبُهُ فوالله لو علمَ
مكانَ رجلٍ أشرفَ منه لصاهرَ إليه .

وأما قوله : الخائنُ أمانته . فوالله لقد ولّاه الأميرُ
فوفراً ، فأخذَه بما أخذَ به فباعَ ماواره ظهْرَه . ولو
ملكَ الدنيا بأسرها لافتدى بها من مثل هذا الكلام .
أتى البردُ على زرعٍ عَجوزٍ بالبادية ، فأخرجت
رأسها من الخباء ونظرتُ إلى الزرع قد احترق فقالت -
ورفعت رأسها إلى السماء - : اصنعْ ماشئتَ فإنَّ رزقي
عليك .

قيل لرابعة (١) : إنَّ التزوجَ فرضُ الله عز وجل فلم
لا تتزوجين ؟ فقالت : فرضُ الله قطعني عن فرضه .
كانت عاتكةُ بنتُ زيد بن عمرو بن نفيل (٢) عند
عبد الله بن أبي بكر الصديق رضي الله عنه فقتلَ عنها ،
فخلفَ عليها عمرُ بن الخطاب فقتلَ عنها ، فخلفَ عليها

(١) رابعة العدوية العابدة الزاهدة ولدت سنة ١٠٠هـ وتوفيت سنة ١٨٠هـ

(٢) عاتكة بنت زيد القرشية العدوية ، كانت من المهاجرات

للمدينة ، كانت تحمض صلاة الجماعة في المسجد .

الزبير ، فقتل ، فخلف عليها محمد بن أبي بكر فقتل (١) .
 فقال عبد الله بن عمر : من سره الشهادة فليتزوج عاتكة .
 فبلغها ذلك فقالت : من سره أن يكون بيضة البلد ، حُبلى
 لا تطير ولا تلد ، فليكن كعبد الله . فبلغ ذلك عبد الله بن
 جعفر الطيار (٢) فضحك وقال : ما هو كما قالت إنه
 لمصباح بلد ، وابن كَهْف الإسلام .

وقد روي عن أمير المؤمنين كرم الله وجهه أنه قال :
 من اشتاق إلى الشهادة فليتزوج عاتكة .

قال بعضهم : مررت على هند بنت المهلب ، فرأيت
 يدها مغزلاً تغزل به ، فقلت لها : تغزلين ؟ قالت :
 نعم سمعت أبي يذكره عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
 قال : « أعظم كن أجراً أطول كن طاقة ، وهو يطرد
 الشيطان ويذهب بهديث النفس » .

(١) هو : ابن أبي بكر الصديق ، ولي مصر من قبل علي ، أرسل
 إليه معاوية حشاً فهزم ، وقتل سنة ٥٣٨ .

(٢) أحد أجواد العرب ، ولد بالحيرة ، وهو آخر من رأى الرسول
 من بني هاشم . توفي سنة ٥٨٠ .

وردوي عن عائشة أنها قالت : الميغزلُ في يد المرأة
مثلُ الرُّمَحِ في يد الغازي .

قيل للخنساء : لم يكن صخرٌ كما وصفتِ . قالت :
وتكيف ذاك ؟ فوالله لقد كان نديي الكفَّين ، يابسَ
الحنين ، يأكلُ ما وجدته ، ولا يسأل عما عهده .

قيل لحبى (١) المدينة : ما السقم الذي لا يبرأ ، والجرح
الذي لا يندمل ؟ قالت : حاجةُ الكريم إلى اللئيم لا يُجدي
عليه . قيل : فما الشرف ؟ قالت : اعتقادُ المينن في
أعناق الكرام ، يبقى للأعقاب على الأحقاب .

ذكرت نساءً أزواجهن فقالت إحداهن : زوجي
عوني في الشدائد ، والعائِدُ دونَ كلِّ عائِد ، إن
غضبتُ عطُف ، وإن مرضتُ لطُف .

وقالت الأخرى : زوجي لما عتاني كافٍ ، ولما
أسقمتني شافٍ ، عناقهُ كالخلد ، ولا يملُّ طولُ العهد .

(١) حبى المدينة امرأة كانت مزواجا على كبر سنهما .

وقالت الأخرى زوجي الشعار^(١) حين أُجردُ ،
والأنسُ حين أُفردُ ، والسكَنُ حين أُرقدُ .

قال بعضهم : رأيتُ بالمدينة امرأةً بين عينيها
سَجَّادَةٌ ، وعليها ثيابٌ مُعَصْفَرَةٌ ، فقلتُ لها : ما أبعد
زيَّكِ من سَمَّتِكِ ! فقالت :

وللهِ مِنِّي جانبٌ لا أُضِيعُهُ
وللهِ مِنِّي جانبٌ ونصيبُ

قال الزبير بن بكار^(٢) : قالت بنتُ أُختي لزوجي :
خالي خيرُ رجلٍ لأهله ، لا يتخذُ ضرةً ولا يشتري
جارية . فقالت المرأة : واللهِ لهذه الكُتُوبُ أشدُّ عليَّ من
ثلاثِ ضرائرٍ .

حجَّتُ فاطمةُ بنتُ الحرَّشَبِ الأَنْماريةُ أمُّ الكَمَلَةِ ،
الربيعِ وعِمارةَ وقيسَ وأنسَ ، وكانت حجتها هذه في
الجاهلية ، فقال لها رجلٌ من أهل مكة : من أشرفُ

(١) الشعار : الثوب الذي يلبس على الجسد ويلى الشعر فيه .

(٢) الزبير بن بكار الزبيري ، قاضي مكة ، إخباري مؤلف ،

توفي سنة ٢٥٦ هـ .

ولذلك ؟ قالت : الربيعُ . لا بل عمارةٌ . لا بل قيسٌ .
لا بل أنسٌ . فكَيَاتُهُمْ إن كنتُ أدري أيُّهم أسودٌ .

وكان يقالُ للربيع الكامل ، ولأنس الطويل ، ولقيس
الوقتاعة ، ولعمارة دالِق ولأما قيل له ذلك أنه كان
يَدُلُّق الحَيْلَ في كل وجه .

خرجَ محمدٌ بن واسع (١) في يوم عيد ومعه رابِعةٌ :
فقال لها : كيف ترين هذه الهيئة ؟ فقالت : ما أقولُ
اكم ؟ خرجتُم لإحياءِ سُنَّةٍ وإماتةِ بِدْعَةٍ ، فأراكم قد
تباهيتُم بالنَّعمةِ ، وأدخلتُم على الفقير مَضْرَّةً .

قالت امرأةٌ من بني تغلب للجَحَّاف بن حَكيم (٢)
في وقعة البشر التي يقول فيها الأخطل . :

لقد أوقعَ الجَحَّافُ بالبِشْرِ وقعةً
إلى اللهِ فيها المشتكى والمعوَّلُ
فَضَّ اللهُ عمادَكَ ، وأكْبَى زِنَادَكَ ، وأطالَ

(١) محمد بن واسع الأزدي من الورعين العباد . توفي سنة ٨١٢٣ .

(٢) الجحاف بن حكيم بن عاصم السلمي ، عاش في أيام عبد الملك بن
مروان ، وله حروب مع بني تغلب .

سُهِدَاكَ ، وَأَقْلَ زَادَكَ ، فَوَاللَّهِ إِنْ قَتَلْتُ
إِلَانِسَاءَ أَصَابِلُهُنَّ دُمِّي وَأَعَالِيَهُنَّ نُدْيِي — وَكَانَ قَدْ
قَتَلَ النِّسَاءَ وَالذُّرِّيَّةَ — فَقَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ : لَوْلَا أَنْ تَلِدَ
مِثْلَهَا لَأَسْتَبْقِيَتْهَا وَأَمَرَ بِقَتْلِهَا . فَبَلَغَ ذَلِكَ الْحَسَنَ الْبَصْرِيَّ
فَقَالَ : إِنَّمَا الْجَحْدَافُ جَذْوَةٌ مِنْ نَارٍ جَهَنَّمَ .

قال أبو عمرو بن العلاء (١) : خرجت ذات ليلة أطوف ،
فإذا أنا بامرأة قد فضح وجهها ضوء القمر متعلقة وهي
تقول : إلهي ! أما وجدت شيئا تُعَذِّبُ به إلا النار .
ثم ذهبت ، فتمت ثم عدت فوجدتها وديدها أن تقول
ذلك . قلت : لو عذَّب بما سوى النار ، فكان ماذا ؟
قالت : يا عمته ! أمّا واللّهِ لو عذَّب بغير النار
أقمضينا أوطاراً .

قال بعضهم : كنت عند فاطمة بنت المهلب أعرض
عابها طيباً فقممت وتركت المتاع بين يديها ، فلما جئت
قالت : بيأس ما صنعت ، لا تأمن امرأة قط على رجل
ولا على طيب .

* * *

(١) قيل : اسمه كنيته ، وقيل : اسمه زبان بن جبر ، عالم أهل
البصرة ، ومن أوسعهم علماً بكلام العرب ، توفي سنة ١٥٤ هـ .

الباب الثالث

الحيل والنخداع

قدّم بعضهم رجلاً إلى القاضي وادّعى عليه مالا فقال : صدّقوا ، أسألهم أن يؤخروني حتى أبيع مالي أو عقاري أو رقيقتي أو أجلي . فقالوا : كذب أيها القاضي . ماله قليل ولا كثير . ولكنه يريد مدافعتنا فقال : أصلحك الله . فقد شهدوا بالعدم . فخلّى سبيله .

قال بعضهم : خرجت ليلة فإذا أنا بالطائف قد أقبل : فلما رأيته من بعيد صحت : المستغاث بالله وبالطائف فقال لي الطائف : مالك ؟ قلت : قوم سكارى في بيتي قد عربدوا ، وسلّوا السكاكين ، وجئت في طلبك لتخاطبني منهم فقال : امش بين يدي . فمشيت ودخلت البيت ، وأغلقت الباب ، وصعدت السطح ، وتطلّعت عليه وقلت : انصرف مأجوراً فقد تصالحوا .

سُئِلَ بعضهم عن رجل أرادوا أن يزوجه فقال :
 إِنَّ لَهُ شَرَفًا وَبَيْتًا وَقَدَمًا (١) فنظروا فإذا هو ساقطٌ .
 سَفَلَةٌ . فقليل له في ذلك ، فقال : ما كذبت . شرفه
 أَذَنَاهُ ، وَقَدَمُهُ التي يمشي عليها ، ولا بد من أن يكونَ
 له بيتٌ يأوي إليه .

١١ بايع الرشيدُ وَلَدَهُ تَخَلَّفَ رجلٌ مذكورٌ من
 الفقهاء ، فأحضره وقال له : لِمَ تَخَلَّفْتَ عن البيعة ؟
 قال : عاقبني يا أميرَ المؤمنين عائقٌ . فأمر بقراءة كتاب
 البيعة عليه . فلما قُرِئَ قال : يا أميرَ المؤمنين هذه البيعةُ
 في عَنَمِي إلى قيامِ السَّاعَةِ . فلم يفهم الرشيد ما أراد ،
 وقدَّرَ أَنَّهُ يريدُ إلى قيامِ السَّاعَةِ . وذهب ما كانَ في
 نفسه عليه .

فيل لبعض الفقهاء : لم استجَزْتُمْ استعمال الحَيْثَلِ
 في الفقه ؟ فقال : اللَّهُ تعالى عَلَّمَنَا ذلكَ فَإِنَّهُ قَالَ :
 « وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِبْ بِهِ وَلَا تَحْنُثْ (٢) » .

(١) القدام : السانقة

(٢) سورة ص : ٤٤ ، وفي التفسير . أن سيدنا أيوب حلف
 ليضرب امرأته مئة سوط فقال له الله تعالى : خذ حزمة فيها مائة حود
 فاضربها بها صرقة واحدة . ، والضغث : الشمراخ .

جحد رجلٌ مالَ رجلٍ فاحتكمَ إلى إياس بن معاوية (١) فقال للطَّالِب : أين دفعتَ إليه هذا المال ؟ قال : عند شجرة في مكان كذا . قال : فانطلقْ إلى ذلك الموضعِ لعلَّكَ تتذكرُ كيفَ كانَ أمرُ هذا المال ، واعلِّ الله يوضحُ لك سبباً . فمضى الرجلُ وتخصمهُ فقال إياس بعد ساعة : أترى خَصَمَكَ بلغَ موضعَ الشجرة . قال : لا بَعْدُ . قال : يا عدوَّ الله ، أنتَ خائن . قال : أفلني أقالك الله . فاحتفظَ به حتى أقرَّ وردَ المال .

قال معاويةُ لعمرُو : أنتَ أدهى أم أنا ؟ قال عمرو : أنا للبلدِيهِ وأنتَ للأناة . قال : كلا . قال عمرو : أدنِ منِّي رأسَكَ أسأركَ ، فأدنى رأسَه فقال عمرو : هذا من ذلك . هل ها هنا أحدٌ غيرك .

قال المغيرةُ بنُ شعبةَ : ما خدعني غيرُ غلامٍ من بني الحارثِ بنِ كعب . فلإني ذكرتُ امرأةً منهم فقال : أيها الأميرُ لا خيرَ لكَ فيها . قلت : ولم ؟ قال : رأيتُ

(١) إياس بن معاوية فاضلي الصرة ، يصرّب بدكائه المثل ، توفي

رجلاً يقبلها . فأضربتُ عنها فتروَّجَّها الفتي . فأرسلتُ
إليه : ألم تعلمتي كذا وكذا من أمرها . قال : بلى رأيت
أباها يقبلها .

كان لعبد الله بن مطيع غلامٌ مؤلَّدٌ قد أدَّبه
وخرَّجه وصيره قهرمانه ، وكان أتاهاهم قومٌ من العدو
في ناحية البحر . فرآه يوماً يبكي فقال : مالك ؟ قال :
تمنيتُ أن أكون حراً ، فأخرجُ معَ المسلمين . قال :
ومحب ذاك ؟ قال : نعم . قال : فأنت حرٌّ أوجه الله
فأخرج . قال : فإنه قد بدَّأ لي ألاٌ أخرج . قال :
تخدعتني والله .

كان عُمَرُ بنُ هُبَيْرَةَ (١) أمياً لا يقرأ ولا يكتب .
وكان إذا أتاه كتاب فتحه ونظرَ فيه كأنه يقرؤه فإذا
نهض من مجلسه حُمِلَتِ الكتُبُ معه . فيدعو جاريةً
كاتبه ويدفع إليها الكتُبَ فتقرؤها عليه ويأمرها فتوقعُ
بما يريد ، ويُخرج الكتاب ، فاسترابَ به بعضُ كُتَّابِهِ
فكتب كتاباً على لسان بعض العمال وطواه مُسَكَّساً أعلاه

(١) أمير العراقيين : عزله هشام سنة ٨٩٧ ، وتوفي حوالي سنة ٩١٣ هـ .

إلى أسفله ، فلمّا أخذَهُ ونظرَ فيه ولم ينكرهُ تحقّق
أنّه أُمّيّ .

قال بعضُ القُصّة لرجل : كيف أقبلُ شهادتك
وقد سمعتك تقول لمغنيّة : أحسنت ؟ قال : أليس إنّما
قلتُ ذلك بعد سكوتها . فأجاز شهادته .

أتى معنُ بنُ رائدةَ (١) بثلاث مئة أسيرٍ من
حضرموت فأمرَ بضرب أعناقهم ، فقام منهم غلامٌ حين
سالَ عِذاره فقال : أنشدك الله أن تقتلنا ونحن عيطاش
فقال : استقوهم ماء فلمّا شربوا قال : اضربوا أعناقهم .
فقال الغلام : أنشدك الله أن تقتلَ ضيّهانك . قال :
أحسنت . وأمر باطلاقهم .

كان بالأهواز رجل له زوجة ، وكانت له أرضٌ
بالبصرة ، فكان يُكثّر الانحدارَ إليها فارتابت زوجته
وتتبعت أثره ، فوقفَت على أنّه قد تزوّج بالبصرة
فاحتالت حتّى صار إليها خطٌّ عمّ البصريّة ، وبعثت

(١) أمير قائد شجاع ولي سبستان رقتله الخوارج سنة ١٥١ هـ .

به إلى رجل يحكي كلَّ خطِّ رآه ، وأجازته ، حتى
كتب كتاباً عن لسان عمِّ البصريَّة إلى روحها بذكر أنَّ
المرأة قد ماتت ، ويسأله التعجيلَ إليه لأخذ ما تركتُ
وسمِّيَ مالها وجاريتهَا . ودَسَّتِ الكتابَ مع ملاحٍ
قدم من البصرة ، فلما وصل إليه الكتابُ قرأه فلم يشكَّ
فيه ، ودخل وقال لامرأته : اعلمي لي سُنَّة . قالت :
ولم ؟ قال : أريدُ البصرة . قالت : كم هذه البصرة ؟ !
قد رابني أمرُك . لعلَّ لك بها امرأة ، فأنكر ، فقالت :
احلفني . فحلف أن كلَّ امرأة لهُ غيرها طالقٌ ، سكوناً
إلي أن تلك قد ماتت ، وما يضرُّه ذلك . فليستَ حلف
قالت : دَعِ السُّنَّة . قد أغناك الله عن البصرة . قال :
وما ذاك ؟ قالت : قد طلَّقت الماسقة . وحدَّثته بالقصة
فندم .

قال الأعمش (١) : أخبرني تميمُ بنُ سلمة أن رجلاً
شهد عند شُرَيْح (٢) وعليه جُبَّةٌ ضيقةٌ الكُمَيْنِ .

(١) سليمان بن مهران الأعمش ، محدث الكوفة وعالمها ، كان له
دعابة ، توفي سنة ٥١٤٨ .
(٢) ابن الحارث الكندي ، ولي القضاء لعمر وتوفي سنة ٥٧٨ .

فقال شريح . أتتوضأ عليك جبتك هذه ؟ احسر عن
دراعتك . فحسر ، فلم يبلغ كُفَّ جُبَّتِهِ إلى نصفِ السَّاعدِ .
وردَّ شهادته .

فدَّعَتْ امرأةٌ روجَهَا إلى أبي عمر القاضي ، وادَّعَتْ
عَليه مَالاً . فاعترف به فقالت : أيتها القاضي خُذْ بِحَقِّي
ولو بحسبه . فتأخَّضَ لها لثلاثِ تحبسه ، فأبَتْ إِلَّا ذَلِكَ ،
فأمر به ، فاما مَنَى خُطُواتِ صاحِ أبُو عمر بالرجل وقال
له : أَلَسْتَ مَرِيئاً لَا يَصْبِرُ عَلَى النِّسَاءِ ؟ فغَطَّيْنَ الرَّجُلُ
فقال : بلى أصلح الله القاضي . فقال : خذْها معك إلى
الحبس . فلمَّا عرفتِ الحَقِيقَةَ ندمتْ على لَجَاجِهَا
وقالت : ما هذا أيتها القاضي ؟ قال : لَكَ عَلَيْهِ حَقٌّ ،
وَاهِ عَلَيْكَ حَقٌّ . وَهَذَاكَ عَلَيْهِ لَا يُبْطَلُ مَالُهُ عَلَيْكَ .
وعادت إلى السَّلَاسَةِ والريضا .

أخذ عبدُ الملك رجلاً كان يرى رأيَ الخوارج
فقال له : أَلَسْتَ الْقَائِلُ :

وَمِنْهَا سَمَوِيدُ وَالْبَطِينُ وَقَعْنَبُ
وَمِنْهَا آمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ شَسْبِيبُ

فقال : إنما قلت : ومنا أمير المؤمنين وناديتك ،
فخلّني سبيله .

كان يختلف إلى أبي حنيفة رجلٌ يتحمّل بالستر
الظاهر ، والسمت البين فقدم رجلٌ غريبٌ وأودعه
مالاً خطيراً ، وخرج حاجاً ، فلما عاد طالبه بالوديعة
فجّحه . فألح الرجلُ عليه فتجادى ، فكاد صاحِبُ
المالِ يتهمُ ، ثم استشار ثِقَةً له فقال له : كُفْ
عنه ، وصِرْ إلى أبي حنيفة ، فدواؤك عنده .
فانطلق إليه وخلا به وأعلمه شأنه ، وشرح له
قصته فقال له أبو حنيفة : لاتُعالم بهذا أحداً ، وامض
راشداً ، وعُدْ إليّ غداً . فامّا أمسي أبو حنيفة جالساً
كعادته للناس . وجعل كما سئل عن شيء تنفّس
الصُّعداء . ف قيل له في ذلك فقال : إن هؤلاء - يعني
السلطان - قد احتاجوا إلى رجلٍ يبعثونه فاضياً إلى مكان .
وقالوا لي : اختر من أحببت . ثم أسبل كُمّه وخلا بصاحب
الوديعة ، وقال له : أترغبُ حتى أسمىاك . فذهب
يتمنع تحلية . فقال له أبو حنيفة : اسكت فاني أبلغُ

لك ما تحب . فانصرف الرجل مسروراً يظن الظنون
بالجاء العريض ، والحال الحسنة .

وصار ربُّ المال إلى أبي حنيفة فقال : امض إلى
صاحبك ولا تخبره بما بيننا ، وادَّعُ بذكري وكفَّالك ،
فمضى الرجلُ واقتضاه وقال له : ارددْ علي مالي وإلا
شكوتك إلى أبي حنيفة . فلما سمع ذلك وفاته المال .
وصار الرجلُ إلى أبي حنيفة وأعلمه رجوع المال إليه
فقال له : استره عليه .

ولما غدا الرجلُ إلى أبي حنيفة طامعاً في القضاء نظر
إليه أبو حنيفة وقال له : نظرتُ في أمرِكَ فرفعتُ قدركَ
عن القضاء .

أنسى وكيعُ بنُ أبي سودٍ (١) إياسَ بن معاوية وهو
قاصٍ ليشهد عنده بشهادة . فقال : مرحباً بك يا أبا
ميطرف ، ما جاء بك ؟ قال : جئت لأشهد . قال : مالك
والشهادة . إنَّما يشهد الموالي والتجار والسُّقَّاط . قال :

(١) وكيع بن حسان بن أبي سود التميمي ، ولي خراسان بعد تنبئة
ابن مسلم حتى نزعها منه يزيد بن المهلب .

صَدَقْتُ وَانصَرَفَ . فَفِيلٌ لَهُ : خَدَعَكَ وَلَمْ يَقْبَلْ شَهَادَتَكَ
وَرَدَّكَ . فَتَالُ : لَوْ عَلِمْتُ لَعَاوَتَهُ بِالْقَضِيبِ .

كَانَ أَبُو بُرْدَةَ (١) وَلِيَّ الْقَضَاءِ بَعْدَ الشَّعْبِيِّ (٢) بِالْكُوفَةِ .
فَكَانَ يَحْكُمُ بِأَن رَجُلًا لَوْ قَالَ لِمَعْلُوكٍ لَا يَمْلِكُهُ : أَنْتَ حُرٌّ .
أَنَّهُ يُسْتَعْتَقُ وَسُؤُوحَدُّ الْمَعْتِقِ بِتَمَنِّهِ .

قَالَ : فَعْتَقَ رَجُلًا مِنْ بَنِي عَبَسَ جَارِيَةً بِلَحَارٍ لَهُ
فَجُنَّ بِهَا وَجَنَّتْ بِهِ ، وَكَانَ يَشْكُو ذَاكَ إِلَيْهَا . فَاتَّقِيهَا
يَوْمًا فَقَالَ لَهَا : إِلَى اللَّهِ أَشْكُو . قَالَتْ : بَلَى وَاللَّهِ إِنَّ لَكَ
لِحِيلَةً ، وَلَكِنَّكَ عَاجِزٌ . هَذَا أَبُو بُرْدَةَ يَقْضِي فِي الْعَتَقِ
بِمَا قَدْ عَادَتْ . فَقَالَ لَهَا : أَشْهَدُ إِنَّكَ لَصَادِقَةٌ .

ثُمَّ قَدَّمَتْهَا إِلَى مَجْلِسٍ يَتَجَمَّعُ فِيهِ قَوْمٌ يَعَادِلُونَ فَقَالَ :
هَذِهِ جَارِيَةٌ آلُ فُلَانٍ أَشْهَدُكُمْ أَنَّهَا حُرَّةٌ . فَأَلْقَتْ مَا حَمَلَتْهَا
عَلَى رَأْسِهَا . وَبَلَغَ ذَلِكَ مَوَالِيَهَا فَجَاؤُوا فَفَدَّوْهُمْ إِلَى أَبِي
بُرْدَةَ وَفَدَّوْهُمُ الرِّجْلَ فَأَنْفَذَ عَيْنَقَهَا ، وَأَلْرَمَ الرَّجُلَ ثَمَنَهَا ،
فَلَمَّا أَمَرَ بِهِ إِلَى السِّجْنِ خَافَ إِذَا مَسَلَتْ أَمْرَهَا أَنْ تَصِيرَ

(١) أَبُو بُرْدَةَ بْنُ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيُّ قَاضِي الْكُوفَةِ . تَوَفَّى سَنَةَ ١٠٤ هـ

(٢) عَامِرُ بْنُ سِرَاحِلٍ الشَّعْبِيُّ ، عَالِمٌ دِمَاقِيٌّ ، وَلَدَ لَسْتِ سَنِينَ مِنْ

خِلَافَةِ عُمَانَ وَتَوَفَّى سَنَةَ ١٠٤ هـ

إلى أول مَنْ يطلبها ، وأن تخيبَ فيما صنع في أمرها .
فقال : أصلح الله القاضي ، لابدَّ من حبيبي ؟ قال : نعم
أو تُعْطِيَهُمْ ثَمَنَهَا . قال : وليس مثلي يُحِبُّسَ نِي شَيْءٍ
يسير . أشهدُكم أنني قد أعتقتُ كلَّ مملوكٍ لأبي بِرْدَةَ .
وكل مملوكٍ لآل أبي موسى ، وكل مملوكٍ للمذحج .
فخلتُ سبيله ، ورجعَ عن ذلك القضاء فلم يحكم به .

كتب معاوية إلى عمرو بن العاصِ والمغيرة بن
شُعْبَةَ أن يقدمَا عليه ، فقدم عمرو من مصرَ والمغيرة
من الكوفة فقال عمرو للمغيرة : ما جمعنا إلا ليعزلنا ،
فإذا دخلت عليه فاشك الضعفَ واستأذنه أن تأتي الطائفَ
أو المدينةَ ، فإنني إذا دخلت عليه سألتُه ذلك فإنه يظنُّ
أنا نريد أن نُفسد عليه .

فدخل المغيرة فسأل أن يُعْفِيَهُ ويأذن له . ودخل
عليه عمرو فسأله مثلَ ذلك . فقال له معاوية : قد تواطأتما
على أمر ، وإنكما لتريدان شرّاً . ارجعا إلى عمليكما .
كان الإسكندرُ لا يدخلُ مدينةً إلاَّ هدمَهَا وقتلَ
أهلها حتَّى مرَّ بمدينة كان فيها مودِبُّه . فخرج إليه

وَالْطَّلَفَةُ الْإِسْكَندَرُ وَأَعْظَمَتْهُ فَقَالَ لَهُ مُؤَدَّبُهُ : إِنْ أَحَقَّ
 مِنْ زَيْنَ رَأْيِكَ وَسَدَّدَهُ وَأَتَى كُلَّ مَا هَوَيْتَ لَنَا ، وَإِنْ
 أَهْلَ هَذِهِ الْمَدِينَةِ قَدْ طَمَعُوا فِيكَ لِمَكَانِي مِنْكَ فَأَنَا أَحَبُّ
 إِلَا تَشْفَعَنِي فِيهِمْ . وَأَنْ تَحْلِفَ لِي بِحَبِينَا أَعْتَدُ بِهَا عِنْدَ
 الْقَوْمِ فَاحْلِفْ لِي عِنْدَهُمْ أَنَّكَ لَا تُشَتَّعُنِي فِي شَيْءٍ أَسْأَلُكَ ،
 وَأَنْ تَخَالَفَنِي فِي كُلِّ مَا سَأَلْتُكَ . فَأَعْطَاهُ مِنْ ذَلِكَ مَا لَا
 يَقْدَرُ عَلَى الرِّجْوَعِ عَنْهُ فِي دِينِهِ ، فَلَمَّا تَوَثَّقَ مِنْهُ قَالَ :
 فَإِنْ حَاجَّتِي أَنْ تَدْخُلَهَا وَتُخْرِبَهَا وَتَقْتُلَ مَنْ فِيهَا .
 قَالَ : مَا لِي ذَلِكَ سَبِيلَ وَلَا بَدَّةَ مِنْ مَخَالَفَتِكَ وَقَدْ كُنْتُ
 مُؤَدَّبِي وَأَنَا إِلَيْكَ الْيَوْمَ أَحْوَجُ . فَلَمْ يَدْخُلْهَا وَضَمَّهُ إِلَيْهِ .

أَصَابَتِ الْمُسْلِمِينَ جَوْلَةٌ (١) بِخُرَاسَانَ ، فَسَرَّ فِيهِمْ
 شُعْبَةُ بْنُ ظَهْرٍ عَلَى بَغَاةٍ لَهُ فَرَأَاهُ بَعْضُ الرِّجَالِ فَتَقَدَّرَ (٢)
 لَهُ عَلَى جِذْمٍ (٣) حَائِطٌ ، فَلَمَّا حَازَى بِهِ حَالٍ فِي عَجْزٍ
 بَغَلْتَهُ . فَقَالَ لَهُ : اتَّقِ اللَّهَ فَإِنَّهَا لَا تَحْمِلُنِي وَإِيَّاكَ .

(١) الجولة . الفرار . من العدو ثم العودة إلى قتاله .

(٢) تقدر . تها .

(٣) الجذم . الأصل .

قال : امض ، فلاني والله ما أقدرُ أنْ أمشي . قال : إنَّكَ تقتلني وتقتلُ نفسك . قال : امض فهو ما أقولُ لك . قال : فَصَرَفَ شُعْبَةَ وَجْهِ الْبَغْلَةِ قِبَلَ الْعَدُوِّ . فقال له : أين تريد ؟ قال : أنا أعلمُ أَنِّي مقتولٌ ، فَلَأَنْ أُقْتَلَ مُقْبِلًا خَيْرٌ مِنْ أَنْ أُقْتَلَ مُدْبِرًا . فنزل الرَّجُلُ عَنْ بَغْلَتِهِ وَقَالَ : اذْهَبْ فِي حَرْقِ اللَّهِ .

اشترى شريكٌ بنُ عبد الله (١) جاريةً من رجلٍ فأصابَ بها عيباً ، فقال للذي اشتراها منه : قد ظهر بها عيبٌ . قال : ما عليك . هي رخيصة ، وإن أحببتَ بيعتها لك بربح . قال : فافعل . فدفعَ الجاريةَ إليه وأقامَ أياماً ثم أتاه فقال له : لم أصبْ بها ثمناً أرضاه . فقال له شريك : فخذها واردهُ عليَّ الثمنَ . فقال له الرجل : أبعد ما وكَّلْتُني لأبيعَها ورضيتَ ، تردُّها عليَّ ؟ فقال : صدقتَ ، والله خدعتني .

رأى عمرُ بنُ الخطَّابِ رضي الله عنه ابنه عبد الله جالساً مع رجلٍ فقال له : يا بني ، احلرُ هذا ، لا تشتريَنَّ

(١) شريك بن عبد الله النخعي القاضي ، فقيه إمام توفي سنة ٨١٧٧ .

منه شيئاً . فإنه يتبرأ إلى الرجل من العيب . والرجل لا يظن لذلك .

قال : فمرَّ عبدُ الله بنُ عمرَ بذلك الرجلِ يوماً ومعه غلامٌ وضيئٌ . فقال له : تبيعه ؟ قال : نعم . قال : بكم ؟ قال : بكذا . قال له : هل به عيبٌ . قال : ما علمت أن به عيباً إلا أننا ربما أرسلناه في الحاجة فيبطلُ فلا يأتينا حتى نبعث في طلبه . فقال عبد الله : وما هذا ؟ فاشتراه منه .

فأما صار إليه أرساه في حاجة فهرب ، فطلبه أياماً حتى وجده ، فأتى صاحبه ليردَّه عليه بالإيق ، فقال له : ألم أخبرك أننا ربما أرسلناه في الحاجة فلا يرجعُ حتى نرسل في طلبه ؟ فعلم أنه قد خدعه .

قيل لأعرابي : أتشرب قدحاً من لبنٍ حازرٍ (١) ولا تتنحنج ؟ قال : نعم . فأخذه في حلقة مثل الزجاج ، فقال : كبشٌ أماج . فقيل له : إنك تنحنجت . فقال : من تنحنج فلا أفلح . ومدَّ صوته فقضى وطره .

(١) الحازر . الحاضر .

قال عبيد الله بن زياد بن ظبيان (١) : إياكم والطَّعَنُ فإنه يردي . والله لقد هممت أن أفتيك بالحجاج ، فإني لواقفتُ على بابهِ بديَرِ الجَمَاجِمِ (٢) ، إذا بالحجاج قد خرجَ على دابة ، ليس معه غيرُ غلام ، فأجمعتُ على قتله فكأنه عَرَفَ ما في نفسي فقال : ألقيتَ ابنَ أبي مُسلم ؟ قلت : لا . قال فآلقه ، فإن عهدك معه على الرِّيّ . قال : فطمعتُ وكففتُ فأتيتُ يزيدَ بنَ أبي مسام فسألته فقال : ما أمرني بشيء .

وقال عمرو بن يزيد الأسدي : نحينا أيام الحجاج ، وجعلنا نودع متاعنا ، وعلم جارا لنا ، فخشيتُ أن يُظْهِرَ أمرنا ، فعمدتُ إلى سَقَطٍ فجعلتُ فيه لبنا ودفعته إليه ، فمكثَ عنده حتى أمِنّا . فطلبتُ منه ، فقال لي : أمّا وجدت أحدا تودعه لبناً غيري .

توجه عمرو بن العاص حث فتح قيسارية (٣) إلى

(١) أحد فلاك العرب ، ومن خطائهم وهو الذي حمل وأمن مصعب ابن الزبير إلى عبد الملك .

(٢) دير بظاهر الكوفة على بعد سبعة فراسخ منها .

(٣) هناك مدينتان بهذا الاسم في فلسطين والروم والمراد هنا التي من أصال فلسطين .

مصر وبعث إلى عليّجها (١) فأرسل إليه : أن أرسل إليّ رجلاً من أصحابك أكلمه . فنظروا فقال عمرو : ما أرى لهذا أحداً غيري . فخرج ودخل على العليّج ، فكلّمه فسمع كلاماً لم يسمع مثله قط ، فقال : حدثني . هل في أصحابك مثلك ؟ قال : لا تسأل عن هواري عليهم ، إلا أنهم يبعثوني إليك وعرضوني لما عرضوني لا يدرون ما تصنع بي . فأمر له بهجائزة وكسوة وبعث إلى البوّاب : إذا مرّ بك فاصرب عنقه ، وخذ مامته .

فخرج من عنده ، فمرّ برجل من نصارى العرب من غسان فعرفه فقال : يا عمرو ، إنك قد أحسنت الدخول فأحسن الخروج . فرجع فقال له الملك : ما ردّك ؟ قال : نظرت فيما أعطيتني فلم أجده يسع بني عمي ، فأردت أن أجيئك بعشرة منهم تعطيهم هذه العطيّة ، وتكسوهم هذه الكسوة ، فيكون معروفك عند عشرة خيراً من أن يكون عند واحد . قال : صدقت . فاعجل بهم . وبعث إلى البوّاب أن يخلّ سبيله ، فخرج عمرو

(١) العليّج : الرجل من كفار المم .

وهو يلتفتُ حتى إذا أمِنَ قال : لا أعود لمثلها أبداً .
فما فارقها عمرُ حتى صالَحَه ، فلما أُتِيَ بالعلاجِ قال :
أنت هو ؟ قال عمرو : نعم على ما كان من غَدْرِكَ .

قُدِّمَ هُدَيْبَةُ بْنُ الْحَشْرَمِ (١) لِيُقَادَ بِابْنِ عَمِّهِ
زِيَادَةَ ، وأخذ ابنُ زِيَادَةَ السَّيْفَ وقد ضَوْعِفَتْ
له الدِّيَّةُ حتى بلغتْ مئةَ ألفِ دِرْهَمٍ فخافتْ أمُّ الغلامِ
أنْ يقبلَ ابنُها الدِّيَّةَ ولا يقتله فقالت : أعطي اللهَ
عهداً لئنْ لم تقتله لأتزوجنَّه فيكون قد قتلَ أباك ونكحَ
أمَّك . فقتله .

وحدث المدائنيُّ أن قوماً من المسلمين أسروا قوماً من
الرُّومِ وكان فيهم فتَيَانُ إِخْوَةَ فَضْرَبُوا أعناقَهُمْ ،
وأخذوا أمَّهُمْ وهم لا يعرفونها ، فأحبَّتْ أن تُقتلَ
ولا تبقى بعدَ وَلَدِهَا ، فقالت للذي صارتُ إليه :
إنْ عَلِمْتُكَ شيئاً تَتَّخِذُهُ فَلَاحِكُكَ فَيَكُ السَّلَاحُ ،
تُخَلِّي سَبِيلِي ؟ قال : نعم . فأخذتْ أشياء سَتَرَتْهَا عَنْهُ
فَطَلَّتْ بِهِمَا رَقَبَتَهَا وقالت : دونك اضربْ وشُدْ ،

(١) هُدَيْبَةُ بْنُ الْحَشْرَمِ بْنِ كُرْزٍ شَاعِرٌ فَصِيحٌ مِنْ بَادِيَةِ الْحِجَازِ ، كَانَ

رَاوِيَهُ الْحَطِيطَةُ .

فإن السيف لا يعمل في . ففرض رقبتهما فحز رأسهما
فعلم أنها خدعته .

لما بلغ يزيد ومروان ابنا عبد الملك لعاتكة بنت
يزيد بن معاوية (١) قال لها عبد الملك : قد صار ابنك
رجلين ، فلو جعلت لهما من مالك ما يكون لهما به
فضيلة على إختوتهما . قالت : اجتمع لي أهل معدلة
من موالي ومواليك . فجمعهم وبعث معهم روح بن
زئباع الجذامي - وكان يدخل على نسائهم - فدخل
كهولتهم وجلتهم وقال له : أخبرها برضائي عنها ،
وحسن لها ما صنعت . فلمّا دخلوا عليها أخذ روح
في ذلك فقالت : يا روح ، أتراني أخشى على ابني
عيلة وهما ابنا أمير المؤمنين ، أشهدكم أنني قد تصدّقت
بمالي وضياعي على فقراء آل أبي سفيان . فقام روح ومن
معه . فلمّا نظر إليه عبد الملك مقبلاً قال : أشهد
بالله لقد أقبلت بغير الوجه الذي أدبرت به . قال : أجل .
تركت معاوية في الإيوان آنفاً . وخبره بما كان . فغضب .

(١) عاتكة بنت يزيد بن معاوية ، أم يزيد بن عبد الملك تميمي

سوالي سنة ٥١٢٠ .

فَقَالَ : مَهْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، هَذَا الْعَقْلُ مِنْهَا فِي ابْنِكَ خَيْرَ لَهَا مِمَّا أَرَدْتَ .

قَالَ الْمَدَائِنِيُّ : أَتَيْتُ عَلِيًّا عَلَيْهِ السَّلَامُ بِرَجُلٍ ذِي مَرُوءَةٍ قَدْ وَجِبَ عَلَيْهِ حَدٌّ . فَقَالَ لِحَصَمَائِهِ : أَلَكُمْ شُهُودٌ؟ قَالُوا : نَعَمْ . قَالَ : فَأَتُونِي بِهِمْ إِذَا أَمْسَيْتُمْ وَلَا تَأْتُونِي بِهِمْ إِلَّا مُعْتَمِنِينَ . فَلَمَّا أَمْسَوْا اجْتَمَعُوا فَأَتَوْهُ ، فَقَالَ لَهُمْ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ : نَشَدْتُ اللَّهَ رَجُلًا لِلَّهِ عِنْدَهُ مِثْلُ هَذَا الْحَدِّ إِلَّا أَنْصَرَفَ قَالَ : فَمَا بَقِيَ أَحَدٌ فَدَرَأَ الْحَدَّ .

عَرَضَ شُرَيْحٌ نَاقَةً لِلْبَيْعِ ، فَقَالَ لَهُ الْمُشْتَرِي : كَيْفَ غَزَارَتْهَا ؟ قَالَ : أَحْلَبُ فِي أَيِّ إِنْاءٍ شَتَّ . قَالَ : فَكَيْفَ وَثَاقَتْهَا ؟ قَالَ : أَحْمَلُ عَلَى الْحَائِطِ مَا شَتَّ . قَالَ : فَكَيْفَ وَطَاؤُهَا ؟ قَالَ : أَفْرَشُ وَنَمُّ . قَالَ : كَيْفَ نَجَاؤُهَا (١) قَالَ : هَلْ رَأَيْتَ الْبَرَقَ قَطُّ ؟

قَالَ بَعْضُهُمْ : رَكُضَ رَجُلٌ دَابَّةً وَهُوَ يَقُولُ : الطَّرِيقَ ، الطَّرِيقَ . فَصَادَ رَجُلًا لَمْ يُسَحَّ ، فَاسْتَعْدَى عَلَيْهِ فَتَخَارَسَ الرَّجُلُ فَقَالَ الْعَامِلُ : هَذَا أَخْرَسُ .

(١) النجاء : السرعة والسبق .

قال : أصلحك الله . يتخارسُ عمداً ، والله ما زال
يقول : الطَّريقَ . الطَّريقَ . فقال الرجلُ : فما تريدُ
وقد قلت لك الطَّريقَ ؟ قال العامل : صدقَ .

قال : كانت ابنةُ عبدِ الله بنِ معروفٍ عند أبي
حرثان فماتَ ، ولم يصل إليها لِقْوَتها . فتزوجها أبو
دُلَف (١) . فكانت تمانعه سنة لا يصلُ إليها . فقال له
مَعْقِلٌ "أخوه : ما أنت برجل . وقد عجزت عن امرأة .
فقال : أحبُّ أن تبعثَ جاريتك فلانة تكلِّمُها . فبعث
بها وأمر أبو دُلَف امرأته أن تلويَ العمودَ في عنقِ
الجارية إذا أُنشِئَتْ وتركتهُ . ففعلت فرجعت إلى مَعْقِلٍ
فقال : أشهدُ أن أخِي معذورٌ . فما قدر عليها أبو دُلَف
حتى احتالَ عليها . بأن قال لها يوماً : ما أظنك ببكرٍ .
فأمكنت من نفسها .

كان بالكوفة لعبد الملك بن رامير مولى بشر بن
مروان (٢) جارية يقال لها : سَلَامَةُ الزَّرْقَاء . وكان

(١) أبو دلف بن عيسى العجلي ، أمير شاعر مدح ، توفي سنة ٨٢٢٥ .

(٢) بشر بن مروان أخو عبد الملك ، ولي العراقين بعد مصعب .

روحُ بنِ حاتمِ المهلبِيِّ (١) يهواها ولا تهواه ، ويكثر
غشيانَ منزلِ مولاها . وكان محمدُ بن جَمِيل (٢)
يهواها وتهواه . فقال لها : إن روحُ بن حاتم قد ثَقُلَ
علينا . قالت : فما أصنعُ ؟ قد غَمَرَ مولايَ يبرّه .
قال : احتالي .

فبات عندهم روحٌ ليلةً من الليالي فأخذت سراويله
فغسلته . فلما أصبحَ سأل عن سراويله . فقالت : غسلناه .
فظنَّ أنه قد أحدثَ فيه فاحتجَّ إلى غسله ، واستحيا
من ذلك . وانقطع عنها . وخلا وجهُها لابن جميل .

لما استُخلف سليمانُ بن عبد الملك دفع عُمَالةُ أخيه
الوليدِ إلى يزيدِ بن المهلب وأمره ببسط العذاب عليهم ،
واستخراج المال منهم . وكان فيهم رجلٌ من بني مرة ،
فقال ليزيد : أمّا أنا فلست بذي مال ، ولا تنتفعُ بتعذيبِي
ولكن عشيرتي تنفكُّني بأموالهم ، فأذن لي في أن أجولَ
فيهم . فأذن له فقال لهم : إنَّ أمير المؤمنين قد أخذني

(١) روح بن حاتم بن قبيصة المهلبِي ، تولى على السند للخلفاء العباسيين ،
وعزله الرشيد توفي سنة ١٧٠ هـ .

(٢) محمد بن جميل كان أحد المقربين للمنصور .

بمال . والمالُ عندي . ولكن أُكره أن أُقِرَّ بالحياة .
فاضمنوا له هذا المالَ عنِّي وأطلقوني من حبسه . ولا
غُرْمَ عليكم فلاني مضطلع بأداء هذا المال .

فنهض وجوهُ عشيرته في أمره ، وضمنوا المال عنه
وأطلقوه . فلمَّا أخذوا بالمال قالوا للرَّجل : أدِّ المال كما
زعمت . فقال : يا نوكي (١) . أتظنون أنني اختنت مالا
تعرضتُ فيه للمأثم ، وسُخِّط الحليفة وعقوبته ، وأؤديه
اليومَ طائعا ، وقد صيرتُ ما أطالبُ به في أعناقكم .
لبسَ ما ظننتم ، إغرمُوه من أعطياتكم وأنا فيه كأحدكم
ففعلوا ذلك وهو كأحدهم .

هَمَّ الْأَزَارِقَةُ (٢) بقتل رجل فنزَعَ ثوبه واتَّزَرَ
ولَبَّى وأظهرَ الإحرامَ فخلَّوا سبيله لقول الله جلَّ وعزَّ
« لَا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ » (٣) .

غضب المأمونُ على رجل وقال : لأقتلنَّك ولأخذنَّ

(١) النوكي : الحق .

(٢) الأزارقة : فرقة من الخوارج .

(٣) سورة المائدة : ٢ .

مالك . اقبلوه . فقال أحمد بن أبي دؤاد (١) : إذا قتلته
فمن أين تأخذ المال ؟ قال : من ورثته . فقال : إذا
تأخذ مال الورثة . المال للورثة . وأمير المؤمنين يأبى
ذلك . فقال : يؤخر حتى يستصفى ماله . فانقرض
المجلس وسكن غضبه وتوصل إلى خلاصه .

جاءت امرأة إلى أبي حنيفة فقالت : إن زوجي
حلف بطلاقي أن أطبخ قيدرأ أطرح فيها مكوكا (٢) من
الملح فلا يتبين طعم الملح فيما يؤكل منها . فقال لها :
خذي قيدرأ واجعلي فيها الماء واطرحي فيها مكوك ملح ،
واطرحي فيها بيضاً واسلقيه ، فإنه لا يوجد طعم الملح
في البيض .

افعل رجل كتاباً عن المأمون إلى محمد بن الجهم
في دفع مال إليه ، فارتاب به محمد ، وأدخله على المأمون .
فقال المأمون : ما أذكرك هذا . فقال الرجل : أكل

(١) أحمد بن أبي دؤاد قاضي القضاة المعتصم ، كان مذهبه الاعتزال ،

وكان جواداً نصحاً يداً توفي سنة ٢٤٠ هـ .

(٢) المكوك . مكيال يسم صاعاً ونصفاً .

منعروفك تذكر يا أمير المؤمنين ؟ قال : فاعمل هذا
مما نسيت وقد فعلت . قال : ادفع إليه يا محمد ما في
الكتاب .

كان حوثة الضمري صديقاً لعبد الملك وخرج مع
ابن الزبير فلما قُتل ابن الزبير استاء من الناس وأحضر
حوثة فقال له عبد الملك : كنت مني بحيث علمت
فأعنت ابن الزبير . قال : يا أمير المؤمنين ، هل رأيتني
قط في حرب أو سباق أو نضال إلا والفئة مغلوبة
بخوفي ، وإنما خرجت مع ابن الزبير لتغلبه بي على رسمي .
فضحك عبد الملك وقال : قد والله كذبت ولكنني قد
عفوت عنك .

قالت خيرة بنت ضمرة القُشيرية امرأة المهلب للمهلب :
إذا انصرفت من الجمعة فأحب أن تمر بأهلي . فقال لها :
إن أخاك أحقق . قالت : فأحب أن تمر بنا . فجاء
وأخوها جالس فلم يستع له فجلس المهلب ناحية
ثم أقبل عليه فقال : ما فعل ابن عمك فلان ؟ قال :
حاضر : قال : أرسل إليه . ففعل فلماً نظر إلى المهلب
غير مرفوع المجلس قال : يا ابن اللخناء ، المهلب

جالسٌ ناحية ، وأنتَ في صدرِ المجلسِ وواثبه . فتركهُ
المهلبُ وانصرفَ فقالت له خيرةٌ : أَمَرْتُ بأهلي ؟
قال : نعم وتركْتُ أُنحَاكِ الأحمقَ يُضْرَبُ .

قالوا : إنَّ الحجاجَ بنَ يوسفَ قال ذاتَ يومٍ لمحمدِ
ابنِ عُميرِ بنِ عطارِد (١) : اطلُبْ لي امرأةً حَسِيبَةً
أُتْرُوْجُهَا : قال : طلبْتُها إنْ زُوِّجْتُهَا . قال : ومنَ هذا
هذا الَّذي يَمْتَنِعُ منَ تزويجي ؟ قال : أسماءُ بنُ خارجةِ (٢) .
يدَّعي أَنَّهُ لا كُفءَ لِبَنَاتِهِ إِلَّا الخليفةُ .

قال : فأضمرها الحجاجُ إلى أنْ دَخَلَ إليه أسماءُ
فقال : ما هذا الفخرُ والتَّطاولُ ؟ قال : أيُّها الأميرُ ،
إِنَّ تحتَ هذا سِبْياً . قال : بلغني أَنَّكَ تزعمُ أنْ لا كُفءَ
لِبَنَاتِكَ إِلَّا الخليفةُ . فقال : والله ما الخليفةُ بأحبَّ
أكفائِهِنَّ إليّ ، وَلَسْتُظُرَّائي منَ العشيرةِ أَحَبَّ إليّ منه ،
منَ خالطني منهمُ حَفِظَني في حرمتي ، وإنْ لم يحفظني

(١) محمد بن عير بن عطارِد ، كان سيد أهل الكوفة .

(٢) أسماء بن خارجة بن حليفة ، من أشراف العرب ، توفي

سنة ٥٦٦ هـ .

تلمت على أن أنتصف منه والحايضة لا نتصف إلا بمشيتته . وحرمته متضيحة . مطرحة يخدم عاينها من ليس مثلها . ولسان ناصرها أقطع . قال : فما تقول في الأمير ؟ . فإن الأمير خاطيف هنداً . قال : قد روجته إياها بصداق نسائها . وحولها إليه .

فلما أتى على الحايضة حولان دخل إلى الحجاج فقال : هل أتى الأمير ولد . نُسِرُ ونَحْمَدُ الله على هتته . قال : أما من هند فلا . قال : ولد الأمير من هند وغير هند عنادي بمنزلة . فقال : والله إني لأحب ذلك من هند . قال : فما يمنع الأمير من الضر (١) ، فإن الأرحام تغاير . قال : أو تقول هذا القول وعندي هند ؟ قال : أحب أن ينمشو نسل الأمر . قال : فممن ؟ قال على الأمير بهذا الحي من تميم . فنساؤهم مناجيب . قال : فأيتهن ؟ قال : ابنة محمد بن عمير . قال : إنه يزعم أن لا فارغة له . قال : فما فعلت فلانة ابنته ؟

فلما دخل إليه حماد بن عمير قال : ألا تزوج الأمير ؟ قال : لا فارغة لي . قال : فأين فلانة ؟ قال : روجتها

(١) الضر : اتخاذ الصر .

من ابن أخى البارحة . قال : أحضر ابن أخيك ، فإن أقرّ بها ضربت عنقه . فجيء بابن أخيه ، وقد أبلغ ما قال الحجاج . فلما مشل بين يديه قال : بارك الله لك يا فى . قال : فى ماذا ؟ قال : فى مصاهرتك لعمك البارحة . قال : ما صاهرته البارحة ولا قبّلتها . قال : فانصرف راشداً . ولم ينصرف محمد حتى روجه ابنته .

وحضر بعد ذلك يوماً من الأيام عمة من الأشراف باب الحجاج فحجب الجميع غير أسماء ومحمد . فلما دخل قال : مرحباً بصهرى الأمير سلافي ما تريدان أسعيفكما فلم يبقيا عانياً إلا ألقاه . ولا مخرجاً (١) إلا أقفلاه (٢)

فلما خرجا أتبعتهما الحجاج بمن يحفظ كلامهما . فلما فارقا الدار ضرب أسماء يده على كتف محمد وأنشأ يقول :

(١) تجمير الجند : إيقاعهم فى الثور . والعافى : الأسير .
(٢) أقفلاه : أرحمناه .

جزيتك ما أسديته يابن حاجب
وفاء كعرف الديك أوقدة (١) النسر

في أبيات كثيرة . فعاد الرجل فأخبر الحمّاج فقال :
لله درّ ابن خادجة ! إذا وُزن بالرجال رجح .

أبي زيادُ برجل فأمر بضرب عنقه . فقال : أيتها
الأميرُ ؛ إن لي بك حرمة قال : وما هي ؟ قال : كان
أبي جارك بالبصرة . فقال : ومن أبوك ؟ قال : قد والله
نسيتُ اسمَ نفسي ، فكيف اسمَ أبي ؟ قال : فردّ زيادُ
كُفّه إلى فمه وضحك ونخلّى سبيله .

مرّ زيادُ بأبي العريان (٢) فقال : من هذا ؟ فقالوا
زياد بن أبي سفيان . فقال : ربّ أمر قد نقضه الله ،
وعبد قد رده الله . فسمعها زيادُ فكره الإقدامَ عليه
وكتبَ بها إلى معاويةَ ، فأمره بأن يبعثَ إليه بألف دينار ،
ويعرّ به ويسمع ما يقول . ففعل زياد ذلك ، ومرّ به
فقال من هذا ؟ قالوا : زياد . فقال رحم الله أبا سفيان ،
لكأنّها تسليمتُه وانغمته . فكتبَ بها رِياد إلى معاوية
فكتب إلى أبي العريان :

(١) قذّة النسر : مقطع ريشه .

(٢) أبو العريان . شاعر .

مَا لَبِثْتَكَ دَفَانِيرُ رُشِيَّتَ بِهَا
أَنْ لَوْنَتَكَ — أبا العُريَانِ — أَلْوَانَا

فَدَعَا أَبُو الْعُرِيَانِ ابْنَهُ وَأَمَّاى عَلَيْهِ إِلَى مَعَاوِيَةَ :

مَنْ يُسَدِّ خَيْرًا يَجِدُهُ حَيْثُ يَطْلُبُهُ
أَوْ يُسَدِّ شَرًّا يَجِدُهُ حَيْثَمَا كَانَ

تَقَدَّمَ رَجُلٌ إِلَى سَوَّارٍ ، وَكَانَ سَوَّارٌ لَهُ مَبْغُضَا
فَأَلَحَّ عَلَيْهِ فَقَالَ لَهُ سَوَّارٌ فِي بَعْضِ مَخَاطِبَتِهِ : يَا بَنَ الْإِخْنَاءِ (١) ،
فَقَالَ : ذَاكَ نَحْصُمِي . فَقَالَ الْحَصَم : أَعُدْنِي عَلَيْهِ .
فَقَالَ لَهُ الرَّجُلُ : نَحْذُ لَهُ بِحَقِّهِ وَنَحْذُ لِي بِحَقِّي . فَفَهِم .
وَسَأَلَهُ أَنْ يَغْفِرَ لَهُ .

قَالُوا : لَمَّا حُبِسَ الْحَلَّاجُ (٢) عِنْدَ الْقَشُورِيِّ ،
مَرِضَ ابْنٌ لَهُ ، وَاشْتَهَى التَّفَاحَ الشَّامِيَّ ، وَكَانَ لَا
يَصَابُ لِفُوتِ أَوَانِهِ ، فَتَلَطَّفَ الْحَلَّاجُ وَاحْتَالَ حَتَّى
سَأَلَ الْقَشُورِيَّ تَفْاحَةً شَامِيَّةً . قَصَدَ بِهَا لِيَعْرِفَ أَمْرَ
الْحَلَّاجِ فِي صَدَقِهِ وَكَذِبِهِ ، وَأَرَادَ أَيْضاً بَلُوغَ مَرَادِهِ فِي

(١) الْإِخْنَاءُ : الْمُسْتَنَةِ الرَّائِحَةُ .

(٢) الْمَنْصُورُ بْنُ الْحَسَنِ الْحَلَّاجُ ، كَانَ يَقُولُ بِتَنَاسُخِ الْأَرْوَاحِ
وَالْحُلُولِ ، وَقِيلَ أَنَّهُ ادَّعَى الْإِلَوهِيَّةَ ، وَافْتَنَنَ بِهِ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ ، صَلَبَ
ثُمَّ قَتَلَ سَنَةَ ٥٣٠ هـ . وَأُحْرِقَتْ جَسَدُهُ .

ولده . وكان الحلاجُ قد أعدَّ تفاحةً لذلك فحين سألَه
أولمأً بيده هكذا وأعادهما بتفاحة . وتناولها القشوري
يفلتبها ويتعجبُ منها والحلاج يقول : الساعةَ قطعْتُها
من شجرةِ الجنةِ . قال القشوري : إني أرى في موضع
منها عذبا . قال الحلاج غيرَ مُطْرِقٍ ولا مُكْثَرِثٍ : أما
علمتَ أنها إذا خرجتُ من دارِ البقاءِ إلى دارِ الفناءِ ،
لحقها جزءٌ من البلاءِ . فكان جوابُهُ أحسنَ من فعله
وحيلته .

أتى مصعبُ بنِ الزبيرِ برجلٍ من أصحابِ
المختار (١) . فأمرَ بضربِ عنقه . فقال : أيُّها الأميرُ ،
ما أقبحَ بكَ أن أقومَ يومَ القيامةِ إلى صورتك هذه الحسنةِ ،
ووجهك هذا الذي بسُتُضَاءٍ به . فأتملقَ بأصرافك
وأقول : يا ربُّ . سلْ مُصْعَباً لماذا قتاني ؟ فقال : أطلقوه
فقال : أيُّها الأميرُ . اجعلْ ما وهبتَ لي من حياتي في
خَفَضِ عيشٍ . قال : أعطوه مئةَ ألفِ درهمٍ .

* * *

(١) هو المختار بن أبي سبيد الثقفى ، من زعماء الثالوثين على بني
أمية قتلَه مصعب وهو أمير البصرة عام ٥٦٧ هـ .

فهارس السفر الثاني من نشر الدر

الصفحة	الموضوع
٥	الباب الأول
٧	كلام معاوية بن أبي سفيان وولده
٢٠	يزيد بن معاوية وولده
٢٩	الباب الثاني
٣١	كلام مروان بن الحكم وولده في الخلفاء
٣٢	عبد الملك بن مروان
٣٨	الوليد بن عبد الملك
٤٠	سليمان بن عبد الملك
٤٣	يزيد بن عبد الملك
٤٤	هشام بن عبد الملك
٤٥	الوليد بن يزيد
٤٧	يزيد بن الوليد بن عبد الملك
٥٠	مسلمة
٥٢	مروان بن محمد
٥٧	الباب الثالث
٥٩	كلام الخلفاء من بني هاشم / السفاح

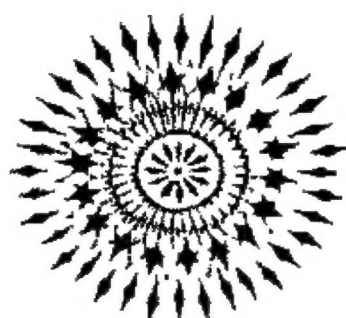
٦١	النصور
٦٧	المهدي
٧١	المادي
٧٢	الرشيد
٨٠	الأمين
٨٣	المأمون
٩٣	المعتم
٩٧	الوائق
١٠٢	المتوكل
١٠٤	المنتصر
١٠٥	المستمين
١٠٦	المعتز
١٠٧	المهتدي
١٠٨	المعتد
١٠٩	المعتز
١١١	المكتفي
١١٢	المقتدر
١١٣	الراضي
١١٣	إبراهيم بن المهدي
١١٦	عبد الله بن المعتز

الموضوع الصفحة

١٢١	الباب الرابع
١٢٣	كلام جماعة من بني أمية
١٣١	الباب الخامس
١٣٣	نكت لآل الزبير
١٤٥	الباب السادس
١٤٧	نوادير أبي العيناء ومخاطباته
١٥٨	من رسائل أبي العيناء وكلامه المستحسن
١٦٧	الباب السابع
١٦٩	نوادير مزبد
١٧٥	الباب الثامن
١٧٧	نوادير أبي الحارث جوين
١٨١	الباب التاسع
١٨٣	نوادير الجواز
١٨٧	الباب العاشر
١٨٩	نوادير المجانين
١٩٧	الباب الحادي عشر
١٩٩	نوادير البخلاء
٢١١	الباب الثاني عشر
٢١٣	كلام الشطار ومن يجري مجراهم ونواديرهم
٢١٩	الباب الثالث عشر
٢٢١	النعي ومكاتبات الحمقى

٢٢٧	الباب الأول
٢٢٩	كلام للنساء الشرائف
	فاطمة ابنة رسول الله عليها السلام
٢٣٥	عائشة أم المؤمنين (رضي الله عنها)
٢٤١	أم كلثوم بنت علي
٢٤٤	حقيقة أم المؤمنين
٢٤٨	أروى بنت الحارث
٢٤٨	رؤيا رقيقة
٢٥٢	هند بنت عتبة
٢٥٤	رؤيا عاتكة بنت عبد المطلب
٢٥٦	فاطمة بنت عبد الملك بن مروان
٢٥٨	أم سلمة أم المؤمنين
٢٥٩	ملفوظات من كلامهن
٢٦١	الباب الثاني
٢٦٣	نكت من كلام النساء ومستحسن جواباتهن وألفاظهن
٣٠١	الباب الثالث
٣٠٣	الحيل والخداع

٥٠٠ ط ١/٥/١٩٩٧



طبع في مطابع وزارة الثقافة

دمشق - ١٩٩٧

في الاقطار العربية ما يعادل

٣٥٠ ل. ص

سعر المجلد داخل القطر

١٧٥ ل. ص